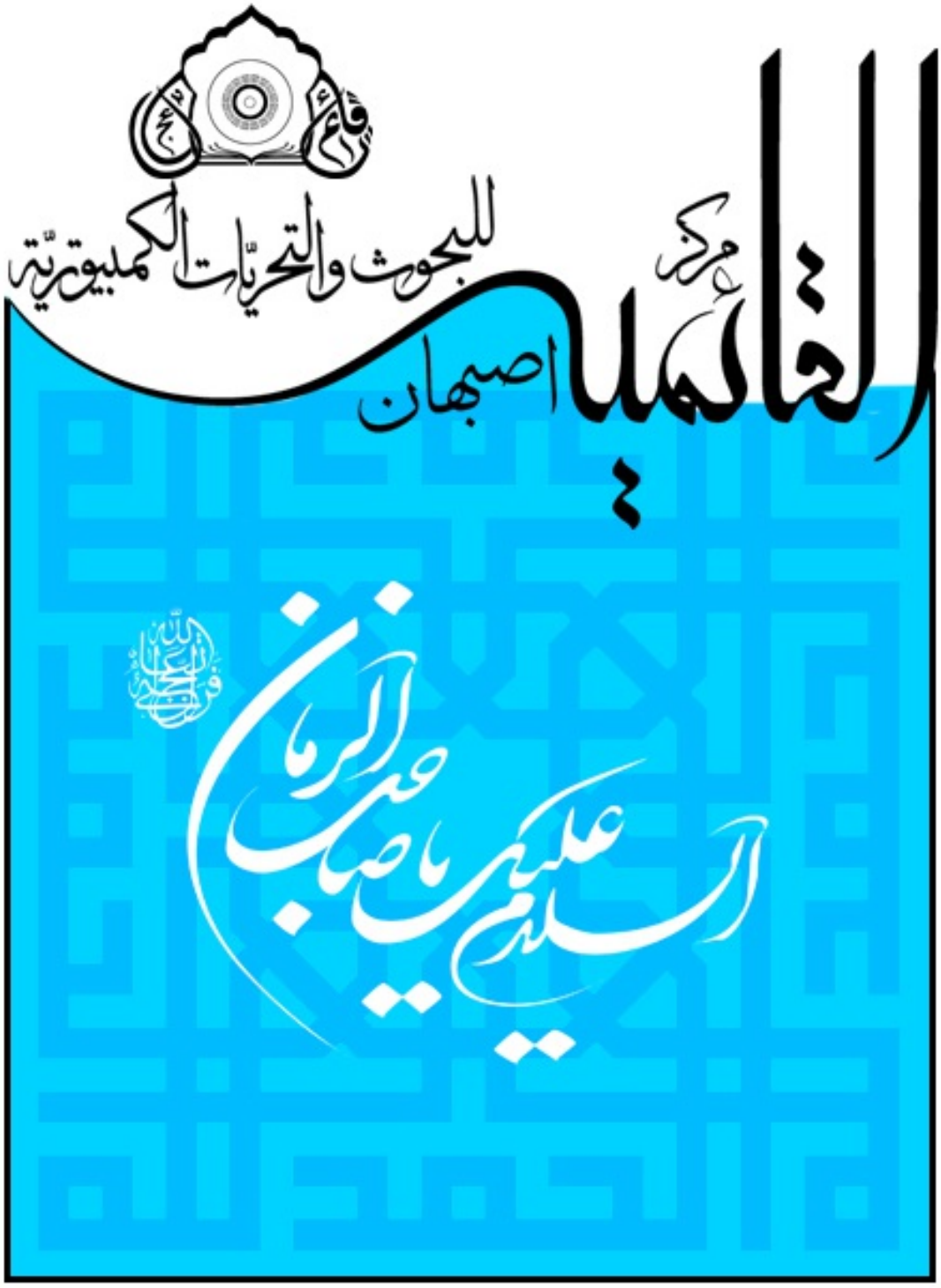

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

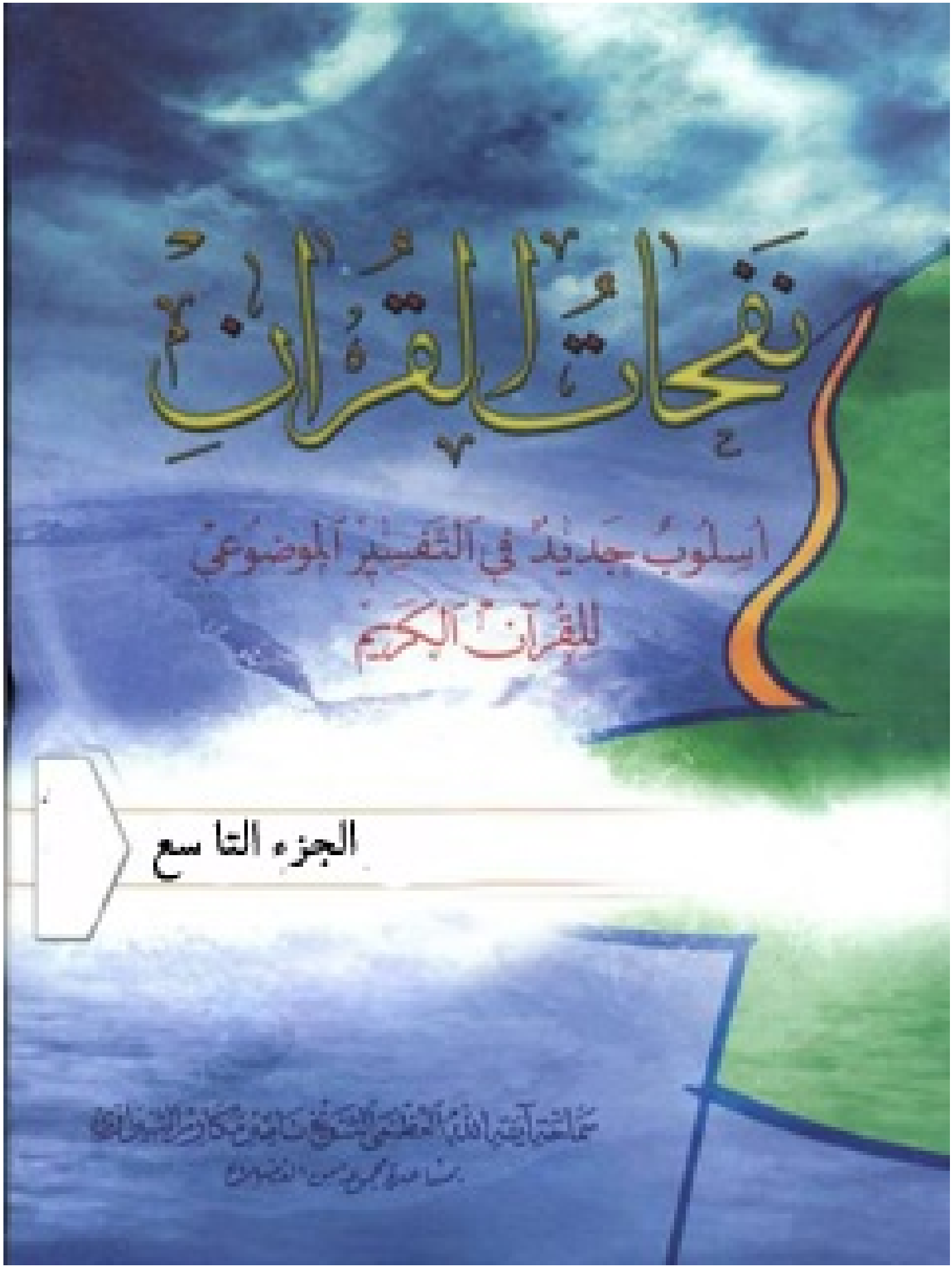
نفحات القرآن
أسلوب جديد في التفسير الموضوعي
للقرآن الكريم
الجزء التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

نفحات القرآن:اسلوب جديد فى التفسير الموضوعى للقرآن الكريم

كاتب:

ناصرمكارم شيرازى

نشرت فى الطباعة:

موسسه ابى صالح النشر و الثقافه

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
نفحات القرآن المجلد ۹ ----- ۱۳
اشارة ----- ۱۳
الولایة والإمامة ----- ۱۳
اشارة ----- ۱۳
تمهید: ----- ۱۳
اشارة ----- ۱۳
۱- ماهی الإمامة؟ ----- ۱۴
۲- هل الإمامة من الاصول أم من الفروع؟ ----- ۱۵
۳- متی بدأ البحث فی الإمامة؟ ----- ۱۶
اشارة ----- ۱۶
اصطلاح «الإمام» فی اللغة والقرآن: ----- ۱۷
۴- عظمة منزلة الإمام فی القرآن الکریم ----- ۱۸
۵- فلسفة وجود الإمام ----- ۲۱
۱- الولایة والأمامة العامة فی القرآن الکریم ----- ۲۴
تمهید: ----- ۲۴
آیة الانذار والهدایة: ----- ۲۵
آیة الصادقین: ----- ۲۷
آیة اولی الأمر: ----- ۲۹
۲- الولایة والإمامة العامة فی السنة النبویة الشریفة ----- ۳۲
تمهید: ----- ۳۲
۱- حدیث الثقلین ----- ۳۳
اشارة ----- ۳۳

ترتیب مختصر: ۳۷
تکرار حدیث الثقلین علی لسان النبی صلی الله علیه و آله: ۳۸
المسائل المهمّة المستوحاة من حدیث الثقلین: ۳۹
سؤال أخیر: ۳۹
۲- حدیث سفینة نوح ۴۱
اشارة ۴۱
مفاد حدیث السفینة: ۴۲
۳- حدیث النجوم ۴۳
اشارة ۴۳
مضمون حدیث النجوم: ۴۴
سؤال: ۴۶
۴- حدیث «الأئمّة الأثنی عشر» ۴۶
اشارة ۴۶
مضمون حدیث «الأئمّة علیهم السلام اثنی عشر»: ۴۸
ملاحظة ۵۰
لا تخلو الأرض من حجّة: ۵۰
الإشارات القرآنیة والمنطقیة علی وجوب الحجّة: ۵۱
الشروط والصفات الخاصة بالإمام ۵۲
اشارة ۵۲
تمهید: ۵۲
علم الإمام ۵۳
اشارة ۵۳
ملاحظة ۵۵
مصادر علم الأئمّة! ۵۶

اشارة ----- ۵۶
۱- العلم الکامل بکتاب اللّه ----- ۵۶
۲- الوراثة من النبی صلی الله علیه و آله ----- ۵۹
۳- الاتصال بالملائکة ----- ۶۰
۴- إلقاء روح القدس ----- ۶۰
۵- النور الإلهی ----- ۶۲
عصمة الأئمّة علیهم السلام ----- ۶۳
تمهید: ----- ۶۳
مَنْ هم أهل البیت؟ ----- ۶۵
أجوابة عن عدّة أسئلة: ----- ۶۸
شبهات حول العصمة: ----- ۷۱
خصائص الأئمّة علیهم السلام ----- ۷۲
اشارة ----- ۷۲
اللّه فقط الذی یُعیّن الإمام: ----- ۷۳
الولایة التکوینیة للأنبیاء والأئمّة علیهم السلام ----- ۷۴
اشارة ----- ۷۴
تمهید: ----- ۷۴
الولایة التکوینیة فی الأحادیث الإسلامیة: ----- ۷۸
الولایة والإمامة الخاصة ----- ۸۰
اشارة ----- ۸۰
تمهید: ----- ۸۰
القسم الأول: الآیات التی تهتم بمسألة الإمامة بشکل مباشر ----- ۸۱
۱- آیة التبلیغ ----- ۸۱
اشارة ----- ۸۲

شأن النزول: ۸۲
حادثة الغدیر: ۸۳
مضمون روایات الغدیر: ۸۳
دراسة وتحلیل حول آیة التبلیغ: ۸۵
توضیحات ۸۶
۱- معنی الولایة والمولی فی حدیث الغدیر ۸۶
۲- آیات أُخری فی القرآن تؤید حدیث الغدیر ۸۷
۳- کیفیة ارتباط هذه الآیة بما قبلها وبعدها ۸۹
۴- لماذا لم یحتج الإمام علی علیه السلام بحدیث الغدیر؟ ۹۰
۲- آیة الولایة ۹۱
اشارة ۹۱
سبب النزول: ۹۱
اشارة ۹۱
کیفیة دلالة الآیة علی الخلافة: ۹۳
شبهات واعتراضات: ۹۳
۳- آیة اولی الأمر ۹۷
۴- آیة الصادقین ۹۹
۵- آیة القربی ۱۰۰
اشارة ۱۰۰
آیة القربی فی الروایات الإسلامیة: ۱۰۲
القسم الثانی: آیات الفضائل ۱۰۵
تمهید: ۱۰۵
۱- آیة المباهلة ۱۰۵
اشارة ۱۰۵

مضمون آیة المباهلة: ۱۰۶
المباهلة فی أقوال المحدثین: ۱۰۷
أهمیّة المباهلة: ۱۰۹
مؤاخذاتهم علی آیة المباهلة: ۱۱۱
الجواب: ۱۱۱
۲- آیة خیر البریة ۱۱۳
۳- آیة لیلة المبیت ۱۱۵
۴- آیة الحکمة ۱۱۸
۵- آیات سورة هل اتی (الإنسان) ۱۱۸
اشارة ۱۱۸
هل أتی فی الشعر: ۱۲۰
المشککون وسورة هل أتی ۱۲۱
۶ و ۷- آیات مقدّمة سورة «البراءة» وآیة «سقایة الحاجّ» ۱۲۳
اشارة ۱۲۳
الاولی آیات مقدّمة سورة البراءة ۱۲۳
اشارة ۱۲۳
النتیجة: ۱۲۵
الثانیة: آیة سقایة الحاج ۱۲۶
۸- آیة «صالح المؤمنین» ۱۲۸
۹- آیة الوزارة ۱۲۹
اشارة ۱۲۹
مضمون آیة وروایات «الوزارة»: ۱۳۰
۱۰ و ۱۱- آیات سورة الاحزاب ۱۳۱
اشارة ۱۳۱

سؤال: ----- ۱۳۳
۱۲- آیة البینة والشاهد ----- ۱۳۳
۱۳- آیة الصدّیقون ----- ۱۳۵
۱۴- آیة النور ----- ۱۳۶
۱۵- آیة الانذار ----- ۱۳۷
۱۶- آیة مرج البحرین ----- ۱۴۰
۱۷- آیة النجوی ----- ۱۴۲
اشارة ----- ۱۴۲
سؤال: ----- ۱۴۴
۱۸- آیة السابقون ----- ۱۴۵
اشارة ----- ۱۴۵
۱- مَن المقصود من: «قلیلٌ من الآخرین»؟ ----- ۱۴۶
۲- مَنْ هو أول مسلم؟ ----- ۱۴۶
اشارة ----- ۱۴۶
سؤال واحد فقط! ----- ۱۵۰
الجواب: ----- ۱۵۰
۱۹- آیة «اذُنٌ واعِیَة» ----- ۱۵۲
اشارة ----- ۱۵۲
النتیجة: ----- ۱۵۳
۲۰- آیة المحبة ----- ۱۵۴
۲۱- آیة المنافقین ----- ۱۵۵
۲۲- آیة الإیذاء ----- ۱۵۷
۲۳- آیة الانفاق ----- ۱۵۹
۲۴- آیة المحبة ----- ۱۶۰

۲۵- آیة المسؤولین ---- ۱۶۴
الأئمّة الاثنی عشر ---- ۱۶۶
اشارة ---- ۱۶۶
تمهید: ---- ۱۶۶
اشارة ---- ۱۶۶
۱- آیة الصلوات والتحیة ---- ۱۶۸
۲- آیة النور والبیوت ---- ۱۷۱
۳- الصراط المستقیم ---- ۱۷۲
۴- وسیلة قبول توبة آدم علیه السلام ---- ۱۷۳
۵- أفضل الحسنات ---- ۱۷۵
اشارة ---- ۱۷۵
التصریح باسماء أئمّة أهل البیت علیهم السلام: ---- ۱۷۷
الإمام المهدی علیه السلام ---- ۱۷۸
اشارة ---- ۱۷۸
تمهید: ---- ۱۷۸
اشارة ---- ۱۷۸
۱- حکومة الصالحین فی الأرض ---- ۱۸۰
۲- آیة سورة النور ---- ۱۸۳
۳- آیة ظهور الحق ---- ۱۸۵
آثار انتظار المهدی علیه السلام: ---- ۱۸۷
حقیقة الانتظار وآثاره البناءة: ---- ۱۸۷
والآن تأمّلوا فی هذه الطائفة من الروایات بدقّة: ---- ۱۸۸
مفهوم الانتظار: ---- ۱۸۹
الانتظار یعنی الاستعداد التام: ---- ۱۹۰

اشارة ----- ۱۹۰
الفلسفة الاولی بناء الذات فردیاً ----- ۱۹۰
الفلسفة الثانیة: أعمال الرعایة الاجتماعیة ----- ۱۹۱
الفلسفة الثالثة: المنتظرون الحقیقیون لا یذوبون فی فساد المحیط ----- ۱۹۱
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۹۳

نفحات القرآن المجلد ۹

اشارة

سرشناسه : مکارم شیرازی ناصر، - ۱۳۰۵

عنوان و نام پدیدآور : نفحات القرآن اسلوب جدید فی التفسیر الموضوعی للقرآن الکریم ناصر مکارم شیرازی بمساعده مجموعه من الفضلا

مشخصات نشر : موسسه ابی‌صالح النشر و الثقافه [۱۳۷۷؟].

مشخصات ظاهری : ج ۶

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی یادداشت : عربی مندرجات : ج ۱. العلم و المعرفه فی القران .-- ج ۲. معرفه الله فی القرآن .-- ج ۳. .-- ج ۴. معرفه صفات و جلال‌الله .-- ج ۵، ۶. المعاد فی القرآن موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

رده بندی کنگره : BP۹۸/م۷ن۷ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی : م۷۷-۱۳۷۱۱

الولایة والإمامة

اشارة

۱- الولایة والإمامة العامة فی القرآن الکریم

۲- الولایة والإمامة العامة فی السنة النبویة الشریفة

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۶

الولایة والإمامة

تمهید:

اشارة

إنّ «الولایة» و «القیادة» بشکل عام، «والإمامة» بشکل خاص- والتی تعنی- خلافة رسول اللّه صلی الله علیه و آله، هی من أهم الابحاث العقائدیة والتفسیریة والروائیة فی تأریخ الإسلام، ولم یجر الحدیث بشأن ایّ قضیة بالقدر الذی جری بشأن الأمامة علی مدی التاریخ الإسلامی.

ومن المؤسف حقاً خروج هذه المسألة عن نطاق الکلام والبحث والاستدلال ودخولها میادین الصراع والحروب الدمویة، وکما یقول بعض المتکلمین:

«ما سلّ فی الإسلام سیف کما سلّ فی الإمامة».

ومن هنا فقد تکامل هذا الجانب من العقائد الإسلامیة أکثر من غیره، والِّفت حوله المزید من الکتب، وجری تحقیق کافة جوانبه بالنسبة للذین یریدون دراسته بدقة وتفحص، وإن کان البعض من هذه البحوث غیر منطقی ویدعو إلی التفرقة والتعصب.

أمّا واجبنا نحن فی مثل هذه المسألة المهمّة والحساسة والواسعة فیتلخص فی مایلی:

۱- عزل البحوث المنطقية والاصولية عن غير المنطقية، والبحوث الاستدلالية والمحققة عن البحوث المليئة بالتعصب، والاستناد إلى الكتاب والسنة، والبرهان والعقل، ومن ثم تنظيمها.

۲- مطابقة المسائل المتعلقة «بالإمامة» مع «الولاية والقيادة» والتى هى من تفرعات الولاية الإلهيّة للمعصومين عليهم السلام.

۳- بالنظراً إلى أنَّ هدفنا الحقيقى فى هذا البحث التفسيرى هو ايضاح هذه المسألة من وجهة النظر القرآنية، فيتحتم علينا التمعن والتفسير الدقيق للآيات المتعلقة بالإمامة.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۷

وكما يقول بعض الباحثين: «إن قضية الإمامة لا تخص ماضينا، فحسب فهى قضية العالم الإسلامى المعاصر وقضية الامّة، فهى عامل بقاء واستمرار النبوة وقضية الإسلام المصيرية» «۱».

وبالطبع، فإننا نتناول بالبحث أولًا مسألة القيادة فى عالم الوجود ككُل، ثم فى عالم البشرية، ومن ثم نتطرق إلى قيادة الأئمّة المعصومين عليهم السلام، وفى خاتمة المطاف نتعرض إلى مسألة حكومة وقيادة نوّابهم، ولكن يبدو من الضرورى ذكر بعض الامور:

۱- ماهى الإمامة؟

فيمايتعلق بتعريف الإمامة هنالك اختلاف كثير فى وجهات النظر، ولابدّ من وجود هذا الاختلاف، فالامامة فى نظر طائفة «الشيعة واتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام» من اصول الدين والاسس العقائدية، بينما تعتبر فى نظر طائفة اخرى «أهل السّنة» من فروع الدين والأحكام العملية.

فمن البديهى أن لا تتشابه نظرة الطائفتين إلى مسألة الإمامة، وأن لا يكون لهما تعريف واحد لها.

من هنا نرى أحد علماء السنة يعرِّف الإمامة هكذا: «الإمامة رئاسة عامة فى امور الدين والدنيا، خلافة عن النبى صلى الله عليه و آله» «۲».

واستناداً إلى هذا التعريف، فالإمامة مسؤولية ظاهرية فى حدود رئاسة الحكومة، وغاية الأمر أنّ الحكومة تتأطَّر بإطارٍ دينى، واتخذت طابع خلافة النبى صلى الله عليه و آله «الخلافة والنيابة فى أمر الحكومة»، وبطبيعة الحال يمكن انتخاب مثل هذا الإمام من قبل الناس.

واعتبر البعض أنّ الإمامة تعنى: «خلافة شخص للنبى صلى الله عليه و آله فى إقامة الأحكام الشرعية

---

(۱) الإمامة والقيادة، تأليف آية اللَّه الشهيد المطهرى، ص ۱۳.

(۲) شرح التجريد للقوشجى، ص ۴۷۲

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۸

وحراسة الدين بنحوٍ تكون اطاعته واجبة على جميع الامّة» «۱».

وهذا التعريف لا يختلف عن التعريف الأول نوعاً ما، لأنّه يحتوى على نفس المفهوم والمضمون.

كما أنّ ابن خلدون قد سار على نفس هذا المعنى فى مقدمة تاريخه المعروف «۲».

ويقول المرحوم الشيخ المفيد فى «أوائل المقالات» فى بحث العصمة مايلى: «إنّ الأئمّة القائمين مقام الأنبياء فى تنفيذ الأحكام، وإقامة الحدود، وحفظ الشرائع، وتأديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء» «۳».

فطبقاً لهذا التعريف الذى يجارى مايعتقد به اتباع أهل البيت عليهم السلام أنّ الإمامة أعلى مرتبة وأشمل من الزعامة والحكومة على الناس، بل إنّ جميع مسؤوليّة الأنبياء «سوى استلام الوحى وما شابهه» ثابتٌ للائمة، من هنا فشرط العصمة المتوفر فى الأنبياء متوفر فى الأئمّة أيضاً.

لهذا فقد جرى تعريف الإمامة فى نظر الشيعة كما ورد فى كتاب شرح احقاق الحق كما يلى: «هى منصبٌّ إلهى حائز لجميع الشؤون الكريمة والفضائل إلّاالنبوة وما يلازم تلك المرتبة السامية» «۴».

وبناءً على هذا التعريف، فالإمام ينصب من قبل اللَّه تعالى عن طريق النبى صلى الله عليه و آله، ويمتلك نفس الفضائل والخصائص التى يمتلكها النبى صلى الله عليه و آله «عدا النبوة»، ولا ينحصر عمله فى الحكومة الدينية فقط.

لهذا يعتبر الإيمان بالإمامة جزءً من اصول الدين لا من فروع الدين.

---

(۱) الشرح القديم للتجريد لشمس الدين الاصفهانى نقلًا عن توضيح المراد، تعليقة على شرح تجريد الاعتقاد للسيد هاشم الحسينى الطهرانى، ص ۶۷۲.

(۲) مقدمة ابن خلدون، ص ۱۹۱.

(۳) أوائل المقالات، ص ۷۴.

(۴) احقاق الحق، ج ۲، ص ۳۰۰ (الهامش الأول).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۹

۲- هل الإمامة من الاصول أم من الفروع؟

يتبيّن جواب هذا السؤال ممّا قيل فى البحث السابق، لأنّ الآراء مختلفة فى مسألة الإمامة، يقول «الفضل بن روزبهان» صاحب «نهج الحق» الذى يعتبر «احقاق الحق» رداً عليه، مايلى: «إنّ مبحث الإمامة عند الأشاعرة ليس من اصول الديانات والعقائد بل هى عند الأشاعرة من الفروع المتعلقة بأفعال المكلّفين» «۱».

كما أنّ سائر مذاهب أهل السنّة لا يختلفون مع الأشاعرة فى ذلك، لأنّهم يعتبرونها من التكاليف العملية الموكولة إلى الناس، فى حين أنّ الشيعة واتباع أهل البيت عليهم السلام ونفر قليل من أهل السنة كالقاضى البيضاوى وبعض من اتباعه يعتبرونها من اصول الدين «۲».

والدليل هو أنّهم يعدون الإمامة منصباً إلهياً يجب أن يعين من قبل اللَّه تعالى وأحد شروطهاالعصمة التى لا يعلمها إلّااللَّه، والإيمان بالائمة واجب كالايمان بالنبى صلى الله عليه و آله البانى الأول لقواعد الشريعة، إلّاأنّ هذا لا يعنى أنّ الشيعة يعتبرون المخالفين لهم فى قضية الإمامة كافرين، بل إنّهم يعتبرون جميع الفرق مسلمين، وينظرون إليهم على أنّهم اخوةٌ فى الدين، وإن لم‌يقبلوا آراءَهم فى مسألة الإمامة، ومردُّ ذلك لكونهم يقسمون اصول الدين الخمسة إلى قسمين، الاصول الثلاثة الاولى التوحيد والنبوة والمعاد على أنّها اصول الدين، والإمامة والعدل بأنّها اصول المذهب.

نختتم هذا الكلام بحديث عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام- الذى يعتبر ملهماً لاتباع أهل البيت عليهم السلام- فى مسألة الإمامة: «إنّ الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين، إنّ الإمامة اسُّ الإسلام النامى وفرعه السامى بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وتوفير الفىء والصدقات وامضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والاطراف، الإمام يحلُّ حلال اللَّه، ويحرّم حرام اللَّه، ويقيم حدود اللَّه ويذبُ عن دين اللَّه، ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة» «۳».

---

(۱) احقاق الحق، ج ۲، ص ۲۹۴؛ دلائل الصدق، ج ۲، ص ۴.

(۲) دلائل الصدق، ج ۲، ص ۸

(۳) اصول الكافى، ج ۱، ص ۲۰۰.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۰

۳- متى بدأ البحث فى الإمامة؟

اشارة

بعد رحيل النبى صلى الله عليه و آله جرى جدلٌ حول من يخلف النبى، فطائفة كانوا يعتقدون بأنّ النبى صلى الله عليه و آله لم ينصب احداً لخلافته، واوكل هذا الأمر إلى الأمة، بأنْ يجلسوا ويختاروا قائداً من بينهم، القائد الذى يمسك بزمام الحكم، ويحكم الناس باعتباره موكلًا من قبلهم، وإن لم يجر هذا الاختيار أبداً، بل إنّ مجموعة صغيرة من الصحابة قامت باختيار الخليفة فى مرحلة، وفى المرحلة الاخرى اتخذ انتخاب الخليفة طابعاً تعينياً، وفى المرحلة الثالثة أُوكِلَ هذا الاختيار إلى مجلس من ستة أشخاص كلهم معينون.

ويطلق على اتباع هذا المنحى «أهل السّنة».

وفريق آخر كانوا يعتقدون بوجوب تعيين الإمام وخليفة النبى صلى الله عليه و آله من قبل اللَّه تعالى لأنّه يجب أن يكون مثل النبى صلى الله عليه و آله معصوماً من الزلل والخطأ، وذا علم خارق للعادة لكى يتحمل قيادة الأمة معنوياً ومادياً، ويحفظ أساس الإسلام، ويبيّن مشاكل الأحكام، ويشرح دقائق القرآن، ويعمل على استمرار الإسلام.

ويطلق على هذه الطائفة «الإمامية» أو «الشيعة»، وقد أخذت هذه الكلمة من الأحاديث المعروفة والصادرة عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله.

فقد روى فى تفسير الدر المنثور وهو من المصادر المعروفة لدى أهل السنّة عن جابر بن عبد اللَّه الأنصارى تعقيباً على الآية الكريمة: «اولئكَ هُم خَيرُ البَرِيّةِ»، أنّه قال: كنّا عند النبى فأقبل على عليه السلام فقال النبى صلى الله عليه و آله: «والذى نفسى بيده أنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»، ونزلت: «انَّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اولئكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ». (البينة/ ۷)

فكان أصحاب النبى صلى الله عليه و آله إذا أقبل على، قالوا جاء خير البرية «۱».

ويروى الحاكم النيسابورى وهو من علماء أهل السنة المعروفين فى القرن الخامس الهجرى هذا المعنى فى كتابه المعروف شواهد التنزيل بطرق مختلفة عن النبى صلى الله عليه و آله، وقد

---

(۱) تفسير در المنثور، ج ۶، ص ۳۷۹، ذيل الآية ۷، من سورة البينة.

تجاوز عدد رواياته العشرين.

منها مانقله عن ابن عباس، لما نزلت آية: «انَّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اولئكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ»، قال النبى صلى الله عليه و آله لعلى عليه السلام: «هم أنت وشيعتك» «۱».

وجاء فى رواية اخرى عن أبى بريدة: لما تلا النبى صلى الله عليه و آله هذه الآية، قال لعلى عليه السلام: «هم أنت وشيعتك ياعلى» «۲».

كما ذكر هذا الحديث الكثير من علماء الإسلام لاسيما من أهل السنّة مثل ابن حجر فى صواعقه ومحمد الشبلنجى فى نور الأبصار «۳».

بناءً على شهادة هذه الروايات، فإنّ النبى صلى الله عليه و آله هو الذى إختار لأتباع على عليه السلام ومحبيه هذه التسمية «الشيعة»، فهل يبقى مجال للعجب فى انزعاج البعض من هذا الاسم ويعتبرونه شؤماً ونحساً، ويعدون حرف (الشين) الذى فى مطلعه سبباً «للشر» و «الشؤم» وسائر الألفاظ التى تبتدئ بحرف الشين؟! على الرغم من أنّ حرف (السين) فى مطلع اسم المذهب الآخر، تبترئ به كلمات

من قبيل (السُمّ) و (السَرطان) و (السِلّ) و (السَفاحة) وغير ذلك.

إنّ هذه التعابير تعتبر بحق مثيرة للدهشة بالنسبة للباحث الذى يرغب فى أن يسير فى ظل البراهين المنطقية دائماً. والحال يمكن اختيار كلمات حسنة أو سيئة لكل حروف الهجاء بدون استثناء.

على أيّة حال فتاريخ ظهور الشيعة ليس بعد ارتحال النبى صلى الله عليه و آله بل فى حياته صلى الله عليه و آله، حين اطلق هذه الكلمة على محبى واتباع على عليه السلام، وكلُّ الذين يعتقدون بالنبى صلى الله عليه و آله أنّه رسول اللّه، يعرفون أنّه لا يتكلم عن الهوى «وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوى إنْ هُوَ إِلَّا وَحىٌ يُوحى .

(النجم/ ۳- ۴)

وإذا ما قال لعلى عليه السلام: أنت وشيعتك المفلحون يوم القيامة فهذه حقيقة.

---

(۱) شواهد التنزيل، ج ۲، ص ۳۵۷.

(۲) المصدر السابق، ص ۳۵۹.

(۳) الصواعق، ص ۹۶؛ ونور الابصار ص ۷۰ و ۱۰۱، ومن أجل المزيد من الاطلاع على رواة هذا الخبر والكتب التى ذُكر فيها راجعوا من احقاق الحق، ج ۳، ص ۲۸۷ وما بعدها والجزء ۱۴، ص ۲۵۸.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۲

اصطلاح «الإمام» فى اللغة والقرآن:

كلمة إمام كما قال أرباب اللغة، هى اسم مصدر على وزن «كتاب» وتطلق على كل ما يتجه إليه الإنسان ويقصده، ويختلف معنى هذه الكلمة باختلاف الموارد والجهات التى يستفاد منها لدى استعمالها فيها.

فتارة يقال: إمام الجمعة، وإمام الجماعة، وإمام الهدى واخرى يقال: إمام الضلالة «۱».

وقد جاءت هذه الكلمة فى الأصل من مادة «أمَّ» وتعنى القصد، يقول صاحب مقاييس اللغة: «أمّ» تعنى الأصل والمرجع والجماعة والدين، والإمام تعنى منْ يُؤتمُّ به وهو إمام فى الأفعال.

كما ذكرت معان كثيرة لكلمة إمام فى لسان العرب، منها الإمام، المعلم، والشاقول الذى يستخدم أثناء تشييد المبانى لتنظيم العمل، والسبيل، والمقدمة ونحو ذلك.

إلّا أنَّ مؤلف التحقيق، ارتأى أنَّ أصل جميع هذه المعانى هو القصد المقترن بالاهتمام الخاص، وحتى لو قيل للام «أماً» أو اطلقت كلمة «أم» على أصل وقاعدة كلِّ شىء فهو لأنّها غاية الإنسان ومرامه، كما تفيد كلمة الإمام معنى المقتدى أى من يقصده الناس ويبدون عنايةً خاصة به.

ولابدّ من التذكير بهذه الملاحظة وهى أنّ هذه الكلمة وجمعها «أئمّة» قد وردت فى القرآن الكريم اثنا عشر مرّة تماماً «سبع مرات بصيغة المفرد وخمس مرات بصيغة الجمع».

ففى مورد جاءت بمعنى اللوح المحفوظ: «وَكُلَّ شَىءٍ احْصَيْنَاهُ فِى امَامٍ مُبِينٍ». (يس/ ۱۲)

ولأنه قائد ودليل الملائكة لتمييز أعمال العباد، وكلهم يستلهمون منه، واستخدمت أيضاً مرّة واحدة بمعنى السبيل والطريق: «وَانَّهُمَا لَبِإمَامٍ مُّبِينٍ». (الحجر/ ۷۹)

لأنّ الإنسان ومن أجل بلوغ هدفه يهتم بالسبل، وقد اطلق على التوراة بأنّها إمام اليهود مرتين: «وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى امَامَاً وَرَحْمَةً». (الاحقاف/ ۱۲) (هود/ ۱۷)

واطلقت خمس مرات على الأئمّة الصالحين مثل قوله: «قَالَ انِّی جَاعِلُکَ لِلنَّاسِ امَامَاً».

(البقرة/ ۱۲۴)

---

(۱) التحقيق، مادة (أمّ).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۳

وفی مكان آخر يقول تعالى بشأن فئة من الأنبياء: «وَجَعَلْنَاهُم ائمّةً يَهْدُونَ بِامْرِنَا».

(الأنبياء/ ۷۳)

كما ورد هذا المفهوم العام والجامع فی الآيات (۷۴ من سورة الفرقان، و ۵ من سورة القصص، و ۲۴ من سورة السجدة أيضاً).

وذكرت أيضاً بمعنى أئمّة الكفر والضلالة فی مورد واحد: «فَقَاتِلُوا ائِمّةَ الكُفْرِ».

(التوبة/ ۱۲)

واطلقت أيضاً فی حالة واحدة على مفهوم يشمل أئمّة الهدى والضلال: «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ انَاسٍ بِإِمَامِهِم». (الاسراء/ ۷۱)

على أيّة حال، فموارد استخدام هذه الكلمة فی القرآن اثنى عشر مورداً تماماً.

۴- عظمة منزلة الإمام فی القرآن الكريم

إنّ مسألة الإمامة والقيادة كما سنتطرق إليها فيما بعد ليست مسألة دينية وتشريعية فحسب، بل إنّ عالم الخلق والتكوين يخضع لها، اللّه هو إمام عالم الوجود ومكوناته المختلفة، وهو يهديها ويدبرها جميعاً.

ويعطى القرآن الكريم أهمّيّة خاصة للإمامة ويعتبرها آخر مرحلة من مسيرة تكامل الإنسان، لم يصلها إلّااولوا العزم من الأنبياء، إذ يقول تعالى «وَاذِ ابتَلَى ابرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَّهُنَّ قَالَ انِّی جَاعِلُکَ لِلنَّاسِ امَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَتِی قَالَ لايَنَالُ عَهدِی الظَّالِمِينَ».

(البقرة/ ۱۲۴)

هنالک جدل كثير بين المفسرين حول هذه الكلمات التی اشير إليها فی مطلع الآية، وكما يقول صاحب روح المعانی: لقد ذكروا حولها ثلاثة عشر قولًا «۱».

إلّا أنّ ما يبدو صحيحاً هو أنّ المراد من هذه الكلمات هو «الأوامر والنواهی» التی تلقى

---

(۱) تفسير روح المعانی، ج ۱، ص ۳۳۶.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۴

التكاليف الثقيلة والصعبة على كاهل إبراهيم عليه السلام، ليتمحص- جيداً- فی الابتلاء، وهی عبارة عن التصدی الشجاع لعبدة الأوثان، وتحطيم الأصنام، وإلقائه فی النار، والاستقامة والثبات فی جميع هذه المراحل.

وكذلک الاستعداد للتضحية بفلذة كبده، والتوجه به إلى مكان الذبح ووضع السكين على رقبته، ولم ينشغل بعياله وتركهم فی صحراء مكة القاحلة الرمضاء، غير المسكونة، وأخيراً الهجرة من بلاد عبدة الأوثان والتخلی عن الحياة من أجل أداء رسالته، وحقاً أنَّ كلًا منها كان اختباراً قاسياً وصعباً، إلّاأنّ إبراهيم قد خرج من جميع تلك الاختبارات ظافراً وذلک بفعل قوة الإيمان والثبات والصبر.

وقد أحصى بعض المفسرين الموارد التی ابتلی بها إبراهيم أنّها بلغت ثلاثين ابتلاءً، ويقولون: إنّ هذه الموارد الثلاثين قد ذُكرت فی ثلاثة آيات من القرآن الكريم، فقد ذُكرت «عشرة منها» فی الآية ۱۲۳ من سورة التوبة، و «عشرة» فی الآية ۳۵ من سورة الأحزاب، وذُكرت «عشرة منها» فی الآيات ۱ إلى ۹ من سورة «المؤمنون» إذ يصبح مجموعها ثلاثين وصفاً أو ثلاثين مادة امتحانية «۱» ولكن نظراً

إلى أنّ جانباً مهماً من هذه الصفات قد تكرر ذكره وأنّ عددها لا يصل إلى الثلاثين، فإنّ هذا الكلام لا يحظى بالقبول نوعاً ما.

على أيّة حال فقد خرج إبراهيم بطل تحطيم الأصنام، والنبى المخلص والمضحى ظافراً من جميع تلك الابتلاءات القاسية والصعبة فاستحق ارتداء جلباب الإمامة، وشرفه اللّه بهذا الخطاب المفعم بالفخر: «انِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ امَامًا».

ما هو هذا المقام الذى ناله إبراهيم فى آخر عمره بعد نيله مقام النبوة والرسالة، وبعد ذلك الجهاد الطويل؟

من المسلم به أنّه كان أسمى وأرفع منها جميعاً، فمن اجتاز ذلك الاختبار الصعب يستحق هذه المكرمة الإلهيّة.

---

(۱) تفسير روح المعانى، ج ۱، ص ۳۳۵ (وقد اضاف عليها بعض المفسرين سورة المعارج وقالوا: إنّها جاءت فى أربع سورٍ من القرآن).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۵

لقد كان للمفسرين جدالٌ طويل فى تفسير معنى الإمامة، وحيث إنّ بعضهم لم يستطع بلوغ أسرار المعنى السامى لهذه الكلمة، فقد وقعوا فى متاهات عجيبة.

والأعجب من ذلك هو أنّ طائفة من مشاهير المفسرين قد فسّروها بمعنى النبوة، بينما من المسلم به أنّ إبراهيم عليه السلام كان نبياً وقتذاك، وقد فاتت سنوات على نبوته ورسالته، وأصبح ذا ذرية، وفى سياق الآية يطلب الإمامة لأبنائه وذريته أيضاً.

يرى الكثير من المفسرين أنّ الكلمات التى ابتلى اللّه تعالى بها إبراهيم عليه السلام كانت عبارة عن مجموعة من التعاليم والأوامر التى أمره بها اللّه تعالى كمقارعة عبدة الأوثان وبناء الكعبة وذبح ابنه، إلّاأنّهم والحالة هذه قد فسّروا الإمامة بالنبوة، مع العلم أنّ هذه الأوامر وهذه التضحيات كانت بعد بلوغ إبراهيم عليه السلام مقام النبوة، وأنّ عبارة: «انِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ امَامًا» غامضة تماماً فى تفسيرهم.

والمعنى الآخر الذى قالوه بصدد الإمامة هو وجوب الطاعة، ولا يخفى أنّ إطاعة كل نبى واجبة ولا حاجة له إلى نيل مقام آخر «۱».

وقد ذكر البعض تفسيراً ثالثاً لها وقالوا: المراد هو الرئاسة فى امور الدين والدنيا، أو بتعبير آخر: زعامة الحكم.

إنّ هذا التفسير وإن كان أفضل من سابقيه إلّاأنّه لم يدخل إلى عمق معنى الإمامة.

وحسب اعتقادنا واستناداً إلى سائر آيات القرآن التى تبحث فى مجال الإمامة، فإنّ المقصود بالإمامة هنا أنّها مقام أسمى وأرفع من هذا كله، وهو تطبيق الأحكام، وتنفيذ الحدود الإلهيّة، وتربية وتهذيب ظاهر وباطن الإنسان.

وللتوضيح أكثر أنّ الهدف من بعثة الأنبياء وارسال الرسل هو هداية المجتمع البشرى، وهذه الهداية تتخذ بعدين، الأول: الهداية التى تعنى «اراءة الطريق» أى ما كلف به أىُّ نبىٍّ من الأنبياء، والثانى: «الايصال إلى المطلوب» وهو يتفرع إلى فرعين:

---

(۱) ذكر تفاسير روح البيان؛ والكشاف والمراغى؛ والقرطبى؛ والمنار؛ سُنن إبراهيم العشرة المعروفة؛ والأوامر والنواهى الإلهيّة، ومجموعة هذه التعليمات.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۶

الفرع الأول: الهداية التشريعية، وتطبيق الأحكام الدينية، سواء عن طريق إقامة الحكم وتطبيق الحدود والأحكام الإلهيّة والعدالة الاجتماعية، أو عن طريق تربية وتعليم النفوس بشكل عملى، وكلاهما يؤدّى إلى تحقيق اهداف الأنبياء، ويحتاج إلى مخطط مرهق وصعب للغاية، وإلى مواصفات كثيرة كالعلم والتقوى والشجاعة والإدارة.

الفرع الثانى: الهداية التكوينية والهداية إلى المطلوب من خلال التأثير والنفوذ المعنوى والروحى وتوجيه شعاع الهداية إلى افئدة ذوى الاستعداد من الناس، وهذا يتطلب من أىّ نبىّ أو إمام أن يكون حسن السيرتين، الظاهرية والباطنية وهى التى كانت للأنبياء والأئمّة ازاء أتباعهم، ومن المسلم به أنّ مثل هذا الأمر يتطلب المزيد من المواصفات والمزايا والقابليات.

فمجموع هذين المخططين يحقق أهداف الدين والرسالات الإلهيّة، ويوصل ذوى الاستعداد من البشر إلى التكامل المادى والمعنوى، الظاهرى والباطنى، وهذا هو المراد من الإمامة فى الآية المذكورة، ولم ينل إبراهيم عليه السلام هذا المقام من دون أن يؤدّى الامتحان لنيل تلك المؤهلات والصفات.

ويستفاد ممّا تقدم أنّ مقام «الإمامة» يشترك مع مقام «النبوة» فى الكثير من الحالات، وبإمكان نبيّ من اولى العزم كإبراهيم أن يبلغ مقام الإمامة أيضاً، والأكثر وضوحاً من ذلك هو أنّ اجتماع مقام «النبوة» و «الرسالة» و «الإمامة» فى خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله متحقق فعلًا.

ويمكن أن ينفصل مقام الإمامة عن مقام النبوة والرسالة، كما فى الأئمّة المعصومين عليهم السلام الذين يعلمون مسؤولية الإمامة فقط، من دون أن ينزل عليهم الوحى ويكونوا «رسلًا» أو «أنبياء».

على أيّة حال، فمن خلال مطلع هذه الآية تتضح جيداً عظمة مقام الإمامة، وأن تعيين الإمام من قبل اللَّه تعالى «قَالَ انِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ امَاماً».

وذيل هذه الآية يوكّد كثيراً على هذا الموضوع، فهو يقول: إنّ إبراهيم عليه السلام لما أُعطى هذا المقام قال: «ومن ذرّيتى».

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۷

فجاءه الخطاب قائلًا: «لا ينال عهدى الظالمين»، أى أن النفر من ذرّيتك الذين لم يظلموا، وكانوا معصومين ومطهرين هم المؤهلون لهذا المنصب فقط.

لا شك فى أنّ الظلم فى هذه العبارة ليس ظلم الآخرين فحسب، بل الظلم بالمعنى الشامل الذى يقابل العدالة، و «العدالة» بمفهومها الواسع تعنى وضع الشىء فى محله، والظلم يعنى وضعه فى المحل الذى لا يناسبه، لذا ينقل القرآن الكريم عن لسان لقمان حيث يقول لابنه: «يَا بُنَيَّ لَاتُشْرِكْ بِاللَّهِ انَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ». (لقمان/ ۱۳)

كما يتضح أنّ العدالة هنا تعنى العدالة التامة، أو بتعبير آخر مقام العصمة الذى يتناسب والإمامة بمفهومها الشامل، وإلّا فالعدالة القابلة للنقص والاقتران بالذنب لا تتلائم مع مقام الإمامة بمعناها الرفيع أبداً.

وبناءً على ذلك يمكن الاستدلال بالآية أعلاه لإثبات عصمة الإمام أيضاً، بَيدَ أنّ الكلام فى الصفات هل يكون مقروناً بالعدالة وترك جميع أشكال الذنب مدى الحياة، أم أثناء التصدى للإمامة؟ فالبعض واستناداً إلى البحث الاصولى المشهور من أنّ فى المشتق الحقيقى «من تلبس بالمبدأ» هو فى حال النسبة- أى حينما ننسب صفة من الصفات لأحد يجب أن يمتلك تلك الصفة فى حال نسبتها إليه، فمثلًا تطلق كلمة القائم على الذى يتمتع بصفة القيام أثناء نسبة هذه الصفة إليه، ولا تطلق على الذى كان قائماً وقد جلس الآن- يعتقد أنّ مفهوم الآية هو عدم تمتعه بصفة الظلم أثناء توليه الإمامة، لا بشرك ولا بذنب، وليس ملوثاً بأى معصية اخرى وعليه فالعدالة والعصمة لا تشمل بداية الحياة.

إلّا أننا نقرأ فى الروايات أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام واتباعاً لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله قد استدلوا بهذه الآية على العدالة فى جميع مراحل العمر: إذ ينقل عبد اللَّه بن مسعود عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّ اللَّه تعالى قال لإبراهيم عليه السلام: «لا اعطيك عهداً للظالم من ذريتك، قال: ياربّ ومن الظالم من ذرّيتى الذى لا ينال عهدك؟ قال من سجد لصنم من دونى لا اجعله إماماً أبداً ولا يصلح أن يكون إماماً» «۱».

---

(۱) أمالى الشيخ المفيد، (مطابق لنقل تفسير البرهان ج ۱، ص ۱۵۱ ح ۱۳).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۸

وقد نقل هذا المعنى ابن المغاربى عالم أهل السّنة المعروف فى كتاب «المناقب» عن ابن مسعود عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله

مع قليل من الاختلاف، إذ يقول: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى تفسير هذه الآية: قال اللَّه تعالى لإبراهيم عليه السلام ما معناه: «مَنْ سَجدَ لصنم من دونى لا اجعله إماماً».

ثم أضاف صلى الله عليه و آله: «وانتهت الدعوة إلىَّ وإلى أخى على، لم يسجد أحدنا لصنم قط» «۱».

وقد نقلت روايات اخرى عن طريق ائمة أهل البيت عليهم السلام فى الكتب المعتبرة بهذا الصدد أيضاً، وتضم مجموعة هذه الروايات هذه النكتة وهى: إنّ النبى إبراهيم عليه السلام كان أعلم وأذكى من أن يسأل اللَّه الإمامة للذين كانوا مشركين أو ظالمين، ولم تكن هنالك حاجة للرد عليه بأنّ الظالمين لا تشملهم هذه الهبة، لأنّ الأمر واضح.

فعلى هذا الأساس، لو سأل اللَّه شيئاً فمن المسلم به أنّه كان للذين كانوا ظالمين أو مشركين فى وقت ما ثم تابوا واصلحوا، وفى هذا المجال سمع الجواب بأنّ عهد الإمامة لا يشمل مثل هؤلاء، أى أن لا يكونوا ذوى سابقة فى الظلم والشرك.

يقول المفسر الشهير العلّامة الطباطبائى فى «الميزان»: «سأل بعض أساتذتنا عن تقريب دلالة الآية على عصمة الإمام، فأجاب: إنّ الناس بحسب القسمة العقلية على أربعة أقسام:

۱- من كان ظالماً فى جميع عمره.

۲- من لم يكن ظالماً فى جميع عمره.

۳- من هو ظالم فى أول عمره دون آخره.

۴- ومن هو بالعكس.

وإن إبراهيم عليه السلام أجلُّ شأناً من أنْ يسأل الإمامة للقسم الأول والرابع من ذرّيته، فبقى قسمان، وقد نفى اللَّه أحدهم (وهو الذى يكون ظالماً فى أول عمره دون آخره، فبقى الآخر) وهو الذى يكون غير ظالم فى جميع عمره .. (تأملوا جيدا)» «۲».

وقد اعترف الفخر الرازى فى تفسيره بأنّ الآية دليل على عصمة الأنبياء، واللطيف هو

---

(۱) المناقب لابن المغازلى، مطابق لنقل تفسير الميزان ج ۱، ص ۲۷۸ فى ذيل الآية مورد البحث.

(۲) تفسير الميزان، ج ۱، ص ۲۷۴.

«إنّه يثبت هذا الأمر من خلال وجوب عصمة الإمام وأنّ كل نبى إمام» (تأملوا جيداً أيضاً) «۱».

وبطبيعة الحال يستفاد من هذه الآية مطالب اخرى بشأن الإمامة ووجوب عصمة الإمام، وتنصيبه من قبل اللَّه وغير ذلك مما لا يسع المقام لبحثه.

والآن وعلى ضوء ما مرّ تتضح عظمة وجلالة الإمامة فى نظر القرآن الكريم، وقد كان غرضنا هنا بيان هذه النقطة.

۵- فلسفة وجود الإمام

بالرغم من اتضاح فلسفة وجود الإمام بنحو إجمالى فى البحث السابق من خلال الاستعانة بالآيات المتعلقة بإمامة إبراهيم عليه السلام إلّاأنّ هذا الموضوع مهم إلى الحد الذى يتطلب فتح بحث مستقل له.

وبشكل عام فإنّ الكثير من الامور التى تذكر على أنّها الأهداف من بعثة الأنبياء أو فلسفة وجودهم، تصدق بحق الإمام أيضاً.

لقد تطرق الخواجة نصير الدين الطوسى قدس سره إلى بيان فلسفة بعثة الأنبياء فى فصل النبوة من كتاب تجريد الاعتقاد وأشار العلّامة الكبير الحلّى فى شرح ذلك الكلام إلى تسع نقاط من هذه الفلسفة إجمالًا ندرجها كما يلى، ونضعها أمام القارىء الكريم، وكما سنلاحظ فإنّ الكثير منها يصدق على قضية تعيين الأئمّة المعصومين عليهم السلام أيضاً:

۱- ترسيخ المعرفة العقلية عن طريق البيان النقلى، من هنا فإنّ الإنسان يدرك الكثير من الحقائق سواء فى الاصول أو فى فروع الدين من خلال القوة العقلية، إلّاأنَّ الوساوس قد تغزو قلبه أحياناً، وهذا الاضطراب يحول دون أدائها، أما إذا تم تأييد وترسيخ هذه الأحكام العقلية بكلام الأئمّة المعصومين فستزال جميع أشكال الغموض والاضطراب، ويسعى الإنسان لأدائها برباطة جأش.

---

(۱) التفسير الكبير، ج ۴، ص ۴۳.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۰

۲- فى بعض الأحيان يحذر الإنسان من القيام ببعض الأعمال وذلك لخوفه من الإتيان بتصرف فى حدود سلطة اللَّه وهيمنته مخالف لإرادته فيكون كلام الإمام رافعاً لذلك الحذر والخوف.

۳- لا تجتمع اعمال الإنسان فى حدود «الحسن والقبح العقليين»، وما أكثر الامور التى لا يدرك عقل الإنسان حسنها وقبحها، فهنا لابدّ من الاقتداء بالقادة الإلهيين، لإدراك حسنها وقبحها.

۴- إنّ بعض الأشياء نافع وبعضها الآخر مضرٌ، ولا قدرة للإنسان على إدراك نفعها وضررها من خلال تفكيره فقط بدون إرشاد القادة الإلهيين، فهنا يشعر بالحاجة إليهم.

۵- إنّ الإنسان موجودٌ اجتماعى، وهو عاجز عن حل مشاكل حياته بدون التنسيق والتعاون مع الآخرين، ومن المسلَّم به أنَّ المجتمع لن يستقيم ولن يبلغ الكمال المطلوب مالم يمتلك القوانين التى تحافظ على حقوق جميع الأشخاص، وتأخذ بأيديهم نحو الصراط المستقيم، فتشخيص هذه القوانين بشكل صائب ومن ثم تطبيقها لن يحصل إلّاعن طريق القادة الواعين والطاهرين والمعصومين.

۶- إنّ الناس يتفاوتون فى إدراك الكمالات وكسب العلوم والمعارف والفضائل، فالبعض يمتلك القدرة على السير فى هذا الطريق، والآخر عاجزٌ، فالقادة الإلهيون يقومون بترسيخ الفئة الاولى وإعانة الفئة الثانية كى تصل الفئتان إلى الكمال الممكن.

۷- إنّ النوع الإنسانى بحاجة إلى مستلزمات وصناعات وعلوم، ويستطيع القادة الربانيون تأمين هذه المستلزمات وذلك من خلال توجيه المجتمع نحو الحصول عليها.

۸- إنّ المراتب الأخلاقية متفاوتة لدى الناس، والسبيل الوحيد لتنمية هذه الفضائل هو سبيل القادة الإلهيين الطاهرين والمعصومين.

۹- إنّ الأئمّة مطلعون على الثواب والعقاب والأجر والجزاء إزاء الطاعة والمعصية، وعندما يُعلِّمون الآخرين هذه الامور فهم يخلقون لديهم حافزاً قوياً لأداء الواجبات «۱».

---

(۱) شرح التجريد، ص ۲۷۱ (مع قليل من الاختصار والاقتباس).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۱

ونظراً إلى أنّ الأئمّة ليسوا سوى استمرار لخط النبوة، فإنّ أغلب هذه الفلسفات بالإمكان تحقيقها بواسطة الأئمّة المعصومين عليهم السلام أيضاً.

وفى القرآن الكريم تتلخص هذه الامور بل وحتى أكثر منها فى ثلاثة مواضيع وهى:

«التعليم» و «التربية» و «القيام بالقسط» التى اشير إليها فى آيات عديدة، فيقول تعالى بشأن الفلسفة من بعثة النبى صلى الله عليه و آله «هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الامّيّينَ رَسُولًا مِّنْهُم يَتْلُوا عَلَيهِم آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَانْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ». (الجمعة/ ۲)

فقد تمّت الإشارة هنا إلى مسألة «التعليم» و «التربية» التى هى أهم أهداف الأنبياء والأئمّة المعصومين عليهم السلام.

وفى مكان آخر يقول تعالى «لَقَدْ ارْسَلنَا رُسُلَنَا بالبَيِّنَاتِ وَانْزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ». (الحديد/ ۲۵)

وقد اشير هنا إلى العدالة الاجتماعية والقيام بالقسط الذى يوفر الأرضية المناسبة «للتعليم» و «التربية» الصحيحة.

نعم، فالزعماء العاديون فى العالم يفكرون:

أولًا: بصيانة مكانتهم ومصالحهم الشخصية أو الحزبية، لهذا فهم دائماً يضحون بمصالح المجتمعات البشرية من أجل مصالحهم الخاصة، أمّا القادة الطاهرون والمعصومون واتباعهم فهم وحدهم الذين يستطيعون المحافظة على حقوق الإنسان والمصالح العامة للمجتمع الانسانى كما ينبغى.

ثانياً: هَب أنّ الزعماء غير الربانيين يريدون تطبيق العدالة وقيادة المجتمعات البشرية نحو الكمال المطلوب، فإنّ تشخيص هذه الامور فى الكثير من الحالات غير ممكن بالنسبة لهم، فهم يستطيعون فى هذه الحالة أن يشخصوا الامور ولكنّ تشخيصهم ناقص وغير دقيق.

وهذا الأمر- التشخيص الدقيق- ممكن فقط بالنسبة للقادة الربانيين الذين يعتمدون على البحر اللامتناهى من العلم الإلهى.

وقد أثبتت تجربة السبعين سنة من الحكم الشيوعى على نصف سكان الكرة الأرضية

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۲

هذه الحقيقة بوضوح، فلقد كرسوا أوسع وأعظم جهاز اعلامىّ لترسيخ دعائم الماركسية، وقدموا الملايين من الكتب والكراسات والمقالات والخطب على هذا الصعيد، وزعموا بأنّ الشيوعية هى الطريق الوحيد لحل مشاكل المجتمع البشرى وتأمين العدالة الاجتماعية، وتكامل النوع الإنسانى، وأفضل وسيلة للتفسير الصحيح للتاريخ والعلوم الاجتماعية، وقمعوا المعارضين لهم بشتى الأساليب، لكننا رأينا أنّها لم تجلب سوى التعاسة والتخلف والديكتاتورية، وفى خاتمة المطاف اضطر مفكروهم إلى الاعتراف بأنّ ما كانوا يتصورونه الطريق الحقيقى للسعادة لم يكن إلّاانحطاطاً وتخلفاً للمجتمع الإنسانى! وربّما لم يشهد التاريخ نظيراً لهذه القضية، إذ تدافع طائفة كبيرة من المفكرين والعلماء واساتذة الجامعات عن عقيدة ما، وفى النهاية يتضح أنَّ ماكانوا يؤمنون به فارغٌ من أى محتوى

فما الضمان لعدم حدوث مثل هذه الحالة فى المستقبل، وعدم تلوث عقائد المجتمع الإنسانى بهذه الأفكار المضلّة؟

ومن هنا تبرز ضرورة الاستفادة من أفكار الأنبياء والأئمّة المعصومين عليهم السلام المصانين من الزلل والخطأ من قبل اللّه تعالى

وخلاصة الكلام هى أنّ الإله الذى خلق النوع الإنسانى وأمره بالسير فى طريق الكمال والسعادة، وأرسل الأنبياء المعصومين الذين يتلقون الأوامر الإلهيّة بواسطة الوحى، من أجل «تبيين الطريق» و «الايصال إلى المطلوب»، فلابدّ أن يجعل أئمّة معصومين لخلافة الأنبياء بعد رحيلهم وذلك من أجل استمرار هذا الطريق، وليعينوا المجتمع البشرى فى الهداية إلى الطريق والايصال إلى المطلوب، ومن المسلم به أنَّ هذا الهدف سيبقى ناقصاً بدونهم للأسباب التالية:

أولًا: من المتيقن أنّ العقول البشرية لا تستطيع تشخيص جميع عوامل وأسباب التقدم والرّقى وحدها، وقد لا تشخص عُشر ذلك.

ثانياً: ربّما يتعرض دين الأنبياء بعد ارتحالهم لانواع التحريف، فلابدّ من الحرّاس المعصومين والربانيين ليحافظوا عليه ويحولوا بين تحريف المبطلين وبين بلوغ مآربهم،

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۳

وآراء الجهلة وتفسيرات أصحاب الأهواء والمآرب.

وهذا ما يشير إليه الحديث المعروف الوارد فى اصول الكافى عن الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول: «إنَّ فينا أهل البيت فى كل خَلف عُدولًا ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين» «۱».

وكذلك ما أشار إليه الإمام على عليه السلام فى احدى كلماته القيمة، إذ يقول: «اللّهم بلى لا تخلو الأرض من قائم للّهبحجّة إمّا ظاهراً مشهوراً، وإمّا حافياً مغموراً لئلا تبطُل حجج اللّه وبيناته» «۲».

ثالثاً: من المتعذر اقامة الحكومة الإلهيّة التى توصل الإنسان إلى الغاية التى خلق من أجلها، إلّاعن طريق المعصومين، لأنّ الحكومات

البشرية- ووفقاً لشهادة التاريخ- كانت غالباً ما تسير فى خط المصالح الشخصيه، أو الفئوية، وأنّ جميع مساعيها كانت فى هذا الاتجاه، وكما جرّبنا مراراً وتكراراً أنّ شعارات «الديمقراطية» و «حكم الشعب للشعب» و «حقوق الإنسان»، وما شابه ذلك ماهى إلّاقناعٌ للوصول إلى أهدافهم الشيطانية عن طريق أسهل، فقد فرضوا أغراضهم على الشعوب بشكل خفى ومن خلال استغلال هذا المنطق وهذه الأدوات.

إنّ هذه الاصول الثلاثة أى «تبيين الطريق» الذى يعجز العقل عن تشخيصه، و «المحافظه على ميراث الأنبياء» و «إقامة حكومة العدل»، تمثل بالواقع الاسس الحقيقية لفلسفة وجود الإمام المعصوم.

ونختم هذا الحديث بكلام للإمام على بن موسى الرضا عليه السلام حيث يعتبر من أكثر الكلمات شمولية فيما يتعلق بفلسفة الإمامة، وحديث من نهج البلاغة لأمير المؤمنين عليه السلام:

---

(۱) اصول الكافى، ج ۱، ص ۳۲، باب صفة العلم، ح ۲.

(۲) نهج البلاغة، كلمات القصار، الكلمة ۱۴۷.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۴

الحديث الأول الذى تحدث به عليه السلام يوم الجمعة فى المسجد الجامع فى مدينة (مرو) بحضور حشد من الناس، يتناول مسائل كثيرة، نشير هنا إلى جانب منه، قال عليه السلام:

«إنّ الإمامة هى منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء، إنّ الإمامة خلافة اللّه وخلافة الرسول ... الإمام البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادى فى غياهب الدجى ... الإمام الماء العذبُ على الظماء والدال على الهدى والمنجى من الردى ... الإمام السحاب الماطر، والغيث الهاطل، والشمس المضيئة ... الإمام أمين اللّه فى خلقه، وحجته على عباده، وخليفته فى بلاده ... نظام الدين، وعز المسلمين، وغيظُ المنافقين، وبوار الكافرين» «۱».

وفى عبارة قصيرة يصور أمير المؤمنين عليه السلام روح الإمامة، فيقول:

«ومكان القيّم بالأمر مكان النظام من الخرز، يجمعه ويضمه، فاذا انقطع النظام تفّرق الخرز والذهب ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً» «۲».

---

(۱) اصول الكافى، ج ۱، ص ۲۰۰، باب نادر جامع فى فضل الإمام.

(۲) نهج البلاغة، الخطبة ۴۶.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۵

۱- الولاية والأمامة العامة فى القرآن الكريم

تمهيد:

هنالك بحثان مستقلان فى موضوع الولاية وهما:

۱- «الولاية العامة» أىلابدّ من وجود إمام بين الناس منصَّب من قبل اللّه، دائماً وفى كل عصر، سواءً كان يتمتع بمقام النبوة والرسالة، أو بمقام الولاية فقط.

۲- «الولاية والإمامة الخاصة» أىمن الذى يتصدى لهذا المنصب والمقام الإلهى بعد النبى صلى الله عليه و آله؟

وبتعبير آخر: كما أنّ النبوة تتفرع إلى «نبوة خاصة» و «نبوة عامة»، فكذلك الإمامة.

وقد ورد فى القرآن الكريم مايشير إلى الولاية العامة ندرجه فيما يلى:

۱- «انَّمَا انْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلّ قَوْم هَادٍ». (الرعد/ ۷)

۲- «يَا ايُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ». (التوبة/ ۱۱۹)

۳- «اطِيعُوا اللّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَاولِى الأَمرِ مِنْكُم». (النساء/ ۵۹)

آية الانذار والهداية:

ففى الآية الاولى يخاطب اللّه تعالى النبى صلى الله عليه و آله: «انَّمَا انْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلّ قَومٍ هَادٍ».

ينقل الفخر الرازى ثلاثة أقوال فى تفسير هذه الآية:

الأول: إنّ «المنذر» و «الهادى» شىء واحد، وعليه يكون مفهوم الآية كما يلى:

«انَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَهادٍ لِكُلِّ قَومٍ».

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۶

الثانى: المنذر هو النبى صلى الله عليه و آله والهادى هو اللّه تعالى

الثالث: المنذر هو النبى صلى الله عليه و آله والهادى هو على عليه السلام، إذ يقول ابن عباس: إنّ النبى قد وضع يده على صدره وقال: «أنا المنذر ثم أومأ إلى منكب على عليه السلام وقال: أنت الهادى ياعلى، بك يهتدى المهتدون من بعدى» «۱».

وقد نقلت مجموعة اخرى من المفسرين هذه التفاسير الثلاثة، فيما أصرَّ بعض مفسرى أهل السُنّة على أنّ تفسير الآية أحد التفسيرين الاولين، لأنّ التفسير الثالث لا يتناسب ونمط تفكيرهم الملىء بالتعصب.

بينما لا يتناسب التفسير الأول مع ظاهر الآية، فلو كان مقرراً أن يكون الوصفان لرسول اللّه صلى الله عليه و آله لقال: إنّما أنت منذرٌ وهادٍ لكل قوم، وبتعبير آخر لاينبغى تقديم «لكل قوم» وهو جار ومجرور على «هادٍ»، وإذا ما تقدم فيجب أن يتقدم على الوصفين فيقال: إنّما أنت لكل قوم منذرٌ وهاد، وخلاصة القول: إنّه لا يبدو هنالك مبرر لتقديم لكل قوم على وصف وتأخيره عن الآخر، أو لابدّ من تقديمه عليها أو تأخيره عنها (تأملوا جيداً).

والتفسير الثانى غير مألوف ولا مناسب، لأنّ كون اللّه هادياً فلا شك فيه حتى يحتاج إلى بيان، أضف إلى أنّ ظاهر العبارة هو أنّ لكل عصر وزمان هادٍ خاص. والحال أنّ اللّه واحدٌ أحد، فهذه الوحدانية لا تنسجم والتعددية التى تستفاد من عبارة لكل قوم هادٍ.

بناءً على ذلك فالتفسير الوحيد الذى يحظى بالقبول هو: إنّ النبى صلى الله عليه و آله منذرٌ ولكل قوم فى كل عصر ودهرٍ «هادٍ».

فهل هذا الهادى إشارة إلى علماء كل قوم وكل زمان؟

الاجابة عن هذا السؤال سلبية أيضاً، فهنالك علماء عديدون فى كل عصر ودهر وليس هادٍ واحد، فكما كان النبى صلى الله عليه و آله واحداً فهادى المسلمين واحدٌ فى كل عصر وزمان.

وبتعبير آخر، أنَّ النبى صلى الله عليه و آله مؤسس الدين عن طريق الانذار، والإمام يواصل طريقه من خلال الهداية.

إنَّ هذه النكات تستفاد من الآية نفسها، ولو بحثنا عن الروايات المنقولة عن طريق أهل

---

(۱) التفسير الكبير، ج ۱۹، ص ۱۴.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۷

السنة والشيعة بهذا الصدد لاتضحت المسألة أكثر.

ففى تفسير الدر المنثور وهو من تفاسير أهل السنة المعروفة «تأليف جلال الدين السيوطى» المتوفى عام ۹۱۰ ه ق، والقائم على أساس

تفسير الآيات والروايات، ينقل روايات عديدة فى تفسير هذه الآية عن النبى صلى الله عليه و آله:

۱- يروى عن ابن جرير وابن مردويه وأبى نعيم والديلمى وابن عساكر وابن النجار: لما نزلت «انَّمَا انتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَومٍ هَادٍ» وضع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يده على صدره فقال: «أنا المنذر، وأومأ بيده إلى منكب على عليه السلام فقال: أنت الهادى يا على، بك يهتدى المهتدون من بعدى» «۱».

۲- يقول أبو بريدة الاسلمى: سمعت من النبى صلى الله عليه و آله بشأن هذه الآية «۲» وقد وضع يده على صدره وقال: «إنّما أنت منذرٌ، ووضع يده على صدر على عليه السلام وقال: لكل قوم هاد».

۳- وفى الكتاب نفسه ينقل عن «عبد اللَّه بن أحمد» و «ابن أبى حاتم» و «الطبرانى» و «الحاكم» و «ابن مردويه» و «ابن عساكر» عن على عليه السلام فى تفسير الآية: «إنّما أنت منذر ولِكُلّ قوم هَاد» قال: «رسول اللَّه المنذر، وأنا الهادى» «۳».

۴- ونقرأ فى رواية اخرى عن ابن عباس، أنّ النبى صلى الله عليه و آله قال: «أنا المنذر وعلى الهادى، وبك يا على يهتدى المهتدون».

وقد أورد هذا الحديث طائفة من مشاهير حفاظ أهل السنة منهم: «الحاكم» فى «المستدرك» و «الذهبى» فى «التلخيص» و «الفخر الرازى» و «ابن كثير» فى «تفسيريهما»، و «ابن الصباغ المالكى» فى «الفصول المهمّة» و «الكلبنجى الشافعى» فى «كفاية الطالب» و «العلّامة الطبرى» فى «تفسيره» و «ابن حيان الاندلسى» فى «البحر المحيط» و «النيشابورى» فى «تفسيره»، و «الحموينى» فى «فرائد السمطين» وطائفة اخرى فى كتبهم التفسيرية «۴».

---

(۱) تفسير در المنثور، ج ۴، ص ۴۵.

(۲) المصدر السابق.

(۳) المصدر السابق.

(۴) للاطلاع على هذا الحديث ووثائقه راجعوا كتاب احقاق الحق، ج ۳، ص ۸۸- ۹۹.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۸

۵- يقول «مير غياث الدين» مؤلف كتاب «حبيب السير»: «قد ثبت بطرق متعددة أنّه لما نزل قوله تعالى «انّما انْتَ مُنذرٌ وَلكل قَوْمٍ هادٍ»، قال صلى الله عليه و آله لعلى عليه السلام: «أنا المنذر وأنت الهادى، بك ياعلى يهتدى المهتدون من بعدى» «۱».

۶- وقد نقل الحموينى هذا الحديث أيضاً عن أبى هريرة عن على عليه السلام «۲».

۷- ونقل هذا الحديث فى «مستدرك الحاكم» عن «أبى بريدة الاسلمى» بشكل واسع فقال: دعا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بالطهور وعنده على بن أبى طالب فأخذ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بيد على بعد ما تطهر فألصقها بصدره ثم قال: «إنّما أنت منذر» ويعنى نفسه، ثم ردها إلى صدر على ثم قال: «ولكل قوم هاد»، ثم قال له: «أنت منار الأنام وغاية الهدى وأمير القرّاء، أشهد على ذلك أنّك كذلك» «۳».

وليس من المستبعد أنْ يكون النبى صلى الله عليه و آله قد بيَّن هذا الكلام فى حالات متعددة وبأشكال مختلفة، والتعابير المختلفة للأحاديث المذكورة تشهد على هذا الأمر.

كما وردت فى مصادر اتباع أهل البيت عليهم السلام روايات متعددة فى هذا المجال، ولا مجال لذكرها جميعاً، بل نكتفى بالإشارة إلى بعضها، فقد ورد فى تفسير نور الثقلين «۴» مايربو على خمسة عشر حديثاً منها ما روى عن الإمام الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام أنّهما قالا: «كل إمام هاد كل قوم فى زمانه»، وفى تعبير آخر: «كل إمام هادٍ للقرن الذى هو فيه» «۵».

والعجيب أنّ بعض المفسرين قد تناسوا جميع هذه الأحاديث، وذكروا معانى اخرى للآية المذكورة، مستندين إلى أقوال بعض الصحابة التى لم تروَ عن النبى صلى الله عليه و آله، منها التفسير الذى نُقل عن مجاهد حيث يقول: المراد من «المنذر» محمد صلى الله

عليه و آله والمراد من «لكل قومٍ

---

(۱) حبيب السير، ج ۲، ص ۱۲.

(۲) احقاق الحق، ج ۳، ص ۹۲.

(۳) تفسير الميزان، ج ۱۱، ص ۳۲۷ ذيل الآية مورد البحث.

(۴) تفسير نور الثقلين، ج ۲، ص ۴۸۲- ۴۸۵.

(۵) المصدر السابق، ج ۱۹ و ۲۰، ص ۴۸۳.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۹

هادٍ» «إنّ لكل قوم نبيّاً يدعوهم إلى اللَّه»! وهذا تفسير بعيد كما يبدو.

وروى تفسير آخر عن سعيد بن جبير حيث يقول: المنذر محمد صلى الله عليه و آله والهادى هو اللَّه! بينما ظاهر الآية هو أنّ هادى كلّ قوم يختلف عن هادى الآخرين، علماً أنّ اللَّه الواحد هادٍ لجميع الأقوام، ولا يتناسب مع مثل هذه التفاسير.

فهل من المناسب ترك الروايات المتواترة عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله والذهاب وراء هذه التفاسير الخاطئة حرصاً على أن لا يمتلك الشيعة مستمسكاً؟

آية الصادقين:

وفى الآية الثانية خاطب تعالى المؤمنين داعياً إيّاهم إلى التقوى وبعدها أمرهم بأنْ يكونوا مع الصادقين «دائماً» «لئلا ينحرفوا»: «يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ».

فمن هم الصادقون هنا؟ ثمّة تفاسير مختلفة أيضاً:

لقد احتمل البعض أنّ المراد من «الصادقين» هو شخص النبى صلى الله عليه و آله، وهذه الآية منحصرة بزمانه، ولا يخفى أنَّ خطاب هذه الآية كسائر خطابات القرآن عامة، وتشمل كل المؤمنين فى كلّ عصرٍ ومصرٍ.

وقال آخرون: إنّ «مَعَ» تعنى «مِنْ»، أى كونوا من الصادقين! فى الوقت الذى لا توجد ضرورة لمثل هذه التأويلات والتبريرات، بل ليس من المعتاد أبداً فى الأدب العربى وكلام الادباء استخدام «مع» بمعنى «من».

فطبقاً لظاهر الآية فإنَّ جميع المسلمين مكلفون أنْ يكونوا فى خط الصادقين ومعهم فى كل زمن وعصر.

من هنا يُعرف بأنّ ثمّة صادق أو صادقين فى كل عصر يتحتم على الناس أن يكونوا معهم فى طريق التقوى والزهد.

ومن أجل فهم معنى الصادقين، من الأفضل أن نعود إلى القرآن نفسه لنرى ماذا يذكر من

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۰

صفات للصادقين، ففى مكان يقول: «انَّمَا المُؤمنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا باموالِهِم وَانْفُسِهِم فِي سَبِيلِ اللَّهِ اوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ». (الحجرات/ ۱۵)

ففى هذه الآية وصف تعالى الصدق بأنّه فرع أو شعبة من «الإيمان» و «العمل النزيه» عن كل أشكال الشك والريب والتردد.

وفى الآية ۷۷ من سورة البقرة بعد أن ذكر تعالى أنّ حقيقة الإيمان تكمن فى الإيمان باللَّه، واليوم الآخر، والملائكة، والكتب السماوية، والأنبياء، وكذا الانفاق فى سبيل اللَّه، وفى سبيل تحرير المستضعفين والمحرومين من ربقة الظالمين، وكذلك إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد، والصبر والاستقامة إزاء المشاكل وأثناء الجهاد، يضيف: «اوْلئكَ الَّذينَ صَدَقُوا».

بناءً على ذلك فقد ذكر أنّ السمة المميزة للصادقين هى: الإيمان التام بجميع المقدسات، واطاعة أوامر اللَّه على جميع الأصعدة،

لاسيما الصلاة وإيتاء الزكاة والانفاق والاستقامة فى الجهاد، وفى مواجهة المشاكل، وقد جاء نظير هذا المعنى فى الآية ۸ من سورة الحشر أيضاً.

من مجموع هذه الآيات وكذلك من اطلاق الآية مورد البحث التى تأمر باتباع الصادقين بدون قيد أو شرط، نستنتج أنّ المسلمين مكلفون باتباع الذين يتمتعون بأعلى مراحل الإيمان والتقوى وأسمى المستويات من ناحية العلم والعمل والاستقامة والجهاد، فالآية لا تقول: كونوا من الصادقين، بل تقول: كونوا معهم، بينما نراها تقول: كونوا من الزاهدين وهذا يبرهن على أنّ المراد مرتبة أسمى من المراتب التى يصلها الناس، وأجلى مصداق لهذا المعنى هم المعصومون هذا من جانب، ومن جانب آخر أنّ الأمر باتباع الصادقين بشكلٍ مطلق، وعدم الانفصال عنهم بدون قيد أو شرط، دليل آخر على عصمتهم، لأنَّ الاتباع بلا قيد أو شرط لا معنى له إلّافيما يتعلق بالمعصومين.

ونظراً لوضوح محتوى الآية لم يستطع الفخر الرازى انكار دلالتها على وجود المعصوم فى كل زمان ومكان، إلّاأنّه ولعدم إيمانه بعقائد أتباع أهل البيت عليهم السلام يتحدث عن عصمة

جميع الأمة، أو بتعبير آخر «إجماع الامّة»، بينما نرى أنّ القضايا التى تحظى بإجماع الأُمّة محدودة للغاية، والحال أنّ اتّباع الصادقين تكليف عام وفى كل الأحوال والشؤون.

وكذلك لم يفهم أى ناطق بالعربية أثناء نزول هذه الآية أنَّ كلمة «الصادقين» تعنى مجموع الامّة، فكيف يمكن حملها على هذا المعنى أليس من الأفضل الاقرار بوجود صادق فى كل عصر وزمان ليس فى سيرته السهو والخطأ ويجب علينا اتباعه؟

سؤال: وهنا يثار سؤال وهو: إنّ «الصادقين» ذكرت بصيغة الجمع، وعليه فلابدّ من وجود عدّة معصومين فى كل زمان، فكيف يتلائم هذا وعقائد أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام؟

إنّ الجواب على هذا السؤال من خلال الاستناد إلى نقطة، وهى: إنّ هذا الجمع ربّما يكون إشارة إلى مجموع الأزمنة، لأنّ «الصادقين» وعلى مدى مجموع الأزمنة يمثلون مجموعة، تماماً كما يقال: يتحتم على الناس اتباع الأنبياء فى كل زمان، فليس مفهوم هذا الكلام هو وجود أنبياء متعددين فى كل زمان، بل المقصود هو: أنَّ على كلّ قوم اتباع نبى زمانهم، أو يقال: على الناس أن يعرفوا تكاليفهم تجاه العلماء والمراجع، أى: على كلّ شخص اتباع عالم ومرجع زمانه.

والشاهد على هذا الأمر هو عدم وجود شخص مفترض الطاعة فى عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله غيره، فى الوقت الذى تشمل الآية المذكورة زمانه أيضاً بكل تأكيد.

من هنا يتضح أنّ المراد ليس الجمع فى زمان واحد، بل فى عدّة أزمنة، وهذا الكلام هو بمثابة تحليل لهذه الآية.

وأمّا من ناحية الروايات، فإنّ الكثير من مفسرى ومُحدّثى أهل السّنّة نقلوا عن ابن عباس قوله: إنّ هذه الآية نزلت بحق على بن أبى طالب عليه السلام.

ومنهم «العلّامة الثعلبى» فى تفسيره، فقد روى إنّ ابن عباس قال فى تفسير هذه الآية:

«مع الصادقين يعنى مع على بن أبى طالب وأصحابه» «۱».

كما ينقل «العلّامة الكنجى» فى «كفاية الطالب»، و «العلّامة سبط بن الجوزى» فى «التذكرة» عن طائفة من العلماء مايلى: «قال علماء السير: معناه كونوا مع على عليه السلام وأهل بيته، قال ابن عباس: علىٌ عليه السلام سيد الصادقين» «۲».

وجرى التأكيد على هذا المعنى أيضاً فى الروايات العديدة التى وصلتنا عن أهل البيت عليهم السلام، منها الرواية التى نقرأها عن جابر بن عبد اللَّه الأنصارى عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال فى تفسير آية «وكونوا مع الصادقين»، يعنى «محمد وآل محمد» «۳».

ونقرأ فی روایة اخری أنّ «برید بن معاویة» روی عن الإمام الباقر علیه السلام فی تفسیر هذه الآیة أنّه قال: «إیّانا عنی «۴».

وفی تفسیر البرهان ینقل عن کتاب نهج البیان: «روی أنّ النبی صلی الله علیه و آله سُئلَ عن الصادقین فقال: «هم علی وفاطمة والحسن والحسین وذریتهم الطاهرون إلی یوم القیامة» «۵».

ومن البدیهی أنّ جمیع هذه الروایات إنّما هی فی الواقع بیان للمصداق، ولا تتعارض مع المفهوم العام للآیة، لأنّها تشمل شخص النبی صلی الله علیه و آله بالمرتبة الاولی ومن ثم الأئمّة المعصومین علیهم السلام فی کلّ عصر ودهرٍ.

من هنا فإنّ الآیة الآنفة الذکر تثبت «الولایة العامة» وکذلک «الولایة الخاصة».

آیة اولی الأمر:

والحدیث فی الآیة الثالثة عن وجوب اطاعة اللّه ورسوله واولی الأمر، یقول تعالی

---

(۱) احقاق الحق، ج ۳، ص ۲۹۷.

(۲) المصدر السابق.

(۳) تفسیر نور الثقلین، ج ۲، ص ۲۸۰، ح ۳۹۲.

(۴) المصدر السابق، ح ۳۹۳.

(۵) تفسیر البرهان، ج ۲، ص ۱۷۰.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۳

«أَطِیعُوا اللّهَ وأَطیعُوا الرَسُولَ وَاولِی الأَمْرِ مِنکُم». (النساء/ ۵۹)

فوجوب اطاعة اللّه ورسوله صلی الله علیه و آله واضحٌ ومعلوم، أمّا من هم المقصودون فی «اولی الأمر» الذین اعتبرت اطاعتهم بموازاة اطاعة اللّه ورسوله صلی الله علیه و آله، فهنالک جدلٌ بین المفسرین.

یتفق علماء الشیعة وأتباع مذهب أهل البیت علیهم السلام أنّ المراد من «اولی الأمر» هم الأئمّة المعصومون علیهم السلام الذین هم قادة المجتمع معنویاً ومادیاً فی کافة شؤون الحیاة، ولا تشمل غیرهم، لأنّ الطاعة- بلا قید أو شرطٍ- الواردة فی الآیة الکریمة والتی اعتبرت موازیة لطاعة اللّه ورسوله صلی الله علیه و آله لا یمکن تصورها إلّابحقّ الأئمّة المعصومین علیهم السلام، وأمّا الآخرون الذین تجب طاعتهم فإنّها محدودة بحدود ومقیدة بقیود، ولا وجود للطاعة المطلقة بشأنهم أبداً، وهذا الأمر واضحٌ.

هذا فی الوقت الذی یختلف فیه مفسرو وعلماء أهل السّنة کثیراً فی معنی اولی الأمر.

فمنهم من فسّرها بمعنی «الصحابة»، ومنهم ب «قادة الجیش»، وبعضهم فسّرها ب «الخلفاء الأربعة».

وهم لم یقدموا أیدلیل واضح لهذه التفاسیر الثلاثة.

واعتبرت طائفة اخری «اولی الأمر» بمعنی العلماء، مستندین إلی الآیة: «وَاذَا جَاءَهُم امرٌ مِّنَ الامنِ اوِ الخَوفِ اذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ الَی الرَّسُولِ وَالَی اولِی الامْرِ مِنْهُم لَعَلِمَهُ الَّذِینَ یَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُم». (النساء/ ۸۳)

ولکن نظراً إلی أنّ الآیة التی هی محل بحثنا تبحث الطاعة بلا قید أو شرط، والآیة ۸۳ من سورة النساء تتعلق بالسؤال والتحقیق فإنّها توضح أمرین مختلفین، ولایمکن اعتبار کلا الأمرین بمعنی واحد، فالتحقیق من العالم أمر، والطاعة بلا قید أو شرط أمر آخر، فلا یتصور الثانی إلّابصدد المعصومین، أمّا الأول فله مفهوم أوسع.

وقد أعطی بعض مفسّری أهل السّنة احتمالًا خامساً وهو: أنّ المراد من اولی الأمر هم ممثلو طبقات الناس، والحکام، والزعماء، والعلماء، وذوو المناصب فی جمیع شؤون الحیاة.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۴

وبتعبیر آخر: المقصود هم أهل الحل والعقد الذین حیثما اتفقوا علی شیء تجب طاعتهم بلا قید أو شرط «علی شرط أن یکونوا منّا، حیث ذُکرت (منکم) کشرط فی الآیة الکریمة، ولا یخالفون سنة الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله، ولا یتعرضون للإجبار فی مباحثاتهم، وأن یتمتعوا باتفاق الآراء، وتلک المسألة من المسائل».

فهذه المجموعة واجبة الطاعة فی المسائل التی لم یصلنا فیها نصٌ، ویمکن القول: إنّهم معصومون، لذا ورد الأمر باطاعتهم بلا قید أو شرط «۱».

من هنا فالموما إلیه یعتبر اولی الأمر مجموعة من العلماء وأهل الحل والعقد الذین تتوفر فیهم الشروط الخمسة التالیة:

۱- الإسلام، ۲- عدم مخالفة السّنة، ۳- غیر مجبور فی ابداء الرأی، ۴- ابداء الرأی فیما لا نصَّ فیه، ۵- التمتع باتفاق الآراء، ویعدُّ مثل هذه الجماعة معصومة.

فهل یاتری أنّ المقصود من «اولی الأمر» فی الآیة الکریمة هو هذا؟ وهل أنّ أهل العرف وأصحاب رسول اللَّه صلی الله علیه و آله کانوا یستفیدون هذا المعنی عند سماعهم للآیة؟ أم أنَّ هذا المعنی قد فُرض علی الآیة بتکلّف وعناء لئلا ینصرف معنی الآیة إلی الأئمّة المعصومین علیهم السلام الذین یعتقد بهم الشیعة؟

ویظهر أنّ کلام تفسیر «المنار» مشتق من کلام «الفخر الرازی» حیث یقول:

«واعلم أنّ قوله «اولی الأمر منکم» یدل عندنا علی أنّ إجماع الأمّة حجة والدلیل علی ذلک أنّ اللَّه تعالی أمر بطاعة اولی الأمر علی سبیل الجزم، وفی هذه الآیة ومن أمر اللَّه بطاعته علی سبیل الجزم والقطع لابدّ وأن یکون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم یکن معصوماً عن الخطأ کان بتقدیر اقدامه علی الخطأ، والخطأ لکونه منهی عنه، فهذا یفضی إلی اجتماع الأمر والنهی فی الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وأنّه محال، فثبت أنّ اللَّه تعالی أمر بطاعة اولی الأمر علی سبیل الجزم وثبت أنّ کل من أمر اللَّه تعالی بطاعته علی سبیل الجزم وجب أن یکون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أنّ ولیَّ الأمر المذکور فی هذه الآیة لابدّ وأن یکون معصوماً.

---

(۱) تفسیر المنار، ج ۵، ص ۱۸۱.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۵

ثم یضیف: ذلک المعصوم إمّا مجموع الامة أو بعض الامّة، لا جائز أن یکون بعض الامّة، لأننا بیّنّا أن اللَّه تعالی أوجب طاعة اولی الأمر فی هذه الآیة قطعاً، وایجاب طاعتهم قطعاً مشروط بکوننا عارفین بهم قادرین علی الوصول إلیهم والاستفادة منهم، ونحن نعلم بالضرورة أنا فی زماننا هذا عاجزون عن معرفة الإمام المعصوم، عاجزون عن الوصول إلیهم، عاجزون عن استفادة الدین والعلم منهم، وإذا کان الأمر کذلک علمنا أنّ المعصوم الذی أمر اللَّه المؤمنین بطاعته لیس بعضاً من أبعاض الامّة ولا طائفة من طوائفهم، وذلک یوجب القطع بأنّ إجماع الامّة حجّة» «۱».

إنّ ما وضع الفخر الرازی وصاحب المنار وأمثالهم فی الزاویة الحرجة وجعلهم یفسرون هذه الآیة بهذا التفسیر الذی من المسلَّم أنّ أیّاً من أصحاب رسول اللَّه صلی الله علیه و آله لم یکن یفهمه حین نزول الآیة، هو التعیین المسبق الذی یحول دون البحث عن مفهوم الآیة فی أئمّة أهل البیت علیهم السلام المعصومین، فمن ناحیة أنّ دلالة الآیة علی عصمة اولی الأمر جلیّةٌ.

ولم یکن فی نیّتهم التسلیم لشخص کإمام معصوم من ناحیة اخری لذا فهم یبحثون عن تفسیر لم یفهمه أصحاب رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أثناء نزول الآیة.

والأعجب من جمیع التفاسیر هو التفسیر الذی ینتخبه بعض مفسری أهل السنّة، ویقولون: إنّ المراد من اولی الأمر: الحکام والأمراء والملوک ویجب اتباع أیحاکم یتسلط علی المسلمین، عادلًا کان أم ظالماً، سالکاً جادة الصواب أم منحرفاً، یأمر بإطاعة اللَّه أم

بمعصیته، کما یقول فی تفسیر المنار فی إشارة غامضة: «وبعضهم اطلق فی الحکام فأوجبوا طاعة کلّ حاکم» «۲».

والأعجب من ذلک أیضاً، الروایات المشکوکة والموضوعة التی نُسبت لرسول اللَّه صلی الله علیه و آله لإثبات تفسیر هذه الآیة، کالذی قاله رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فی جوابه لجابر الجعفی حین قال:

یانبی اللَّه أرأیت إن قامت علینا امراءُ یسألونا حقّهم ویمنعونا حقّنا فما تأمرنا؟

قال صلی الله علیه و آله: «إسمعوا وأطیعوا» «۳».

---

(۱) تفسیر الکبیر، ج ۱۰، ص ۱۴۴.

(۲) تفسیر المنار، ج ۵، ص ۱۸۱.

(۳) صحیح مسلم، ج ۳، ص ۴۷۴، کتاب الامارة، باب طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۶

وفی حدیث آخر فی الکتاب نفسه، روی عن أبی ذر أنّه قال: «إنّ خلیلی أوصانی أن أسمع وأطیع وإن کان عبداً مجدع الأطراف» «۱».

وقد فسّر البعض مجدع الأطراف بمعنی من ولد فی بیت غیر طاهر وملوث. ومن المسلَّم به أنّ الساحة المقدّسة للنبی صلی الله علیه و آله أطهرُ من أن یأمر خلافاً لمنطق العقل والشرع فی الوقت الذی یروی عنه أنّه قال: «لا طاعة لمخلوق فی معصیة الخالق» وأجلی دلیل علی ابتداع مثل هذه الأحادیث هو أنّ أباذر الذی روی عنه الحدیث لم یفعل هکذا بشهادة تاریخه، حتی أنّه قد ضحی بنفسه بسبب اعتراضه علی انحراف امراء وحکام عصره!.

وعلی أیّة حال، من الواضح أنّ النبی صلی الله علیه و آله أسمی من هذه الأقاویل، فلیس من إنسان عاقل ینطق بهذا الکلام ویقول: إنّ الحاکم واجب الطاعة فی کل مایقول ویعمل، لا سیما وأنّ هذا الحدیث: «لا طاعة لمخلوق فی معصیة الخالق» «۲» مشهورٌ بین علماء المسلمین سواء الشیعة أو السّنة.

ولا طاعة لبشرٍ فی معصیة اللَّه «۳».

من هنا نستنتج أنّ أصح تفسیر للآیة هو اطاعة الأئمّة المعصومین علیهم السلام.

ویبقی لدینا سؤالان لابدّ من الاجابة عنهما، وهما:

۱- إذا کان معنی «أولی الأمر» هو الإمام المعصوم، فهل یتناسب مع کلمة «اولی» التی تفید الجمع؟ فباعتقاد الشیعة أنّ الإمام المعصوم واحد لا أکثر فی کلّ عصر.

وقد اتضح الجواب عن هذا السؤال فی البحوث السابقة، فصحیحٌ أنّ الإمام المعصوم واحدٌ فی کل زمن، ولکن بالنظر لعمومیة الآیة بالنسبة لکافة الأزمنة، فإنّ الأئمّة المعصومین بمجموعهم یشکلون مجموعةً، ونظیر هذا المعنی کثیر فی کلمات العرب، فمثلًا نقول: السلام علیکم وعلی أرواحکم وأجسادکم. فلا یمکن الاعتراض علی هذا السلام، فکل إنسان لا یمتلک أکثر من روح وجسم، فلماذا ذکرت الأرواح والأجساد هنا بصیغة

---

(۱) صحیح مسلم، ج ۳، ص ۱۴۶۷، کتاب الامارة، باب طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق.

(۲) نهج البلاغة، کلمات القصار، الکلمة ۱۶۵.

(۳) تفسیر در المنثور، ج ۲، ص ۱۷۷.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۷

الجمع؟ الجواب: إنّ هذا الجمع ناظرٌ للمجموع.

من هنا فبالرغم من أنّ النبی صلی الله علیه و آله له وصیٌ فی کل زمان لکنهم یتعددون فی مجموع الأزمنة، فیتحتم استخدام صیغة الجمع لهم.

۲- والسؤال الآخر هو: إنّ الإمام المعصوم لم یکن موجوداً فی عهد النبی صلی الله علیه و آله فکیف یؤمر بطاعته؟

وجواب هذا السؤال هو ما ورد سابقا وهو: لو کانت الآیة ناظرة إلی زمان النبی صلی الله علیه و آله فقط لورد مثل هذا الإشکال، أمّا وأنّها تعتبر حکماً عاماً لجمیع المسلمین حتی یوم القیامة فلا یرد ذلک الإشکال، ففی عهد رسول اللّه کان هو الإمام صلی الله علیه و آله وفی سائر العصور کان الأئمّة المعصومون علیهم السلام، فلیس مفهوم الکلام «یجب علی المسلمین اطاعة النبی وأوصیائه» هو وجوب وجود أوصیائه فی عهده.

ونختتم هذا الکلام بإشارة سریعة إلی الروایات الواردة فی کتب الشیعة والسّنة فی ذیل هذه الآیة والتی تفسرها بعلی علیه السلام وسائر الأئمّة المعصومین علیهم السلام:

ینقل الشیخ سلیمان القندوزی الحنفی فی کتاب ینابیع المودة، عن تفسیر «مجاهد» أنّ آیة: «اطِیعُوا اللَّه وَاطِیعُوا الرَسُولِ وَأولِی الأَمرِ مِنْکُم» نزلت فی علی علیه السلام أثناء ما خلفه رسول اللّه صلی الله علیه و آله فی المدینة خلال «معرکة تبوک»، ویروی عن علی علیه السلام بأنّه استدل بهذه الآیة أثناء محاججته للمهاجرین والأنصار، ولم یؤاخذه المهاجرون والأنصار «۱».

ونقل فی شواهد التنزیل عن الحاکم الحسکانی فی ذیل الآیة: «اطِیعُوا اللَّهَ وَاطِیعُوا الرَسُولَ وَأُولِی الأَمرِ مِنْکُم»، سألتُ (أی علی) رسول اللّه صلی الله علیه و آله: یانبی اللّه منْ هم؟ قال:

«أنت أولهم» «۲».

کما رویت روایات کثیرة عن أئمة أهل البیت علیهم السلام أیضاً فی تفسیر هذه الآیة بالأئمّة المعصومین علیهم السلام وبلغت العشرات، وجاء فیها جمیعاً أنّ «اولی الأمر» هم الأئمّة المعصومون «۳».

---

(۱) ینابیع المودة، ص ۱۱۴ و ۱۱۵ و ۱۱۶.

(۲) شواهدالتنزیل، ج ۱، ص ۱۴۸.

(۳) من أجل المزید من الاطلاع راجعو تفسیر البرهان، ج ۱ ص ۳۸۱ إلی ۳۸۷؛ و تفسیر کنز الدقائق ج ۳ ص ۴۳۷- ۴۵۲.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۹

۲- الولایة والإمامة العامة فی السنة النبویة الشریفة

تمهید:

یعتبر هذا القسم من أهم أقسام السنّة النبویة الشریفة وقد وردت بهذا الصدد روایات کثیرة عن النبی صلی الله علیه و آله فی أشهر وأهم المصادر الإسلامیة وحیث من المناسب الالتفات إلیها بکامل الدقة والحیاد، من أجل إزالة الاتهامات التی الصقت بهذه المسألة سنوات طویلة، وذلک من خلال نور العلم والاخلاص والبحث، والکشف عن الصورة الحقیقیة لها بعیداً عن التعصبات، ولیتضح واجبنا الإلهی ازاء هذه القضیة الإسلامیة المهمّة.

ونکتفی هنا بتناول جانب من الروایات المشهورة التی تتناول مسألة الإمامة والولایة بشکل عام، مع شرح مختصر لمحتواها ومفهومها، ونرجو من القراء الکرام أنْ یکرروا ملاحظة هذه الروایات والوثائق والمصادر، وأن یطلعوا بدقة علی مضمونها، ونوکل إلیهم الاستنتاج والاستنباط النهائی.

إننا نعتقد أنّ اتخاذ موقف اللامبالاة ازاء هذه الأحاديث الناطقة والمرور عليها مرور الكرام، أو غض الطرف عن الحقائق، لا يقلل من مسؤليتنا، بل يضاعفها.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۴۱

۱- حديث الثقلين

اشارة

لقد سمى هذا الحديث بهذا الاسم لأنّ النبى صلى الله عليه و آله قال فيه: «إنّى تاركٌ فيكم الثقلين ...» «۱».

ونقل هذا الحديث عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بشكل واسع للغاية فى كتب الشيعة والسّنة المشهورة (وفى مصادر الدرجة الاولى بحيث لم يبق معه شك فى صدور هذا الحديث عن النبى صلى الله عليه و آله. وبشكل عام، يمكن الاستفادة من هذه الأحاديث، بأنّه من الأحاديث التى لم يدل بها الرسول صلى الله عليه و آله لمرة واحدة فيكون حديثا واحداً، ورواته كثيرين، بل إنّه صلى الله عليه و آله ذكره فى موارد مختلفة، وقد روى بروايات متعددة.

ونذكر هنا رواة هذا الحديث والكتب الإسلامية التى ورد فيها:

۱- ففى صحيح مسلم الذى هو من أشهر المصادر لدى أهل السنّة وأهم الصحاح الستة، ينقل عن «زيد بن أرقم» أنّه قال: «قام رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خماً، بين مكة والمدينة «۲»، فحمد اللَّه وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: أمّا بعد ألا أيّها الناس فإنّما أنا بشر، يوشك أن يأتى رسول ربّى فاجيب وأنى تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب اللَّه فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب اللَّه واستمسكوا به، فحث على كتاب اللَّه ورغب فيه، ثم قال:

وأهل بيتى اذكركُم اللَّه فى أهل بيتى، اذكركُم اللَّه فى أهل بيتى، اذكركم اللَّه فى أهل بيتى» «۳».

---

(۱) تقرأ كلمة «ثقلَين» على نحوين فتارة تقرأ على وزن «حَرَمَين»، ومفردها (ثَقَل) على وزن «حَرم» وتعنى الشىء الثمين والنفيس، كما تأتى بمعنى امتاع المسافر، وتارةً تُقرأ (ثِقْلَيْن) على وزن (سِبْطَيْنِ) حيث تعنى الشىء الثقيل، ويعتقد صاحب كتاب «التحقيق» أنّ الاولى تعنى القيمة المعنوية (والثانية أكثر شمولية) كما ينبغى الانتباه إلى أنَ (ثَقل) على وزن (حرم) صفة مشبهة، و (ثِقْل) على وزن (سبط) اسم مصدر.

(۲) جاء فى هامش صحيح مسلم أنّ غدير خم يبعد عن الجحفة ثلاثة اميال.

(۳) صحيح مسلم، ج ۴ ص ۱۸۷۳.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۴۲

إنّ جعل أهل البيت عليهم السلام فى موازاة القرآن باعتبارهما شيئين ثمينين، والتأكيد على التذكير بالمسؤولية الإلهيّة تجاههما يبرهن على علاقة هذا الأمر بمصير المسلمين وهدايتهم والمحافظة على اصول الإسلام، وإلّا لما اجتمعا.

۲- وجاءت فى نفس الكتاب رواية اخرى لنفس الراوى مع شىء من الاختلاف «۱».

واللطيف أنّه عندما يُسأل زيد بن أرقم تعقيباً على هذه الآية هل المقصود من أهل بيته زوجاته؟ فيجيب: لا، المقصود من أهل البيت أهله من النسب الذين تحرم عليهم الصدقة.

۳- ونقرأ فى كتاب سنن الترمذى الذى يعرف ب «صحيح الترمذى أيضاً فى بحث مناقب أهل البيت عليهم السلام عن جابر بن عبد اللَّه أنّه يقول: رأيت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يوم عرفة وقد صعد ناقته وخطب، فسمعته يقول: «ياأيّها الناس إنى قد تركتُ فيكم

ما إنْ أخذتم به لن تضلّوا، كتاب اللَّه وعترتى أهل بيتى» «۲».

ثم يضيف الترمذى: وقد روى كل من أبى ذر، وأبى سعيد الخدرى، وزيد بن الأرقم، وحذيفة هذا المعنى أيضاً.

۴- بعد قليل وفى نفس الكتاب يروى عن أبى سعيد وزيد بن الأرقم أنّهما قالا: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله «إنى تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلّوا بعدى: أحدهما أعظم من الآخر، كتاب اللَّه حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتى أهل بيتى، وأنّهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما» «۳».

۵- وفى سنن الدارمى وهو من الكتب المعروفة أيضاً، روى حديث يشابه حديث زيد بن الأرقم عن النبى صلى الله عليه و آله، ويختتم الكلام بالتصريح باسم الثقلين و «كتاب اللَّه وأهل البيت» «۴».

ولا ينبغى نسيان أنّ (الدارمى) وبناء على ما قاله بعض العارفين هو استاذ مسلم وأبى داود، وكتاب سنن الدارمى أحد الكتب الستة المعتبرة المعروفة لدى أهل السُّنة (وان ذكر

---

(۱) صحيح مسلم، ج ۴، ص ۱۸۷۴.

(۲) صحيح الترمذى، ج ۵، ص ۶۶۲، باب مناقب أهل بيت النبى، ح ۳۷۸۶.

(۳) صحيح الترمذى، ص ۶۶۳، ح ۳۷۸۸.

(۴) سنن الدارمى، ج ۲، ص ۴۳۲.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۴۳

البعض سنن ابن ماجه بدلًا عنه).

۶- ونقرأ فى مسند أحمد وهو من الأئمّة الأربعة لأهل السنّة رواية عن زيد بن ثابت حيث يقول: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «إنّى تارك فيكم خليفتين: كتاب اللَّه حبل ممدودٌ ما بين السماء والأرض، أو ما بين السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى وأنّهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض» «۱».

انتبهوا إلى أنّه فى بعض هذه الروايات ورد تعبير «الثقلين» «كما فى رواية صحيح مسلم». وفى بعضها «خليفتى» «كما فى الرواية الأخيرة التى نقلت عن سنن أحمد»، وفى البعض الآخر لم يرد اىّ منهما، بل مفهومها ومضمونها، وفى الحقيقة فانّها جميعاً تعود إلى أمر واحد.

۷- يروى أحمد بن شعيب «النسائى»- الذى يعتبر من أعاظم أهل السنّة أيضاً، وكتاب سننه من الصحاح الستة المشهورة أيضاً- فى كتاب «الخصائص» عن زيد بن الأرقم قوله:

إنّ النبى صلى الله عليه و آله وحين عودته من حجة الوداع ووصوله إلى غدير خم أمر بإقامة ظلة هناك واغتسل تحتها ثم قال: «كأنّى دعيت فاجبتُ، وإنّى تاركٌ فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب اللَّه وعترتى فانظروا كيف تخلفونى فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، ثم قال: إنّ اللَّه مولاى وأنا مولى كل مؤمن ثم أخذ بيد على عليه السلام، فقال: منْ كنتُ مولاه فهذا وليه، اللّهم وال مَنْ والاه وعاد من عاداه».

وفى نهاية الرواية ورد أنّ الراوى الثانى «أبو طفيل» قال: قلتُ لزيد بن الأرقم: أسمعت هذا الحديث من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله؟.

قال: كلُّ من كان تحت الظلة رأى هذا المنظر بعينيه، وسمع هذا الكلام بأذنيه «۲».

هذه الرواية تبرهن جيداً على أنّ النبى صلى الله عليه و آله أدلى بهذا الكلام فى الملأالعام، وبحضور حشد غفير فى غدير خم، والجميع قد سمعوا ذلك.

---

(۱) مسند الإمام أحمد، ج ۵، ص ۱۸۲.

(۲) خصائص النسائی، ص ۲۰، وفقاً لما نقل عن فضائل الخمسة، ج ۲ ص ۵۴.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۴۴

۸- ویروی الحاکم النیسابوری- وهو من علماء القرن الرابع الهجری فی کتاب مستدرک الصحیحین وهو من المصادر المعروفة لدی أهل السنة ویضم الروایات التی لم ترد فی صحیحی البخاری ومسلم، بینما هو فی مرتبتهما من ناحیة القیمة والوزن- هذا الحدیث عن ابن واصلة أنّه یقول: سمعت من زید بن الأرقم أنّ النبی صلی الله علیه و آله وصل إلی أشجار بین مکة والمدینة وکانت هناک خمس ظلل، فنزل وقام الناس بتنظیف ما تحت الأشجار، وبعد صلاتی الظهر والعصر، خطبنا رسول اللَّه فحمد اللَّه وأثنی علیه، وبالغ فی الوعظ ثم قال:

«أیّها الناس إنّی تارک فیکم أمرین لن تضلوا أن اتبعتموهما: وهما کتاب اللَّه وأهل بیتی عترتی» «۱».

ثم یضیف الحاکم: وهذا الحدیث صحیح علی شرط الشیخین «۲».

۹- یقول ابن حجر الهیثمی مفتی الحجاز وهو من ألد أعداء الشیعة، فی کتاب «الصواعق المحرقة»: فی روایة صحیحة «کأنّی قد دُعیت فاجبت، إنّی قد ترکتُ فیکم الثقلین أحدهما أکبر من الآخر، کتاب اللَّه عزّ وجلّ وعترتی فانظروا کیف تخلفونی فیهما فإنّهما لن یفترقا حتی یردا علی الحوض».

ثم یضیف: وقد وردت هذه الزیادة فی روایة اخری أیضاً: «سألتُ ربّی ذلک لهما، فلا تتقدموهما فتهلکوا، ولا تقصروا عنهما فتهلکوا، ولاتعلموهم فإنّهم اعلم منکم».

ثم یضیف: إنّ لهذه الروایة طرقاً ورواة کثیرین یربون علی نیف وعشرین راویاً، ولا حاجة لشرحه وتفصیله «۳».

إنّ هذا الاقرار الصریح بسعة هذا الحدیث «إلی حد التواتر» ومن شخص طالما شنَّ أعنف الهجمات علی الشیعة فیما یخص مسألة الإمامة لهو أمرٌ جدیرٌ بالاهتمام.

---

(۱) مستدرک الصحیحین، ج ۳، ص ۱۰۹ (طبقاً لنفس المصدر).

(۲) المراد من شرط ذینک الشخصین هو أنّهما ینقلان الأحادیث التی تنتهی سلسلة سندها إلی النبی صلی الله علیه و آله وأنّ رواتها یحظون بثقتهما ولیسوا متهمین، وحیث إنّهما لم ینقلا کل الأحادیث التی تتمتع بهذا الشرط، فقد قام الحاکم النیسابوری بجمع الأحادیث التی تتمتع بالشروط ولم تأت فی الکتابین، وذلک فی کتابه «المستدرک»، من هنا یمکن أن یکون المستدرک موازیاً لصحیحی البخاری ومسلم.

(۳) الصواعق، ص ۲۲۶.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۴۵

۱۰- یروی ابن الأثیر «محمد بن محمد بن عبد الکریم» صاحب الکتب المشهورة والتی من بینها کتاب «اسد الغابة فی معرفة الصحابة» فی أحوال «عبد اللَّه بن حنطب» أنّه قال:

«خطبنا رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بالجحفة فقال: ألستُ أولی بکم من أنفسکم؟ قالوا: بلی یارسول اللَّه! قال إنّی سائلکم عن اثنین عن القرآن وعن عترتی» «۱».

۱۱- وذکر «جلال الدین عبد الرحمن السیوطی» وهو من العلماء المعروفین أیضاً وصاحب المؤلفات الکثیرة «۲»، فی کتاب «احیاء المیت» ما أورده ابن الأثیر فی اسد الغابة «۳».

۱۲- وقد أورد البیهقی «أبو بکر أحمد بن الحسین» الذی یقول الزمخشری بحقه: «إنّ للشافعی دَیْناً علی عاتق جمیع أتباعه، إلّاأنّ

البيهقى ولما كتبه فهو ذو حق على الشافعى نفسه وعلى أتباعه أيضاً» «۴».

وأورد هذا الحديث فى كتاب «السنن الكبرى وهو من أهم كتبه (نظيراً لما ورد فى صحيح مسلم لا سيما وأنّ كلمة أهل البيت قد تكررت فيه ثلاثاً) «۵».

۱۳- كما أنّ الحافظ الطبرانى وهو من المحدثين المعروفين لدى أهل السنة «وقد عاش فى القرن الثالث والرابع للهجرة» وكما يقول البعض: إنّه عاصر أكثر من ألف استاذ فىالحديث، يروى فى كتابه الموسوم «المعجم الكبير» بسنده إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنَّ النبى صلى الله عليه و آله دعا الناس إلى اتباع الثقلين، فقام رجل وسأله: يارسول اللَّه، وما الثقلان؟ قال:

«الأكبر كتاب اللَّه، سببٌ طرفه بيد اللَّه، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به لا تزلّوا ولا تضلوا، والأصغر عترتى وأنّهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض».

ثم أضاف النبى صلى الله عليه و آله: «وقد سألتُ ربّى لهما ذلك، فلا تتقدموهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنّهم أعلم منكم» «۶».

---

(۱) اسد الغابة فى معرفة الصحابة، ج ۳، ص ۴۷.

(۲) قيل إنّه كتب أكثر من خمسمائة كتاب (الكنى والالقاب، ج ۱ ص ۲۰۷).

(۳) احياء الميت الذى طبع على هامش الاتحاف، ص ۱۱۶.

(۴) الكنى والألقاب، ج ۲، ص ۱۱۴.

(۵) سنن البيهقى، ج ۱۰، ص ۱۱۴.

(۶) المعجم الكبير، ص ۱۳۷، وفقاً لما نقله احقاق الحق، ج ۹، ص ۳۲۲.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۴۶

۱۴- ونقل ابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم الحنبلى» «المتوفى سنه ۷۲۸ ه» مؤسس «المذهب الوهابى» فى كتاب منهاج السنة، هذا الحديث كما ورد فى صحيح مسلم «۱».

كما نقله جماعةٌ آخرون من علماء السنة المشهورين والمعروفين فى كتبهم، منهم:

۱۵- ابن المغازلى على بن محمد، «الفقيهُ الشافعى وهو من علماء القرن الخامس الهجرى» إذ نقل هذا الحديث بمزيد من التفصيل عن زيد بن الأرقم «۲».

۱۶- الخوارزمى وهو من مشاهير علماء القرن السادس وكان من الفقهاء والمحدثين والخطباء والشعراء، نقل هذا الحديث أيضاً فى كتابه الموسوم ب «المناقب» «۳».

۱۷- وذكره الذهبى «محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقى الشافعى»- وهو من علماء القرنين السابع والثامن، وهو معروف بالتحيّز لمذهبه، وقد قال تاج الدين السبكى فى كتاب «طبقات الشافعية» بحقه: إنّه محدّث عصره، وختام الحفاظ، ورافع راية مذهب السنة والجماعة، وامام أهل زماننا- هذا الحديث أيضاً فى كتاب «تلخيص المستدرك» «۴».

۱۸- وذكر المؤرخ الشهير على بن برهان الحلبى الشافعى وهو من علماء القرن الحادى عشر، فى كتابه «إنسانُ العيون» المشهور بالسيرة الحلبية، حديث الثقلين ضمن بيانه لحديث الغدير وبعبارات صريحه كالذى ذكرناه آنفاً، وبعد ذكر هذا الحديث يقول بصراحة:

«هذا حديث صحيح حيث نُقل باسناد صحيحة وحسنة» «۵».

وذكر ابن حيان المالكى فى كتاب «المقتبس فى أحوال الاندلس» شبيه ما ورد فى صحيح مسلم، إلّاأنّه ذكر المكان الذى تلا فيه النبى صلى الله عليه و آله تلك الخطبة والواقع بين مكة والمدينة بأنّه «الحصائن» والتى تعنى «القلاع» «۶».

---

(۱) منهاج السنّة، ج ۴، ص ۱۰۴.

(۲) احقاق الحق، ج ۴، ص ۴۳۸، (نقلًا عن کتابه الخطی).

(۳) المناقب، ص ۹۳.

(۴) جاء هذا الکتاب علی هامش کتاب المستدرک للحاکم، ج ۳، ص ۱۰۹.

(۵) السیرة الحلبیة، ج ۳، ص ۲۷۴.

(۶) المقتبس، ص ۱۶۷.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۴۷

۲۰- وأورد «علاء الدین علی بن محمد البغدادی» المشهور ب «الخازن» وهو من علماء القرن الثامن الهجری فی تفسیره ما جاء فی صحیحی مسلم والترمذی «۱».

۲۱- وأورد «ابن أبی الحدیدالمعتزلی عز الدین عبد الحمید» وهو من علماء القرن السابع الهجری، هذه الروایة أیضاً فی شرح نهج البلاغة، فیقول: «قد بین رسول اللَّه صلی الله علیه و آله عترته من هی لمّا قال: إنّی تارکٌ فیکم الثقلین، فقال عترتی أهل بیتی».

ثم یضیف: وقد بین رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أهل بیته أیضاً فی مکان آخر، عندما نشر علیهم الکساء، وعندما نزلت الآیة: «انَّمَا یُرِیدُ اللهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِجسَ ...»، قال: «إلهی هؤلاء أهل بیتی فأَذهب عنهم الرجس» «۲».

۲۲- ونقل «زینی دحلان» الشافعی (سید أحمد) مفتی مکة وهو من علماء القرن الثالث عشر الهجری وله مؤلفات کثیرة، هذا الحدیث فی کتاب «السیرة النبویة» الذی طبع علی هامش السیرة الحلبیة کما نقلة صحیح مسلم تماماً، وکما رواه مسند أحمد بن حنبل عن أبی سعید الخدری «۳».

ترتیب مختصر:

کانت هذه مجموعة من مشاهیر العلماء منذ قرون الإسلام الاولی وحتی القرون الأخیرة، حیث نقلوا حدیث الثقلین فی کتبهم بکل صراحة، ولکن لا ینبغی أن ننسی أنّ هذه طائفةٌ قلیلة من مجموع رواة هذا الحدیث، وطبقاً لما جاء فی خلاصة عبقات الأنوار فقد ذکر المرحوم میر حامد حسین الهندی مائة وستة وعشرین کتاباً معروفاً، وقد أورد فی کتابه هذا نص العبارة مع رقم الجزء والصفحة فی الکتاب «۴».

ومن الجدیر بالذکر أنّ هذا الحدیث لم یُروَ عن جابر بن عبد اللَّه الأنصاری أو أبی سعید

---

(۱) تفسیر الخازن، ج ۱، ص ۴.

(۲) شرح نهج البلاغة، لابن أبی الحدید، ج ۲، ص ۴۳۷، طبع القاهرة.

(۳) السیرة النبویة، ج ۲، ص ۳۰۰؛ علی هامش ج ۳ من السیرة الحلبیة، ص ۳۳ وجاء أیضاً فی ص ۳۳.

(۴) نقلًا عن خلاصة عبقات الأنوار، ج ۲، ص ۱۰۵- ۲۴۲.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۴۸

الخدری أو زید بن الأرقم فحسب، بل رواه ما لا یقل عن ثلاثة وعشرین من صحابة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله عنه مباشرة، وفیما یلی أسماؤهم:

۱- زید بن الأرقم، ۲- أبو سعید الخدری، ۳- جابر بن عبد اللَّه الأنصاری، ۴- حذیفة بن أسید، ۵- خزیمة بن ثابت، ۶- زید بن ثابت، ۷- سهل بن سعد، ۸- ضمرة الاسلمی، ۹- عامر بن لیلی ۱۰- عبر الرحمن بن عوف، ۱۱- عبد اللَّه بن عباس، ۱۲- عبداللَّه بن عمر،

۱۳- عدی بن حاتم، ۱۴- عقبة بن عامر، ۱۵- علی بن أبی طالب علیه السلام، ۱۶- أبو ذر الغفاری، ۱۷- أبو رافع، ۱۸- أبو شریح‌الخزاعی، ۱۹- أبو قدامة الأنصاری، ۲۰- أبو هریرة، ۲۱- أبو هیثم بن التیهان، ۲۲- ام سلمه، ۲۳- أم هانی.

تکرار حدیث الثقلین علی لسان النبی صلی الله علیه و آله:

من الامور التی یجدر ذکرها هنا أنّ النبی صلی الله علیه و آله لم یدل بهذا الحدیث لمرّة واحدة فقط کما هو الحال بالنسبة لحدیث الغدیر الذی صرح به النبی صلی الله علیه و آله مرّة واحدة وسمعه ونقله کثیرون، بل إنّه ردَّدَ حدیث الثقلین فی مواطن عدیدة ومناسبات مختلفة.

والمواطن التی ذُکر فیها الحدیث ونُقل عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فی کتب أهل السنّة عبارة عن:

۱- فی غدیر خم أثناء عودة النبی صلی الله علیه و آله من حجة الوداع، حیث قام وأورد حدیث الثقلین ضمن کلماته المفصلة.

وهذا ما ذکرناه آنفاً عن صحیح مسلم وخصائص النسائی مع ذکر الاسناد والمصادر.

۲- خلال أیّام الحج وفی یوم عرفة وعندما کان النبی صلی الله علیه و آله یخطب من علی ناقته حیث أدلی بهذا الحدیث.

وهذا ما رواه الترمذی فی صحیحه عن جابر بن عبد اللَّه الأنصاری، وأدرج سابقاً تحت الرقم ۲.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۴۹

۳- تحدّث النبی الأکرم صلی الله علیه و آله بهذا الحدیث فی «الجحفة» وهی أحد مواقیت الحج بین مکة والمدینة، کما ذکر ذلک ابن الأثیر فی «اسد الغابة» فی أحوال «عبد اللَّه بن حنطب»، وذُکر سابقاً فی العدد ۸ من سلسلة الأحادیث.

۴- أثناء مرضه الذی انتهی بوفاته، وعندما کان یدلی بآخر وصایاه، أوصی صلی الله علیه و آله بالثقلین وقال: «أیّها الناس یوشک أن اقبض قبضاً سریعاً فینطلق بی وقد قدّمت إلیکم القول معذرةً إلیکم إلّاأنّی مخلف فیکم کتاب ربی عزّ وجلّ وعترتی أهل بیتی، ثم أخذ بید علی علیه السلام فرفعها، فقال: هذا علیٌ مع القرآن والقرآن مع علی لا یفترقان حتی یردا علی الحوض فاسئلوهما ما خلّفت فیهما» «۱».

وهناک دقائق وظرائف لا تخفی علی أهل الحقیقة.

۵- قال صلی الله علیه و آله فی «مسجد الخیف» اثناء «حجة الوداع»: ألا وإنّی سائلکم عن الثقلین، قالوا: یارسول اللَّه وما الثقلان؟ قال: کتاب اللَّه الثقل الأکبر، طرف بید اللَّه وطرف بأیدیکم فتمسکوا به لن تضلوا ولن تزلوا، وعترتی أهل بیتی، فانّه قد نبأنی اللطیف الخبیر أنّهما لن یفترقا حتی یردا علیّ الحوض کاصبعیّ هاتین» «۲».

۶- أثناء عودته صلی الله علیه و آله من الطائف «بعد فتح مکة» حیث وقف النبی وذکر هذا الحدیث وهذه النقاط المهمّة «۳».

إنّ هذا التکرار والتأکید وفی أماکن مختلفة، فی المدینة وفی أیّام الحج، فی یوم عرفة، وفی مسجد الخیف «أیّام منی» وفی وسط الطریق بین مکة والمدینة، وموارد اخری دلیلٌ واضح وبرهانٌ قویٌ وناطق علی أنّ التمسک بهذین الأمرین المهمین یعتبر قضیة مصیریة ومهمة بحیث کان النبی صلی الله علیه و آله یرید توعیة المسلمین علی أهمیّتهما لئلا یضلوا، والعجب العجاب إذا ما تخلینا عنهما بعد کل هذا التکرار والتأکید، وألقینا بأنفسنا فی الضلالة، أو قللنا من شأنهم من خلال التبریرات الخاطئة.

---

(۱) الصواعق المحرقة، ص ۷۵.

(۲) تفسیر علی بن إبراهیم وفقاً لنقل بحار الأنوار، ج ۲۳، ص ۱۲۹، ح ۶۱.

(۳) صواعق ابن حجر، الفصل الأول، الباب ۱۱ آخر ص ۸۹.

نفحات القرآن ج۹ ۹۹

فكيف يمكن المرور مرور الكرام بحديث نقله نيفٌ وعشرون من صحابة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وورد فى المصادر الشهيرة ومن قبل الطبقة الاولى ونقل فى ما يقارب من مائتى كتاب إسلامى معروف، لا شك ولا ريب فى سنده، ولا غموض فى برهانه؟ من المسلم به أنّ مَن يمر بهذا الحديث مرور الكرام تقع على عاتقه مسؤولية عظيمة.

فالذى يؤمن بالنبى صلى الله عليه و آله باعتباره رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وخاتم النبيين والأمين على الوحى، ويرى تأكيده على التمسك بهذين الأمرين المهمين رأى العين، ويعتبر أنّ الهدى فى اتباعهما، عليه أن يعلم أنَّ هناك سرّاً مهماً يكمن فى هذين الأمرين.

المسائل المهمّة المستوحاة من حديث الثقلين:

إنّ هذا الحديث الشريف يرسم خطوطاً مهمّة أمام المسلمين، وسنشير إلى جانب منها بشكل مختصر:

۱- إنّ القرآن وأهل البيت عليهم السلام متلازمان دائماً ولا يمكن فصلهما، والذين يبحثون عن حقائق القرآن يتحتم عليهم التمسك بأهل البيت عليهم السلام.

۲- كما أنّ اتّباع القرآن واجبٌ على المسلمين بلا قيد أو شرط فإنّ اتّباع أهل البيت عليهم السلام واجبٌ أيضاً بلا قيد أوشرطٍ.

۳- إنّ أهل البيت معصومون عليهم السلام، فعدم افتراقهم عن القرآن من ناحية، ووجوب اتباعهم بلا قيد أو شرطٍ من ناحية اخرى دليل واضحٌ على عصمتهم من الزلل والخطأ والذنب، فلو كانوا يذنبون أو يخطئون لانفصلوا عن القرآن، وأنّ اتباعهم لم يؤمِّن المسلمين من الضلالة والانحراف، وأنّ قوله صلى الله عليه و آله: «ما إن تمسكتهم بهما لن تضلوا»، دليل جليٌّ على عصمتهم.

۴- والأهم من كل ذلك أنّ النبى صلى الله عليه و آله قد رسم هذا الخط للمسلمين على مر الزمان إلى يوم القيامة، فيقول: «إنهما لن يفترقا حتى يردا علىَّ الحوض» فهذا يوضح بجلاء أنّ هناك

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۵۱

شخصاً من أهل البيت عليهم السلام بعنوان أمام معصوم على مرّ التاريخ، وكما أنّ القرآن نبراس هداية فإنّهم كذلك، إذن لابدّ أن نسعى ونبحث عنهم فى كلِّ عصر وزمان.

۵- يستفاد من هذا الحديث الشريف أنّ الانفصال عن أهل البيت عليهم السلام أو التقدم عليهم يمثل أساس الضلال، ولا ينبغى تقدم شىء على ما يختارونه.

۶- إنّهم أفضل وأعلم من الناس كافّة.

نعم، فلا غموض فى استجلاء هذه الامور من الحديث المذكور أبداً.

واللطيف أنّ «السمهودى» والشافعى «۱» وهما من علماء القرن التاسع والعاشر الهجرى المعروفين، وصاحب كتاب «وفاء الوفاء» يقول فى احدى مؤلفاته باسم «جواهر العقدين» الذى كتبه حول حديث الثقلين: إنّ ذلك يفهم وجود مَنْ يكون أهلًا للتمسك به من أهل البيت والعترة الطاهرة فى كلّ زمانٍ وُجدوا فيه إلى قيام الساعة، حتى يتوجه الحثُّ المذكور إلى التمسك به كما أنّ الكتاب العزيز كذلك «۲».

سؤال أخير:

يبقى سؤال واحد فقط وهو: إنّه عبر فى بعض الروايات وإن كانت قليلة جداً ب «وسنتى» بدلًا عن «وعترتى أهل بيتى»، حيث عثرنا

عليهما فى مكانين فى سنن البيهقى، ففى مورد يروى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه و آله أنّه خطبنا فى حجة الوداع وقال: «إنّى تارك فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً، ثم قال: كتاب اللَّه وسنة نبيّه» «۳».

وفى سند آخر نقل هذا المعنى عن أبى هريرة أيضاً «۴».

ولكن من الواضح أنّ هذه الرواية لا يُستند عليها فى مقابل جميع تلك الروايات التى

---

(۱) «سمهود»، قرية كبيرة إلى جانب النيل فى مصر.

(۲) خلاصة عبقات الأنوار، ج ۲، ص ۲۸۵.

(۳) سنن البيهقى، ج ۱۰، ص ۱۱۴.

(۴) المصدر السابق.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۵۲

تصرح باسم أهل البيت والعترة، وحتى أنّ كلمة أهل البيت تكررت فى بعضها ثلاث مرات، وتم التأكيد عليهم، وفى بعضها جاء اسم علىّ عليه السلام بالنص، وأنّ النبى صلى الله عليه و آله أخذ بيده وعرَّف به، ويبدو أنّ سلاطين الزمان قاموا بهذا التغيير للإفلات من مؤاخذات الناس، إلّاأنّهم لم يستطيعوا التحريف.

فضلًا عن أنّ هاتين الروايتين على فرض صحة حديث «وسنتى» لاتتعارضان، ففى مكان يوصى النبى صلى الله عليه و آله بالكتاب والسنّة، وفى مكان آخر بالكتاب والعترة، لأنّ النبى صلى الله عليه و آله وكما أسلفنا قد أدلى بهذا الحديث مرات عديدة (وفقاً للروايات التى وردت فى المصادر المشهورة لأهل السنّة)، فتارة فى حجة الوداع، واخرى أثناء عودته من الطائف، ومرّة فى المدينة وعلى المنبر، واخرى على فراش المرض والوفاة «۱»، فما الضير فى أن يقول مرات ومرات: «وعترتى» ومرة واحدة: كتاب اللَّه وسنتى؟

وهل هنالك شخص ينكر أنّ سنّة النبى صلى الله عليه و آله هى احدى آثاره العظيمة، التى يجب العمل بها؟ وهل يمكن لمسلم أن يغض الطرف عن سنة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله التى أكد عليها القرآن، وقال: «مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهاكُمْ عَنهُ فَانتَهوُا». (الحشر/ ۷)

إنّ هذا المعنى لا يتعارض والتأكيد على اتباع العترة والتمسك بها الوارد فى الموارد الاخرى

وبتعبير آخر: إنّ اختيار إحدى الروايتين يكون فى موضع يتعارضان فيه، والحال أنّهما لا يتعارضان على الاطلاق، إنّ التمسك بهدى أهل البيت عليهم السلام هو أحد المصاديق البارزة للعمل بسنة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فمن اطاع أهل البيت عليهم السلام فقد عمل بسنة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، والذى أدار ظهره لهم وقدم اختياره على اختيار رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقد تمرد على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

وعلى أىحالٍ لا يمكن التنصل من المسؤولية التى حمَّلتها إيّانا أحاديث الثقلين الأحاديث المتواترة بلا شك، ولا يمكن التغاضى عنها من ناحية السند والبرهان.

ونختم الكلام بشعر أورده الإمام الشافعى بهذا الصدد:

---

(۱) لقد تمّت الإشارة إلى هذه الموارد سابقاً، ويجدر القول إنّ المرحوم السيد شرف الدين قد أشار إلى الموارد فىالرسالة الثامنة فى كتابه المراجعات.

ولما رأيت الناس قد ذهبت بهممذاهبهم فى ابحرِ العين والجهلِ

ركبتُ على اسم اللَّه فى سفن النجاةوهم آل بيت المصطفى خاتم الرسلِ

وأمسكتُ حبل اللَّه وهو ولاؤُهم كما قد أمرنا بالتمسك بالحبلِ

وما أسعد الإنسان إذ يراهم الملاذ فى كلّ شىء ويعرف الحق من خلالهم «۱».

وقد استند فى الكثير من الروايات الآنفة إلى قضية حوض الكوثر، وسبب ذلك بحسب الظاهر أنّ حوض الكوثر يقع فى باب الجنّة، وأنّ أول قدم للدخول تكون هناك، وأنّ الصالحين يزورون النبى صلى الله عليه و آله وأهل البيت عليهم السلام هناك.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۵۵

۲- حديث سفينة نوح

اشارة

من الأحاديث المشهورة بحق أهل البيت عليهم السلام والأئمّة المعصومين عليهم السلام هو «حديث السفينة» الذى ورد فى الكتب المعروفة لدى الشيعة وأهل السنّة بشكل واسع، ونحن هنا نبحث فى نص واسناد ومصادر هذا الحديث الشريف بشكل سريع:

لقد نقل هذا الحديث ما لا يقل عن ثمانية من أصحاب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهم (أبو ذر، وأبو سعيد الخدرى، وابن عباس، وأنس، وعبد اللَّه بن الزبير، وعامر بن وائلة، وسلمة بن الاكوع، وعلى عليه السلام) «۱».

لقد وردت الروايات الآنفة فى الكتب المشهورة لدى أهل السنّة حيث نشير إلى جانب منها فيما يأتى،- وللمزيد من التوضيح نحث على مراجعة الكتب التالية: احقاق الحق، الجزء التاسع، وخلاصة عبقات الأنوار، الجزء الرابع وسائر الكتب-.

إن أبا ذر رحمه الله كان ماسكاً بباب الكعبة ويقول: «مَن عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فليعلم أنى أبو ذر الغفارى، سمعتُ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: «مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك»، وجاء فى رواية: «ومَنْ تخلّف عنها غرق» «۲».

وعليه فهم سفينة النجاة فى بحر الحياة المتلاطم.

۲- يروى «ابن عباس» وكذا «سلمة بن الاكوع»- وفقاً لما ينقله أبو الحسن على بن

---

(۱) وفقاً لما نقل فى اسد الغابة أنّ عبد اللَّه بن الزبير ولد فى بداية الهجرة، وفى سن السابعة أو الثامنة جاء به أبوه الزبير إلى الرسول صلى الله عليه و آله ليبايعه، فسمع منه صلى الله عليه و آله ما بقى من عمره ورواها (اسد الغابة، ج ۳، ص ۱۶۲).

(۲) روى هذا الحديث الحافظ الطبرانى فى المعجم الكبير والمعجم الصغير، ص ۷۸ طبعة دلهى؛ وابن قتيبة الدينورى فى عيون الأخبار، ج ۱، ص ۲۱۲ طبعة مصر؛ والحاكم النيشابورى فى المستدرك، ج ۳، ص ۱۵۰؛ والذهبى فى ميزان الاعتدال، ج ۱، ص ۲۲۴؛ والسيوطى فى تاريخ الخلفاء، ص ۵۷۳؛ وجماعة اخرى كثيرة.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۵۶

محمد الشافعى، المشهور بابن المغازلى، فى كتاب المناقب- عن النبى صلى الله عليه و آله أنّه قال: «أهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح مَنْ ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك».

وهذه العبارة نقلت عن ابن عباس، إلّاأنّ عبارة «ابن الاكوع» أكثر اختصاراً وهى:

«مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح من ركبها نجا».

يقول الشيخ «محمد أمين الانطاكى»، مؤلف كتاب «لماذا اخترت مذهب الشيعة» فى بحث حديث السفينة: اتفقت آراء علماء الإسلام على صحة واستفاضة نقل هذا الحديث حتى بلغ حدّ التواتر، وهناك عدد كبير من الحفاظ وأئمّة الحديث وأهل السير والتواريخ نقلوا

هذا الحديث حتى بلغ عددهم أكثر من مائة وحتى غير المسلمين نقلوا هذا الحديث ووضعوه بين الأحاديث الإسلامية» «۱».

وروى هذا الحديث فى كتاب «عبقات الأنوار» عن اثنين وتسعين كتاباً مكتوبة من قبل اثنين وتسعين من مشاهير علماء أهل السنة بشكل مفصل مع جميع المشخصات:

وفى الملحقات التى ذكرها صاحب كتاب «خلاصة عبقات الأنوار» نقل هذا الحديث عن ثمانية من الصحابة، وثمانية من التابعين، وثلاثة من علماء القرن الثانى، وثمانية من علماء القرن الثالث، وأربعة عشر من علماء القرن الرابع، وهكذا قرناً بعد قرن حتى وصل إلى القرن الحالى، وذكرهم جميعاً بالإسم والمواصفات «۲».

مفاد حديث السفينة:

من أجل إدراك المعنى الدقيق لهذا الحديث لابدّ من إلقاء نظرة على أحوال سفينة نوح.

يقول القرآن الكريم: «فَفَتَحْنَا ابْوابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ* وَفَجَّرنَا الارضَ عُيُونًا فَالتَقَى المَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ». (القمر/ ۱۱- ۱۳)

---

(۱) لماذا اخترت مذهب الشيعة، ص ۱۶۶.

(۲) خلاصة عبقات الأنوار، ج ۲، ص ۱۲۶- ۱۹۵.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۵۷

لقد دمر هذا الفيضان الشامل وغطى الماء كل شىءً ولم يبق مأوى يلتجىء الإنسان إليه سوى سفينة نوح التى ضمن اللَّه تعالى لمن ركبها النجاة من الغرق، بحيث عندما قال ابن نوح بغرور: «سَآوِى الَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ المَاءِ» فليس هناك فيضان يصل إلى قمم الجبال، جُوبه برد أبيه الحازم والرادع حيث قال له: «لَاعَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ الَّا مَنْ رَّحِمَ»! إشارة إلى المؤمنين الذين ركبوا فى السفينة، وظهر صدق كلام نوح مباشرة إذ: «وَحَالَ بَيْنَهُمَا المَوجُ فَكَانَ مِنَ المُغرَقِينَ». (هود/ ۴۳)

إنّ تشبيه أهل البيت بمثل هذه السفينة وفى تلك الظروف، زاخرٌ بالمعانى التى تعلَّمنا منها الكثير من الحقائق، ومن بينها:

۱- إنّ العواصف ستعصف بالامة الإسلامية بعد النبى صلى الله عليه و آله وتجرف الكثير معها ويغرق فى أمواجها الكثير أيضاً.

۲- هنالك طريق واحد فقط للخلاص من مخالب الأخطار التى تهدد الدين والإيمان وارواح الناس، ألا وهى سفينة أهل البيت عليهم السلام التى يُعتبر التخلف عنها أو تركها سبباً للهلاك.

۳- إنّ الانفصال عن واسطة النقل فى الصحراء قد لا يؤدّى إلى الموت دائماً، إلّاأنّه يُعرِّض الإنسان إلى العناء، بَيدَ أنّ التخلف عن سفينة النجاة فى بحرٍ متلاطم لا ينتج عنه سوى الموت والهلاك.

۴- لقد كان شرط الركوب فى سفينة نوح عليه السلام الإيمان والعمل الصالح، من هنا فقد عرض نوح على ابنه الإيمان، والانفصال عن الكافرين، والركوب معه ومع أصحابه فى السفينة: «يَابُنَىَّ ارْكَبْ مَّعَنَا وَلَا تَكُنْ مَّعَ الكَافِرِينَ». (هود/ ۴۲)

بناء على ذلك فشرط نجاة هذه الامه من العواصف والانحرافات هو الإيمان واليقين بمقام سفينة النجاة هذه.

۵- ليست محبتهم فقط التى تؤدّى إلى النجاة، حيث طرح بعض علماء الإسلام ذلك بادّعائهم أنّ جميع المسلمين يحبون أهل البيت عليهم السلام ويعظمونهم، من هنا فهم جميعاً من الناجين. بل إنّ الكلام الذى جاء فى الرواية هو عن اتباعهم (مقابل التخلف عنهم)، فإنَّ ابن

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۵۸

نوح كان يحبُّ أباه إلّاأنّه لم يكن يتبعه، ولم تؤدّ محبتُه إلى نجاته ابداً (تأملوا جيداً).

۶- كما استفيد من «حديث الثقلين» خلال البحوث الآنفة أنّ التمسك بولاء أهل البيت عليهم السلام مستمرٌ حتى نهاية العالم، وأنّ

القرآن وأهل البيت عليهم السلام لن يفترقا حتى يردا على رسول اللّه صلى الله عليه و آله الحوض فى الجنة، يستفاد أيضاً من «حديث السفينة»، أنّ هذا الخط مستمرٌ حتى نهاية الكون، لأنَّ الدنيا دائماً مركز الابتلاءات والعواصف، أىأنّ الشياطين ودعاة الضلالة والتائهين فى وادى الحيرة موجودون فى كل زمان، ولاتهدأ هذه العواصف أبداً، وهى قائمة إلى يوم القيامة حيث يحكم اللّه تعالى بين عباده، فتزال الاختلافات «۱» على هذا الأساس، فإنّ وجودالسفينة سفينة النجاة هذه ضرورىٌ إلى الأبد والتخلف عنها يؤدّى إلى الهلاك.

۷- إنّ التمسك المطلق بأهل البيت عليهم السلام (فى قبال التخلف عنهم) يمكن أن يكون شاهداً جلياً على وجود الإمام المعصوم فى كل زمان من أهل البيت عليهم السلام، حيث يؤدّى اتّباعه إلى النجاة والتخلف عنه إلى الهلاك.

۸- إنّ هذا الحديث تفسيرٌ للحديث المعروف «ستفترق امّتى على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون فى النار» «۲».

ويبرهن على أنّ الفرقة الناجية هم الذين يتمسكون بمذهب أهل البيت عليهم السلام، ويهتدون بهداهم فى اصول وفروع الدين.

من مجموع ما قيل يمكن الاستفادة أيضاً من هذا الحديث المعروف: إنّ مسألة أهل البيت عليهم السلام يجب أن تكون مسألة بسيطة وعلى الهامش، بحيث يأخذ المسلمون ما يريدونه فى امور الدين والدنيا من الغير ويكتفون بمحبة أهل البيت عليهم السلام.

---

(۱) يصرح القرآن فى آيات عديدة أنّ يوم القيامة يوم يزال فيه الاختلاف وأن اللّه يفصل بين الامم.

(۲) لقد روى هذا الحديث طائفة كثيرة من علماء الشيعة والسنّة، وجاء فى بعض طرق الحديث أن النبى عليه السلام قال فى جوابه لعلى عليه السلام الذى سأله، من هى الفرقة الناجية؟، المتمسك بما تمسكت به أنت و شيعتك و أصحابك (احقاق الحق، ج ۷ ص ۱۸۵).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۵۹

۳- حديث النجوم

اشارة

الحديث الآخر الذى ورد بشكل واسع بحق أهل البيت عليهم السلام فى المصادر الإسلامية، ويؤكّد على أنّهم عليهم السلام هداة وأئمّة الناس فى كل زمان هو حديث النجوم. حيث رواه جماعة كثيرة من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله (ما لا يقل عن سبعة أشخاص، ومنهم على عليه السلام، وجابر بن عبد اللّه، وأبو سعيد الخدرى، وانس بن مالك، والمنكدر «۱»، وسلمة بن الاكوع، وابن عباس)، وجرت الإشارة إليه فى عشرات الكتب من قبل حفاظ أهل السنّة ومحدثيهم، حيث ندرج جانباً منها فيما يأتى، ونشير إلى بقية المصادر بشكل إجمالى (للمزيد من اطلاع القراء):

۱- ينقل «الحاكم النيسابورى» فى المستدرك عن «ابن عباس» أنّ النبى صلى الله عليه و آله قال:

«النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتى أمان لُامتى من الاختلاف، فاذا خالفتها قبيلةٌ من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس».

وبعد ذكره لهذا الحديث قال الحاكم: هذا حديث صحيح السند «۲».

يقول العلّامة «الحمزاوى» فى «مشارق الأنوار»: جاء فى الرواية التى صححها «۳» الحاكم النيسابورى: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتىأمان لُامتى من الاختلاف».

ومن الذين أوردوا هذا الحديث فى كتابه، «ابن حجر» فى «الصواعق» و «العلّامة على المتقى» فى «منتخب كنز العمال» و «البدخشى» فى «مفتاح النجاح» و «الشيخ محمد صبان

(۱) المنكدر بن عبد اللّه، أبو محمد بن المنكدر- طبقاً لقول ابن الأثير فى اسد الغابة- هو من أصحاب رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله.

(۲) الحاكم النيشابورى فى المستدرك، ج ۳، ص ۱۴۹ طبقاً لنقل احقاق الحق، ج ۹، ص ۲۹۴.

(۳) عبارة الحمزاوى‌هكذا، صححها الحاكم على شرط الشيخين (إشارة إلى المعايير التى على أساسها يعتبرالبخارى ومسلم الأحاديث صحيحة، فهذا الحديث صحيح)، مشارق الأنوار، ص ۹۰.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۶۰

المالكى» فى «اسعاف الراغبين» و «العلّامة النبهانى» فى «الشرف المؤبد» و «جواهر البحار» «۱».

كل هذا متعلق بالحديث الذى رواه ابن عباس عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، كما أشرنا أيضاً إلى أنَّ هناك رواة كثيرين أيضاً نقلوا هذا الحديث عن النبى صلى الله عليه و آله، حيث وردت رواياتهم فى كتب السنة والشيعة المعروفة (وبالطبع هناك تفاوت قليل فى عبارات هذه الروايات لا أثر لها فى ما يمثل الهدف الحقيقى).

فمثلًا نقرأ فى رواية «سلمة بن الاكوع»: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتى أمان لُامتى» «۲».

وقد روى هذا المعنى عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بشىء من الاختلاف كلٌّ من جابر بن عبد اللَّه الأنصارى والمنكدر، وانس، وأبو سعيد الخدرى.

ونقرأ فى الحديث الآخر الذى رواه على عليه السلام عن النبى صلى الله عليه و آله بهذا الصدد: «النجوم أمان لأهل السماء فاذا ذهبت ذهب أهل السماء وأهل بيتى أمان لأهل الأرض فاذا ذهب أهل بيتى ذهب أهل الأرض».

وقد نقل هذا الحديث «محب الدين الطبرى» فى «ذخائر العقبى عن «مناقب أحمد بن حنبل» «۳».

ونقله جماعةٌ آخرون فى كتبهم، مثل «الحموينى» فى «فرائد السمطين» و «ابن حجر» فى «الصواعق» و «محمد بن صبان» و «إسعاف الراغبين» و «الخوارزمى» فى «مقتل الحسين» و «النبهانى» فى «الشرف المؤبد».

---

(۱) للمزيد من الاطلاع يراجع احقاق الحق، ج ۹، ص ۲۹۴- ۲۹۶.

(۲) لقد أورد هذا الحديث كلّ من السيوطى فى الجامع الصغير، ص ۵۸۷؛ ومحب الدين الطبرى فى ذخائر العقبى وابن حجر فى الصواعق، وجماعة آخرون فى كتبهم.

(۳) ذخائر العقبى ص ۷.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۶۱

مضمون حديث النجوم:

إن حديث أو أحاديث النجوم تشير إلى امور مختلفة:

۱- إنّ هذا الحديث فى واقع الأمر إشارة إلى آيات القرآن التى تبيّن أنّ لنجوم السماء أثرين مهمين:

أولًا: قوله تعالى «وَبالنَّجْمِ هُم يَهتَدُونَ». (النحل/ ۱۶)

ويقول فى مكان آخر: «وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ النّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِى ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحرِ». (الانعام/ ۹۷)

إنّ هذا فى الواقع إشارة إلى احدى الفوائد المهمّة للنجوم، فقبل اختراع البوصلة كان من المتعذر تشخيص الطرق لاسيما فى الأسفار البحرية- حيث لا- وجود للجبال والأشجار- إلّا عن طريق النجوم، لهذا فإنّ السفن تتوقف عن المسير خلال الليالى التى تغطى فيها الغيوم السماء، وإذا واصلت طريقها فإنّ خطر الموت يهددها.

وهذا يعود إلى أنّ نجوم السماء متجمعة ماعدا النجوم الخمسة السيارة (عطارد، الزهرة، المريخ، المشترى، وزحل) ولا تغير مكانها،

وكأنّها جواهر قد رصعت قطعة قماش سوداء، وهذه القطعة سحبت باتّجاه معين وهنّ يأخذن بها فى الاتّجاه المعاكس، لهذا فقد سميت «الثوابت» بالإضافة إلى النجمة القطبية الثابتة فى مكانها التى لاتبزغ أو تأفل كسائر النجوم، وهذا الوضع أدّى إلى أن يتعرفوا على سائر النجوم ويعرفوا مكانها على مدار السنة، وأن يلتمسوا طريقهم نحو مقاصدهم من خلال الخارطة التى كانت لديهم.

والفائدة الاخرى هى مايقوله القرآن فى أنّ بعض النجوم «رجومٌ» للشياطين، أى أنّها بمثابة السهام التى تنطلق نحو الشياطين وتحول دون نفوذهم إلى السموات، إذ يقول القرآن: «انَّا زَيّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَواكِبِ* وَحِفْظاً مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مّارِدٍ* لَّا يَسَّمَّعُونَ الَى المَلَا الاعْلَى وَيُقذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ* دُحُوراً وَلَهُم عَذابٌ وَاصِبٌ». (الصافات/ ۶- ۹)

من هذه الآيات وسائر آيات القرآن يمكن أن ندرك مفهوم أمان النجوم لأهل الأرض.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۶۲

فكيف توصد النجوم أو «الشهب» الطريق أمام الشياطين، وتمنعها عن النفوذ إلى السموات؟ إنّ هذه المسألة يجب أن تبحث على حدة، وقد أوردنا شرحها فى ذيل هذه الآيات فى التفسير الامثل، وما يتوجب الاهتمام به هنا هو المفهوم الإجمالى للآيات التى تبين أنّ النجوم هى سبب تقهقر الشياطين عن الملأ الأعلى ويصبح منطقة منزهة للملائكة والكروبيين وهذا المقدار كاف لتفسير حديث النجوم.

نعم فآل النبى صلى الله عليه و آله كنجوم السماء، فمن جهة ينقذون الناس من الضلالة فى ظلمات الكفر والفساد والذنوب، ويشخصون لهم سبيل بلوغ غاياتهم، ويحفظون سالكى سبيل الحق من الغرق وسط أمواج الضلالة.

ومن جهة اخرى عندما يحاول شياطين الجن والانس النفوذ إلى حرم الإسلام ليقوموا بتحريف أحكام القرآن والسنّة فإنّهم عليهم السلام يردونهم على أعقابهم كالشهب الثاقبة، ويردون كيدهم إلى نحورهم ويحولون دون اطلاعهم على الأسرار.

وهذه النكتة جديرة بالاهتمام أيضاً لاسيما وأنّها تبيّن أنّ أهل البيت عليهم السلام أمان للُامة ازاء الاختلافات، فلو استمرت الاختلافات لصار الناس من حزب ابليس كما قال الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله: «اختلفوا فصاروا حزب ابليس» وهذا التعبير مفعم بالمعانى.

۲- يستفاد من هذا الحديث أن خطَّ هداية أهل البيت عليهم السلام متواصل حتى فناء الكون، كاستمرار أمان النجوم لأهل السماء أو أهل الأرض.

۳- أنّه يثبت عصمتهم من الخطأ والذنب أيضاً، فلو أمكن صدور الخطأ والذنب عنهم لم يتسن لهم أن يكونوا أماناً- بشكل كامل ومطلق- لأهل الأرض فى مواجهة الاختلاف والضلال، (تأملوا جيداً).

۴- كما أنّ نجوم السماء تتبادل البزوغ فكلما أفل منها واحدٌ بزغ آخر، وكلما اختفت منها مجموعة فى الافق، طلعت اخرى فإنّ أهل البيت عليهم السلام كذلك أيضاً.

وقد وضح على عليه السلام هذا الأمر بصريح العبارة فى نهج البلاغة:

«ألا أن مثل آل محمد صلى الله عليه و آله كمثل نجوم السماء إذا هوى نجمٌ طلع نجمٌ» «۱».

---

(۱) نهج البلاغة، الخطبة ۱۰۰.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۶۳

ولعل الأمر لا يحتاج إلى تذكير بعدم إمكانية تفسير أهل البيت عليهم السلام فى هذه الروايات بنساء النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، لأنّه يتحدث عن أشخاص يمثلون أساس هداية الامّة ونجاتها من الغرق فى الضلالة، ويتصدون للاختلافات فى كل عصر، ونحن نعلم أنّ نساء النبى كن يعشن فى زمان خاص، بالإضافة إلى أنهنَّ لم يكن لهنّ دور خاص فى التصدّى للاختلافات.

سؤال:

ربما يقال: إننا نقرأ فى الحديث المروى عن النبى صلى الله عليه و آله فى مختلف الكتب: «أصحابى بمنزلة النجوم فى السماء فأيّما أخذتم به اهتديتم» «۱».

فهل أنّ هذا الحديث لا يتعارض والأحاديث المذكورة التى وردت بحق أهل البيت عليهم السلام؟

للاجابة عن هذا السؤال، لابدّ من الالتفات إلى بعض الامور:

۱- على فرض أنّ حديث «أصحابى كالنجوم» حديث معتبر فهو لا يتعارض مع ما ورد بحق أهل البيت عليهم السلام، لأنّ وجود مرجع واحد فى بيان حقائق الإسلام لا يتعارض مع وجود المراجع الآخرين، لاسيما وأنّه لم يرد الكلام فى حديث «أهل بيتى كالنجوم» عن القرآن الكريم، بينما يمثل القرآن الكريم أهم سند للمسلمين.

۲- إنّ هذا الحديث «موضوع» و «مقدوح به» من ناحية السند لدى الكثير من علماء أهل السنة، أو مشكوك على أقل تقدير.

ومن الذين صرحوا بهذا المعنى «أحمد بن حنبل» أحد الأئمّة الأربعة لأهل السنّة، و «ابن حزم»، و «أبو إبراهيم المزنى»، أحد أصحاب الشافعى و «الحافظ البزاز» و «الدار قطنى» و «الذهبى» وطائفة اخرى حيث يخرجنا نقل كلام كل منهم عن إطار البحث التفسيرى، ولكن بإمكانكم مراجعة «خلاصة كتاب عبقات الأنوار» بغية الاطلاع الواسع على جميع هذه الأقوال «۲».

---

(۱) جامع الاصول، ج ۹، ص ۴۱۰.

(۲) خلاصة العبقات، ج ۳، ص ۱۲۴ إلى ۱۶۷ (وفى هذا الكتاب بين ضعف سند هذا الحديث عن أكثر من ثلاثين من علماء أهل السنة مع شرح لأحوالهم).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۶۴

۳- إنّ مضمون هذا الحديث لا يتناسب مع المعايير المنطقية، فانّنا نعلم أنّ اختلافات شديدة قد وقعت بين أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله (الأصحاب بالمعنى الشامل للكلمة، نعنى جميع الذين أدركوه صلى الله عليه و آله وكانوا إلى جانبه)، وقد أُريقت دماء كثيرة بسبب هذه الاختلافات ووقعت حروب رهيبة، فأى منطق يرتضى لنا أن نعتبر فرقتين متخاصمتين وكل منهما متعطش لدم الآخر، أنوار هداية، ونخيرُّ الناس بأنّ لا فرق بالنسبة لكم فى أن تلتحقوا بمعسكر أمير المؤمنين عليه السلام أو بمعسكر معاوية؟ أى: أنّ الأمر سيان للقوم فى حرب الجمل سواء كانوا مع على عليه السلام أو مع طلحة والزبير! فكلهم أنوار هداية ويأخذون بأيديكم إلى الجنّة؟

فلا عقل يقبل مثل هذا المنطق، والنبى الأكرم صلى الله عليه و آله أسمى وأرفع من أن ينسب إليه مثل هذا.

إنَّ القرائن تبرهن على أنّ حكام «بنى أُمية» ومن لف لفهم قد ابتدعوا هذا الحديث ونسبوه إلى النبى الأكرم صلى الله عليه و آله من أجل ترسيخ دعائمهم أو إضعاف معنى حديث النجوم والتقليل من أهميّة أهل البيت عليهم السلام، ليفهموا أهل الشام أن لو كانت حكومة على عليه السلام على الحق ومشعل هداية، فإنّ حكومة معاوية كذلك بحكم كونه من أصحاب رسول اللّه، فلا فرق فى أن تكونوا مع هذا أو مع ذاك، واللّه العالم بحقائق الامور.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۶۵

۴- حديث «الأئمّة الأثنى عشر»

اشارة

الحديث الآخر الذى يكشف عن منزلة أهل البيت عليهم السلام فى الولاية والإمامة بشكل عام، وبإمكانه الاجابة عن الكثير من الأسئلة

التى ترد بهذا الصدد، هو ذلك الحديث الذى يذكر أنّ الأئمّة اثنى عشر وهو من أشهر الأحاديث، وقد نقل فى أكثر كتب الصحاح، وفى البداية نتجه نحو سند الحديث، ومن ثم نتطرق إلى مضمونه:

روى هذا الحديث عن جملة من أصحاب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إذ تنتهى أكثر الأسانيد إلى «جابر بن سمرة»، ثم إلى «عبد اللَّه بن مسعود» و «عبد اللَّه بن عمر»، و «عبد اللَّه بن عمرو بن العاص»، و «عبد الملك بن عمير»، و «أبى الجلد»، و «أبى جحيفة» (وهم سبعة أشخاص على الأقل)، إلّاأنّ حفاظ الحديث والذين نقلوه فى كتبهم بلغوا العشرات، والآن نلفت انتباهكم إلى جانب منها:

۱- روى فى صحيح مسلم عن جابر بن سمرة أنّه قال: «سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول:

«لايزال الإسلام عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة- ثم قال كلمة لم افهمها! فقلت لأبى: ما قال؟

فقال: كلّهم من قريش» «۱».

وينقل فى هذا الكتاب بسند آخر عن جابر، وجاء: «لايزال هذا الأمر» بدلا عن «لايزال هذا الدين عزيزاً»، وجاء فى تعبير ثالث وبسند آخر: «لايزال هذا الدين عزيزاً منيعاً».

ويروى عن عامر بن سعد بن أبى وقاص بتعبير رابع: إننى كتبت إلى جابر بن سمرة أن اكتب لى الأخبار التى سمعتها من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فكتب لى: سمعت رسول اللَّه يقول: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنى عشر خليفة كلهم من قريش».

---

(۱) صحيح مسلم، ج ۳، ص ۱۴۵۳.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۶۶

وسمعت أيضاً: «عصيبة من المسلمين يفتتحون بيت أبيض، بيت كسرى أو آل كسرى .

وسمعته يقول أيضاً: «إنّ بين يدى الساعة كذّابين فاحذروهم» «۱».

وعن طريق آخر جاء فى صحيح مسلم نفسه عن جابر: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثنى عشر خليفة»، وفى آخر هذا الحديث تلاحظ أيضاً جملة «كلهم من قريش» «۲».

۲- جاء هذا الحديث فى صحيح البخارى وبعبارات مشابهة، يقول جابر: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول:

«يكون اثنى عشر أميراً فقال كلمة لم اسمعها، فقال أبى إنّه قال كلهم من قريش» «۳».

۳- وذكر هذا المعنى فى صحيح الترمذى أيضاً مع شىء من الاختلاف، ويقول الترمذى بعد نقله: «هذا حديث حسن صحيح» «۴».

۴- كما جاء هذا الحديث فى صحيح أبى داود أيضاً مع اختلاف بسيط، ويبرهن نمط الحديث على أنّ النبى صلى الله عليه و آله أدلى به على الملأ العام، فقد جاء فيه أنّ النبى صلى الله عليه و آله حينما قال:

«لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة فكبر الناس وضجوا ثم قال كلمة خفية: كلهم من قريش» «۵».

۵- ذكر هذا الحديث فى مسند أحمد أيضاً وفى عدّة موارد، بحيث عدّ بعض المحققين فى هذا الكتاب طرقه إلى جابر أربعةً وثلاثين طريقاً «۶».

وجاء عن «مسروق» أنّه قال: كنا جلوساً ليلة عند عبد اللَّه بن مسعود يقرئنا القرآن فسأله رجل فقال: ياأبا عبد الرحمن هل سألتم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كم يملك هذه الامّة من خليفة؟ فقال عبد اللَّه: ما سألنى عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك، قال: سألناه فقال:

---

(۱) صحيح مسلم، ج ۳، ص ۱۴۵۳.

(۲) المصدر السابق.

(۳) صحیح البخاری، ج ۳، الجزء ۹، ص ۱۰۱ (فی الباب الذی أورده قبل باب اخراج الخصوم وأهل الریب).

(۴) صحیح الترمذی، ج ۴، ص ۵۰۱، باب ما جاء فی الخلفاء، الحدیث ۲۲۲۲۳.

(۵) صحیح أبی داود، ج ۴ ص ۱۰۳.

(۶) یراجع کتاب منتخب الأثر، ص ۱۲؛ واحقاق الحق، ج ۱۳.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۶۷

«اثنی عشر کعدة نقباء بنی اسرائیل» «۱».

مانقلناه یتعلق بأشهر کتب السنة وأکثرها اعتباراً التی نقل فیها هذا الحدیث عن طرق مختلفة، ومن بعدها جاء فی کتب اخری أیضاً، حیث نشیر إلی أسماء بعضها تجنّبا للاطالة فی الحدیث، وبإمکانکم الحصول علی مزید من التفصیل فی کتب «احقاق الحق»، و «فضائل الخمسة»، و «منتخب الأثر» وأمثالها.

مضمون حدیث «الأئمّة علیهم السلام اثنی عشر»:

إنَّ التعابیر التی جاءت فی هذه الروایات متفاوتة، فقد عبر فی بعضها ب «اثنی عشر خلیفة» وفی بعض «اثنی عشر أمیراً» وفی بعض جری الحدیث عن ولایة وحکم اثنی عشر رجلًا «ماولاهم اثنی عشر رجلًا»، ولکن غالباً ما عبر ب «خلیفة»، وفی بعضها جاء التعبیر أیضاً بالعدد فقط «اثنی عشر کعدة نقباء بنی اسرائیل»، کما عبر فی بعضها ب «اثنی عشرة قیماً».

ولکن من الواضح أنّها جمیعا تشیر إلی مسألة الخلافة والولایة والحکومة، وبالتالی فهی واحدة.

ومن ناحیة اخری فقد ورد فی بعضها: «لا یزال هذا الدین عزیزا منیعاً»، وفی بعضٍ: «لا یزال أمر امتی صالحاً»، وفی بعض: «لا یزال أمر هذه الامة ظاهراً»، وفی بعض: «ماضیاً» وفی بعض: «لا یضرهم من خذلهم».

وتعابیر اخری من هذا القبیل حیث تشیر جمیعها إلی حقیقة واحدة وهی: صلاح أمر الامّة واقتدارهم وظفرهم ونجاتهم.

---

(۱) مسند أحمد، ج ۱، ص ۳۹۸.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۶۸

ومن جهة ثالثة تلاحظ جملة «کلهم من قریش» فی أغلب هذه الروایات التی نقلت بأسالیب مختلفة، ما عدا بعض الروایات مثل الروایة التی نقلها القندوزی الحنفی فی ینابیع المودة، إذ ینقل فی ذیل هذه الروایة عن کتاب «مودة القربی عن «جابر بن سمرة» أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله قال: «کلهم من بنی هاشم» «۱».

وجاء فی أغلب هذه الروایات أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله خفض صوته أثناء ذکره هذه الجملة، وصرح بها سرّاً، وهذا یدل بوضوح أنّ ثمّة أشخاص کانوا یعارضون أن یکون الخلفاء الاثنی عشر لرسول اللّه صلی الله علیه و آله فی قریش أو بنی هاشم، ممّا أدّی إلی أن یصرح النبی صلی الله علیه و آله بذلک بشکل سری!

علی أیّة حال فإنّ تفسیر هذا الحدیث الشریف الذی ورد فی المصادر المشهورة والمعتبرة ونظراً لاعتراف جمیع علماء الإسلام به فإنّه واضح لأتباع أهل البیت علیهم السلام، وأنّهم لا یرون معنی له سوی الأئمّة الاثنی عشر، إلّاأنّ تفسیره بالنسبة لأتباع المذاهب الاخری أصبح عبارة عن مسألة غامضة ومعقدة ومعضلة، بنحو یمکن معه القول بکل اطمئنان: إنّ أیّاً منهم لم یقدم تفسیراً واضحاً له، والسر فی ذلک معلوم، فالخلفاء الأوائل کانوا أربعة، وحکام بنی امیة کانوا اربعة عشر، وبلغ عدد حکام بنی العباس سبعاً وثلاثین شخصاً.

وإنّ أیّاً منهم لم ینطبق علیه حدیث «الأئمّة اثنی عشر»، کما أنّ الجمع والتمییز بینهم لن یحل المشکلة، إلّاأن نلغی البعض ونقبل

بالبعض الآخر وفقاً لميولنا، وننتخب اثنى عشر منهم بمشقة وعناء، وهذا أيضاً لاينسجم مع أى منطق.

من الأفضل لنا أن نضع زمام الحديث بيد «الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزى الحنفى» فهو يقول فى الكتاب المعروف «ينابيع المودة»:

قال بعض المحققين: إنّ الأحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده صلى الله عليه و آله اثنى عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة فبشرخ الزمان وتعريف الكون والمكان علم أنّ مراد رسول اللّه صلى الله عليه و آله من حديثه هذا الأئمّة الاثنى عشر من أهل بيته وعترته، إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلتهم عن اثنى عشر ولا يمكن أن يحمله على الملوك الأموية لزيادتهم عن اثنى عشر، ولظلمهم الفاحش- إلّاعمر بن عبد العزيز- ولكونهم غير

---

(۱) ينابيع المودة، ص ۴۴۵، الباب ۷۷.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۶۹

بنى هاشم، لأنّ النبى صلى الله عليه و آله قال: كلهم من قريش، فى رواية عبد الملك عن جابر واخفاء صوته صلى الله عليه و آله فى هذا القول يرجح هذه الرواية لأنّهم لايحسنون خلافة بنى هاشم، ولا يمكن أن يحمله على الملوك العبّاسيين لزيادتهم على العدد المذكور ولقلة رعايتهم الآية: «قُلْ لَّا أَسْئَلُكُم عَلِيهِ أَجْراً الَّا المَودَّةَ فِى القُربى . (الشورى/ ۲۳)

وكذلك حديث الكساء، فلابدّ من أن يحمل هذا الحديث على الأئمّة الاثنى عشر من أهل بيته وعترته صلى الله عليه و آله لأنّهم كانوا اعلم أهل زمانه وأجلهم وأورعهم واتقاهم وأعلاهم نسباً وأفضلهم حسباً وأكرمهم عند اللّه «۱».

يقول الدكتور «محمد التيجانى السماوى» الذى كان من أهل السنة ثم اختار التشيع، فى الكتاب الذى ألّفه حول سبب تشيعه واسماه «كونوا مع الصادقين» فى عدّة جمل قصيرة ومفعمة بالمعانى: «هذه الأحاديث لا تصح ولا تستقيم إلّاإذا فسرناها على أئمّة أهل البيت الذين تقول بهم الشيعة الإمامية، وأهل السنّة والجماعة هم المطالبون بحل هذا اللغز إذ إنّ عدد الأئمّة الاثنى عشر الذى اخرجوه فى صحاحهم بقى حتى الآن لغزاً لا يجدون له جواباً» «۲».

والعجيب أنّ البعض أرادوا تفسير هذا الحديث الشريف دون الاذعان لاعتقاد اتباع أهل البيت عليهم السلام فى هذا المجال فتعرضوا لعناء مدهش، فمن ناحية عدوا «يزيد بن معاوية» من الاثنى عشر الذين سما بهم الإسلام واصبح مقتدراً، ومن ناحية اخرى ألغوا عددا من الخلفاء وفقاً لرغبتهم.

وباعتقادنا أنّهم لو اختاروا السكوت لكان أفضل لهم من هذه التبريرات، والأعجب من ذلك كله التفسير الذى سمعناه فى احدى أسفارنا لحج بيت اللّه الحرام من أحد علماء مكة وفى المسجد الحرام وهو: إنّ الأئمّة الاثنى عشر أولهم الخلفاء الأربعة وثمانية منهم سيظهرون فى المستقبل!

بينما كل من يقرأ هذا الحديث يعرف أنّ المراد منه الوجود المتتابع للخلفاء الاثنى عشر،

---

(۱) ينابيع المودة، ص ۴۴۶، ملحق الباب ۷۷.

(۲) كونوا مع الصادقين، ص ۱۴۶.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۷۰

والتعابير مثل: «لا يزال هذا الدين منيعاً عزيزاً»، أو «لا يزال هذا الدين قائماً حتى تقوم الساعة» تفيد هذا المعنى بجلاء وصراحة بأنّ سلسلة خلفاء النبى صلى الله عليه و آله الاثنى عشر ستستمر إلى يوم القيامة.

ونختم هذا البحث بحديث عن الحافظ أبى نعيم الاصفهانى فى كتاب «حلية الأولياء» فهو ينقل بسنده عن ابن عباس أنّ النبى صلى الله

علیه و آله قال: «منْ سرهُ أن یحیا حیاتی ویموت مماتی ویسکن جنهٔ عدن غرسها ربی، فلیوال علیاً من بعدی، ولیوال ولیه ولیقتد بالائمهٔ من بعدی فإنّهم عترتی» «۱».

ملاحظهٔ

وثمهٔ ملاحظهٔ مهمّهٔ هنا نشیر إلیها ونترک شرحها للبحوث اللاحقهٔ، وهی ورود أسماء الأئمّهٔ الاثنی عشر- کما یعتقد به اتباع مذهب أهل البیت- فی العدید من الروایات التی نقلت عن طریق السنّهٔ والشیعهٔ، وفی بعض طرق هذه الروایات تمّت الإشارهٔ إلی اسم أولهم علی علیه السلام وآخرهم المهدی (عج) بصیغهٔ أولهم علی وآخرهم المهدی، وفی بعضها أشیر إلی ثالثهم أی الإمام الحسین علیه السلام بهذا الشکل الذی نقل أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله أومأ إلیه وقال:

«هذا ابنی إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمّهٔ تسع» «۲»، وهکذا اشیر إلی جمیع الأئمّهٔ الاثنی عشر.

لا تخلو الأرض من حجّهٔ:

من المسائل المهمّهٔ التی یستند إلیها فی الروایات هی أنّ الأرض لا تخلو من مندوب عن اللّه تعالی وقد تکرر هذه المضمون فی الروایات المتواترهٔ التی وصلتنا عن مصادر أهل

---

(۱) حلیهٔ الاولیاء، ج ۱، ص ۸۶ (وفقاً لنقل الفضائل الخمسهٔ من الصحاح الستهٔ، ج ۲، ص ۳۴).

(۲) یقول المرحوم العلّامهٔ فی کشف المراد (شرح تجرید الاعتقاد)، إنّ هذا الحدیث روی بشکل متواتر عن النبی صلی الله علیه و آله کشف المراد، ص ۳۱۴.

البیت علیهم السلام، بأنّ الأرض لا تخلو من إمام أو «نبی» أو حجّهٔ علی العموم، وقد احتوی کتاب الکافی علی بابین فی هذا المجال، وروی فی باب منهما تحت عنوان: «إن الأرض لا تخلو من حجّهٔ»، ثلاثهٔ عشر حدیثاً عن الإمام الباقر علیه السلام والإمام الصادق علیه السلام والإمام علی بن موسی الرضا علیه السلام وبعض الأئمّهٔ، فی الباب الآخر تحت عنوان: «إنّه لو لم یبق فی الأرض إلّا رجلان لکان أحدهما الحجّهٔ»، ورویت فیه خمسهٔ أحادیث بهذا المضمون «۱»، حیث نشیر فیما یلی إلی بعض هذه الأحادیث الواردهٔ فی کلا البابین.

نقرأ فی أحد الأحادیث الواردهٔ عن الإمام الصادق علیه السلام أنّه قال: «إنّ الأرض لا تخلو إلّا وفیها إمام کیما إنْ زاد المؤمنون شیئاً ردّهم وإن نقصوا شیئاً أتمَّهُ لهم» «۲».

ونقرأ أیضاً فی حدیث آخر عنه علیه السلام: «ان اللّه أجلُّ وأعظم من أن یترک الأرض بغیر امام عادل» «۳»، بل ورد فی بعض هذه الأحادیث أنّ الأرض إذا خلت من الإمام والحجهٔ ساعهٔ واحدهٔ لتزلزلت الأرض وساخت بأهلها «۴».

ونقرأ فی حدیث آخر عن الإمام الصادق علیه السلام أنّه قال: «لو کان الناس رجلین لکان احدهما الإمام»، «وان آخر من یموت الإمام» «۵».

بالاضافهٔ إلی الأحادیث الثمانیهٔ عشر المذکورهٔ فقد اشیر إلی هذا المعنی بصراحهٔ فی نهج البلاغهٔ أیضاً، ففی الکلمات المهمّهٔ التی قالها الإمام علی علیه السلام لکمیل بن زیاد، یقول:

«اللهم بلی لا تخلو الأرض من قائم للّه بحجهٔ، اما ظاهراً مشهوراً واما خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج اللّه وبیناته» «۶».

وقد نقل المرحوم العلّامة المجلسى أيضاً فى الجزء ۲۳ من بحار الأنوار فى باب «الاضطرار إلى الحجة» ۱۱۸ حديثاً فى هذا المجال وهذه الأحاديث الموجودة فى اصول

---

(۱) اصول الكافى، ج ۱، ص ۱۷۸ و ۱۷۹.

(۲) المصدر السابق، ج ۱ ح ۲ من الباب الأول.

(۳) المصدر السابق، ج ۱، ح ۶ من الباب الأول.

(۴) المصدر السابق، ح ۱۱ و ۱۲ و ۱۳.

(۵) المصدر السابق، ح ۳، (باب إنه لو لم يبق إلّارجلان احدهما الإمام).

(۶) نهج البلاغة، الخطبة ۱۴۷.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۷۲

الكافى هى قسم منها، وقسم كثير اضيف إليها من سائر الكتب «۱».

بناءً على ذلك فإنّ قضية وجود حجة على الأرض فى كل عصر تعتبر من الامور المسلَّم بها فى مذهب أهل البيت عليهم السلام، إلى الحد الذى نقرأ فى حديث للامام موسى بن جعفر عليه السلام:

«إنّ اللَّه لا يُخلى أرضهُ من حجةٍ طرفة عين، إمّا ظاهر وإمّا باطن» «۲».

الإشارات القرآنية والمنطقية على وجوب الحجّة:

إنّ ما جاء فى الروايات الآنفة الذكر يمكن تطبيقه مع الدليل العقلى أيضاً، لأنّ «برهان اللطف» الذى ورد فى مستهل البحث حول لزوم وجود الإمام أو النبى فى كل عصر وزمان، وكذلك المفاسد المترتبة على فقدانه تصدق على ذلك فى جميع الأحوال حتى لو كان سكان الكرة الأرضية شخصين فقط.

تقول قاعدة اللطف: إنّ الذى خلق الإنسان من أجل السعادة والتكامل، وألقى على عاتقه التكاليف، من الواجب أن يهيء مقدمات هداية الإنسان وتربيته، وأن يضع تحت تصرفه مستلزمات بلوغ هذا الهدف لأنّه لو لم يفعل هكذا فقد نقض الغرض، ومن المستحيل أن يفعل اللَّه الحكيم هكذا.

لا- شك فى أنّ وجود العقل أو القادة العاديين لا- يصون الإنسان من الأخطاء والزلات والمعاصى، وبتعبير آخر: إنّ علم الإنسان لايستطيع لوحده إرشاد الإنسان إلى غايته، أى طاعة اللَّه والسعادة الأبدية، بل بالإضافة إلى ذلك فهو يحتاج إلى منْ يرتبط بالعلم الإلهى والمعصوم من الخطأ والزلل والمعصية، ليتسنى له اتمام الحجة وتوضيح السبيل للناس بشكل تام.

إنّ هذا البرهان يصدق فى كل عصر وزمان، ولكل مجتمع كبيراً كان أم صغيراً حتى ولو

---

(۱) بحار الأنوار، ج ۲۳، من ص ۱ إلى ۵۶.

(۲) بحار الأنوار، ج ۴۷، ص ۴۱.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۷۳

كان من شخصين، وعليه فلو لم يكن فى الأرض إلّاشخصان فاحدهما النبى أو الإمام المعصوم.

على أيّة حال فكما قرأنا فى الروايات الآنفة أنّ اللَّه أجلُ من أنْ يكلف الناس بلوغ مقام السعادة من دون أنْ يرشدهم إلى الطريق الصحيح الذى يخلو من الخطأ.

يلاحظ فى بعض آيات القرآن إشارات إلى هذا المعنى أيضاً.

فالآية الكريمة: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ». (الرعد/ ۷)

تـدل على أنّ لكل قوم فى كل عصـر وزمان هادياً، (هادٍ بالمعنى الحقيقى للكلمـة حيث يجسد الهداية الكاملة والخالية من كل خطأ)، ومن هنا نقرأ فى الحـديث الوارد عن الإمام الباقر عليه السـلام، إذ قال فى تفسـير هـذه الآية: «... وفى كلِّ زمانٍ إمامٌ منّا يهديهم إلى ما جاء به رسول اللَّه صلى الله عليه و آله» «۱».

والتعبير الذى جاء فى نهج البلاغة يضم فى ثناياه دليلًا منطقياً أيضاً، وهو: إنّ أحد واجبات الإمام هو المحافظة على آثار النبوة والتعاليم الإلهيّة من كل تحريف، وبتعبير آخر:

لو فرضـنا أنّ كلَّ من على الأرض كفروا فلابدّ من وجود شخص يحافظ على تعاليم وآثار النبوة وينقلها إلى الأجيال القادمة التى تريد سلوك سبيل الهداية، وإلّا فإنّ الحجج الإلهيّة تُمحى وتزول، وتنتهى دلائله وبيناته «لئلا تبطل حجج اللَّه وبيناته».

وهنا نصل إلى خاتمة البحوث المتعلقة بالولاية العامة، والآن نتطرق إلى شروطها وخصائصها.

---

(۱) بحار الأنوار، ج ۲۳، ص ۵، ح ۹.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۷۵

الشروط والصفات الخاصة بالإمام

اشارة

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۷۷

الشروط والصفات الخاصة بالإمام

تمهيد:

نظراً للمسؤوليات الخطيرة الملقاة على عاتق الإمام وخليفة النبى صلى الله عليه و آله، فلابدّ بطبيعة الحال من أن تتوفر فيه شروط صعبة. وتلك الشروط تشابه إلى حدٍ ما شروط وخصائص النبى صلى الله عليه و آله لأنّهما يسيران فى طريق واحد، ويتحملان نوعاً واحداً من المسؤولية، فالنبى صلى الله عليه و آله يتقدم فى المرحلة الاولى والأئمّة يتابعونه فى المراحل اللاحقة.

وكمـا تحـدثنا فى بحث النبوّة، فالنبى وبحكم المسؤوليـة المهمّـة الملقاة على عاتقه يجب أن يتمتع بعلم واسع فى كل مجال، ليسـتطيع انقاذ البشـر من أخطار الضـلالة، ويهديهم فى القضايا العقائدية والأخلاقية والأحكام والأنظمة الاجتماعية إلى ما فيه خيرهم وسـعادتهم وكمالهم، ويوضح الأحكام الإلهيّة بلا نقصٍ أو زيادة.

أضف إلى هـذا فلابدّ أن يتمتع باطلاع عن روح وجسم الإنسان، والمسائل النفسـية والاجتماعية، وتاريخ المجتمع البشـرى، والخلاصـة أن يتمتع بما يساعـد على معرفة الناس الـذين يحتاجون إلى التربية، بل وتم التوضـيح فى بحث علم الأنبياء ووجوب تمتعهم بالعلم بما يخص وقائع المسـتقبل نوعاً ما، ليتسـنى لهم وضع الخطط الدقيقـة لـذلك لشـمولية رسالتهم (للمزيد من التوضـيح بهذا الصدد راجعوا الجزء السابع من نفحات القرآن، بحث المقام العلمى للأنبياء).

وهذه الامور تصدق بالنسـبة لأئمّة الحق وخلفاء الأنبياء أيضاً مع شىء من التفاوت لأنّهم يواصلون طريق الأنبياء وخطهم، وكل مايشرع به اولئك يواصله هؤلاء، وكل ما أقامه

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۷۸

الأنبياء يصونه ويكمله الأئمّة عليهم السلام فالشجيرات التى غرستها سواعد الأنبياء تسقى بسواعد الأئمّة الهداة عليهم السلام.

ومن جهة اخرى فالائمة الصالحون كالأنبياء يجب أن يوصلوا ما يعلمونه إلى الناس سالما من الخطأ والزلل والانحراف، وإذا لم يكونوا معصومين لا تتحقق الغاية من وجودهم.

ومن ناحية ثالثة فالأنبياء وبمقتضى مقام القيادة فى الدين والدنيا لابدّ وأن يكونوا ذوى أخلاق فاضلة وصفات محمودة ظاهرية كانت أو باطنية لئلا يتذمر منهم الناس ولكى تثمر الأهداف من بعثتهم ولايعرض امرٌ ينقض الغاية.

هذا الأمر يصدق بحق الأئمّة عليهم السلام تماما، فهم لا ينبغى عليهم التنزه عن أسباب التذمر فحسب، بل لابدّ من توفر الجاذبيات الأخلاقية لديهم بالقدر الكافى لجذب القلوب والعقول، وهنا لابدّ اولًا من البحث فى علم الإمام.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۷۹

علم الإمام

اشارة

يشير القرآن الكريم إلى هذه المسألة فى عدّة آيات:

فيقول تعالى فى مكان: «وَاذَا جَاءَهُم أَمْرٌ مِّنَ الامْنِ أَوِ الخَوْفِ اذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ الَى الرَّسُولِ وَالَى اولِى الامْرِ مِنْهُم لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُم وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُم وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيطَانَ الَّا قَلِيلًا». (النساء/ ۸۳)

ويقول فى آية اخرى «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ انْ كُنْتُم لا تَعْلَمُونَ». (النحل/ ۴۳)

تدل الآية الاولى على أنّ هناك اشخاصاً بين المسلمين كانوا يسلكون- وبلا وعى منهم- سبيل بث الشائعات التى يثيرها أعداء الإسلام أحياناً، فتارة يثيرون إشاعة الانتصار، واخرى إشاعة الهزائم، أو سائر الإشاعات، وسبب هذا الأمر الغفلة والجهل، وقد يتسبب فى انهيار معنويات المسلمين، يقول القرآن: على المسلمين أن يراجعوا النبى صلى الله عليه و آله أو اولى الأمر فى مثل هذه المسائل الاجتماعية المهمّة التى يجهلونها.

واولى الأمر تعنى أصحاب القرار، ومن المسلم به أنّها لا- تعنى هنا القادة الحربيين، لأنّه تعالى يقول بعد ذلك ما معناه: إنّ الذين يستنبطون الأحكام (أى الذين يبحثون القضايا من أصلها يمتلكون الاطلاع حول هذه الامور، وعلى الذين يجهلون مراجعة هؤلاء)، فإنّ «يستنبطونه» من مادة «نَبَطْ»- على وزن «فَقَطْ»- وتعنى فى الأصل الماء الأول الذى يستخرجونه من البئر ويتفجر من باطن الأرض، لذا يقال للحصول على الحقيقة من مختلف

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۸۰

الأدلة والقرائن، استنباط.

وهذا التعبير صادق بحق العلماء فقط، لا قادة الجيش ولا الأمراء، من هنا فإنّه تعالى يكلف المسلمين بالرجوع إلى العلماء وأُولى الأمر فى المسائل الحساسة والمصيرية.

لكن ما المقصود هنا من «اولى الأمر»؟ ثمّة جدل بين المفسرين أيضاً، فبعض فسرها بمعنى امراء الجيش لاسيّما الجيش الذى فيه رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وبعضٌ بمعنى العلماء والفقهاء، وبعضٌ فسّرها بالخلفاء الأربعة، وبعضٌ بمعنى أهل الحل والعقد (زعماء المجتمع)، وطائفة اعتبرتهم الأئمّة المعصومين عليهم السلام.

والظاهر أنّ التفسير الأخير أكثر ملائمة من البقية، فقد ذكرت خصلتان لُاولى الأمر فى ذيل الآية لايمكن لهما أن تصدقا على غير

المعصوم:

الاولى: ما يقوله تعالى بما معناه: ولو ردوه إلى اولى الأمر لأرشدهم أولئك الذين يعلمون اصول القضايا، وظاهر هذا التعبير أنّ علمهم غير مختلط بالجهل والشك، وهذا الأمر لا يصدق على غير المعصومين.

والثانية: هى أنّه تعالى يعدُّ وجود اولى الأمر نوعاً من الفضل والرحمة الإلهيّة حيث تحول طاعتهم دون اتباع الناس للشيطان: «وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُم وَرَحمَتُهُ لَاتَّبَعتُمُ الشَّيطَانَ إلَّاقَلِيلًا».

ومن الواضح أنّ اتباع المعصومين فقط هو الطريق الأمثل والأصوب الذى بإمكانه الحؤول دون ضلال الإنسان واتباعه للشياطين، لأنّ غير المعصومين ربّما يزلون ويقعون فى الخطأ والمعصية ويصبحون أُلعوبة بيد الشيطان.

لهذا فقد فسّرت (اولى الأمر) فى هذه الآية فى العديد من الروايات التى وصلتنا عن طرق أهل البيت عليهم السلام وأهل السنّة بمعنى الأئمّة المعصومين.

ففى رواية ذكرها المرحوم الطبرسى فى مجمع البيان عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: «هم الأئمّة المعصومون» «۱».

---

(۱) تفسير مجمع البيان، ج ۳، ص ۸۲.

ونقرأ فى الحديث الذى نقل فى تفسير العياشى عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام:

«يعنى آل محمد، وهم الذين يستنبطون من القرآن ويعرفون الحلال والحرام وهم حجة اللَّه على خلقه» «۱».

ونقرأ فى الحديث الآخر الذى نقل فى «كمال الدين» للصدوق عن الإمام الباقر عليه السلام:

«ومنْ وضع ولاية اللَّه وأهل استنباط علم اللَّه فى غير أهل الصفوة من بيوتات الأنبياء فقد خالف أمر اللَّه» «۲».

أمّا فيما يتعلق بالآية الثانية أى: فهى توعز إلى الجميع بسؤال أهل الذكر عن الامور التى يجهلونها يقول اللّه سبحانه: «فاسأَلُوا اهْلَ الذِّكرِ ان كُنتُم لَاتعلَمُونَ».

(النحل/ ۴۳ والأنبياء/ ۷)

فممّا لا شك فيه أنّ الذكر هنا بمعنى العلم والاطلاع، وأهل الذكر تشمل العلماء والمطلعين بشكل عام، وعلى هذا الأساس فقد استدل بهذه الآية بشأن التقليد ورجوع الجاهل للعالم، إلّاأنّ المصداق الكامل لها هم الذين يستلهمون علمهم من علم النبى صلى الله عليه و آله والبارى جلّ وعلا، فعلمهم علم منزه من الخطأ والزلل، علمٌ مقترن بالعصمة، لهذا فقد فسرت هذه الآية باهل البيت عليهم السلام والأئمّة المعصومين، ففى الرواية الواردة عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام فى اجابته عندما سئل عن الآية: «نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون» «۳».

والجدير بالذكر أنّ نفس هذا المطلب أو ما يقاربه قد نقل عن التفاسير الاثنى عشر لأهل السنّة، (المراد من التفاسير الاثنى عشر، تفسير «أبو يوسف» و «ابن حجر» و «مقاتل بن

---

(۱) تفسير كنز الدقائق، ج ۳، ص ۴۸۶.

(۲) المصدر السابق، ص ۴۸۶.

(۳) تفسير البرهان، ج ۲، ۳۶۹.

سليمان» وتفسير «وكيع بن جراح» وتفسير «يوسف بن موسى القطان» وتفسير «قتادة» وتفسير «حرب الطائى» وتفسير «السدى» وتفسير

«مجاهد» وتفسير «مقاتل بن حيان» وتفسير «أبى صالح» وتفسير «محمد بن موسى الشيرازى»).

فقد روى فى هذه التفاسير عن ابن عباس أنّ المراد من الآية «فاسألوا أهل الذكر هو محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، هم أهل الذكر والعلم والعقل والبيان، وهم أهل بيت النبوّة» «۱».

وملخص الكلام هو: بالرغم من سعة مفهوم الآية، إلّاأنّ نموذجها الكامل والشامل لا يتصور إلّافى الأئمّة المعصومين عليهم السلام المنزه علمهم من الخطأ والزلل، ومن هنا يتضح عدم معارضة نزول الآية بشأن علامات الأنبياء السابقين، والتوراة، والانجيل، والسؤال من علماء اليهود والنصارى مع ما قيل فى معنى هذه الآية.

ملاحظة

كما ذكرنا فى مبحث علم الأنبياء فى الجزء السابع من هذا الكتاب، فإنّ الأنبياء المكلّفين بهداية الناس فى جميع الجوانب المادية والمعنوية، الذين تمتد حدود مسؤولياتهم إلى الجسم والروح والدنيا والآخرة، يجب أن يكونوا على جانب كبير للغاية من العلم ليتسنى لهم انجاز هذا الواجب على أحسن وجه.

والأئمّة الذين هم خلفاء النبى يحظون بهذا الحكم أيضاً، فلابدّ من امتلاكهم لعلم يتناسب مع واجبهم العظيم ليطمئن إليهم الناس ويسلمونهم دينهم.

ويجب أن يكون هذا العلم منزهاً من الخطأ والعيب والزلل، وإلّا فإنّه لا يحظى بثقة الناس، ويسمح الناس لأنفسهم بتقديم بعض آرائهم على آراء النبى أو الإمام، باعتبار أنّ النبى والإمام يخطئان أيضاً ولا ينبغى التسليم لهما مطلقاً، إذن فالثقة المطلقة تتبع عصمتهما.

يقول القرآن الكريم بشأن إمام بنى اسرائيل «طالوت»: «انَّ اللَّهَ اصطَفَاهُ عَلَيْكُم وَزادَهُ

---

(۱) احقاق الحق، ج ۳، ص ۴۸۲.

بَسطَةً فِي العِلمِ وَالجِسمِ». (البقرة/ ۲۴۷)

من هنا يقول تعالى فى مقابل مزاعم بنى اسرائيل الذين كانوا يقولون: إنّ طالوت من أُسرة فقيرة ومجهولة، وأنّه خالى اليدين من مال الدنيا: أنّ الأساس الحقيقى للحكم الإلهى هو «العلم» و «القدرة» حيث وهبه اللَّه ما يكفيه منهما.

وفيما يتعلق بيوسف عليه السلام عندما يصف نفسه بالأهلية للتصدى لجانب من حكم مصر، أى إدارة بيت المال، فهو يستند إلى العلم والأمانة: «قَالَ اجعَلْنِى عَلَى خَزَائِنِ الارْضِ انِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ». (يوسف/ ۵۵)

بل كما قلنا سابقاً بشأن علم الأنبياء: لابدّ أن يتمتعوا بجانب من علم الغيب على الأقل ليتسنى لهم القيام بواجبهم على أحسن وجه، وأنَّ الذى يصدق بحقهم يصدق بحق الأئمّة أيضاً.

إنّ تكليفهم عالَمى أيضاً، فلابدّ أن يكونوا مطلعين على أسرار العالم، وواجبهم مرتبط بالماضى والمستقبل، فكيف يمكنهم أداء رسالتهم جيداً إذا كانوا يجهلون الماضى والمستقبل، وأن يضعوا الخطط لجميع الناس؟

إنّ حدود رسالتهم تشمل ظاهر وباطن المجتمع، والناس، فمن المتعذر انجاز هذه الامور المهمّة بدون العلم بالغيب، وهذا ماورد بتعبير لطيف للغاية فى حديث الإمام الصادق عليه السلام يقول «مَنْ زعمَ أنّ اللَّه يحتج بعبد فى بلاده ثم يستر عنه جميع ما يحتاج إليه فقد افترى على اللَّه» «۱».

نعم فالعلم بأسرار العالم حالياً وفى الماضى والمستقبل هو فى واقع الأمر: السبيل إلى انجاز الرسالة المهمّة فى هداية البشر والتحول إلى حجة للَّه تعالى

ومختصر الكلام هو أنّ أول شرط للتصدى لمقام الإمامة هو العلم والاطلاع وإلالمام بجميع العلوم الدينية، وحوائج الناس، وكل ما يلزم فى أمر تعليم وتربية وهداية وإدارة المجتمع الإنسانى، ومن المستحيل أداء هذه المسؤولية بدون مثل هذا العلم.

---

(۱) بصائر الدرجات وفقاً لنقل بحار الأنوار، ج ۲۶، ص ۱۳۷.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۸۵

مصادر علم الأئمّة!

اشارة

من الامور المهمّة الجديرة بالدقّة والاهتمام فيما يتعلق بعلم الأئمّة المعصومين عليهم السلام، مصادر علم الأئمّة عليهم السلام، إذ من أين يحصل لهم هذا الاطلاع الواسع على امور الدين والدنيا، وبالتسليم بأنّ الوحى لاينزل عليهم، وأنّ أبواب الوحى بعد وفاة خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله قد أوصدت والى الأبد، فكيف يطلعون على مسائل الشريعة ومصالح الإسلام والمسلمين والحقائق المتعلقة بالماضى والمستقبل التى تعتبر ضرورية فى أمر هداية الامة؟

من الممكن معرفة هذه المصادر جيدا من خلال الإشارات التى وردت فى آيات القرآن والبيانات المفصلة والواسعة التى جاءت فى الروايات.

إنّ هذه المصادر متنوعة وكثيرة نذكر بعضاً منها:

۱- العلم الكامل بكتاب اللّه

بنحو يلمّون فيه بمعرفة تفسيره وتأويله وباطنه وظاهره ومحكمه ومتشابهه.

يقول القرآن الكريم: «وَيَقُولُ الَّذينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُم وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتابِ». (الرعد/ ۴۳)

يتضح من خلال هذه الآية أنّ هناك شخصا لديه علم الكتاب جميعاً (انتبهوا إلى أنّ علم الكتاب قد جاء بشكل مطلق، وشامل لجميع العلوم المتعلقة بعلم الكتاب، على العكس ممّا ورد فى الآية: «قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ انْ يَرْتَدَّ اليكَ طَرْفُكَ». (النمل/ ۴۰)

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۸۶

من المسلَّم به أنّ كتاب اللّه معين لا ينضب من العلوم، وأنّ العلم به مفتاح لجميع الامور، فعندما يستطيع «آصف بن برخيا» وزير سليمان من القيام بهذا العمل المهم نتيجة لعلمه ببعض الكتاب، ويأتى بعرش ملكة سبأ بطرفة عين من أقصى جنوب الجزيرة العربية (اليمن) إلى أقصى شمالها (الشام مركز حكومة سليمان)، فمن المسلم به أنّ الذى عنده جميع علم الكتاب يستطيع القيام بأعمال أهم من ذلك كثيراً، ولكن من الذى عنده علم الكتاب؟ يشير القرآن الكريم إلى ذلك إشارة غامضة.

فقال البعض: إنّ المراد هو اللّه تعالى (وعلى هذا سيكون عطف جملة «عنده علم الكتاب» عطفاً تفسيرياً، وهذا يخالف ظاهر الكلام).

كما قال عدد من المفسرين: المراد منه هم علماء أهل الكتاب وأشخاص كسلمان، وعبد اللّه بن سلّام الذين كانوا قد شاهدوا علامات النبى صلى الله عليه و آله فى الكتب السماوية السابقة ويشهدون بحقانيته صلى الله عليه و آله.

إلّا أنّ أغلب المفسرين نقلوا فى كتبهم أنّ هذه الآية إشارة إلى على بن أبى طالب عليه السلام وأئمّة الهدى عليهم السلام.

يروى المفسر الشهير القرطبى فى تفسير هذه الآية عن عبد اللّه بن عطاء: قلت لأبى جعفر على بن الحسين عليه السلام: إنّ الناس يظنون

أنّ الـذی عنـده علم الکتاب هو عبـد اللّه بن سـلام، فقال: «إنّما ذلک علی بن أبی طالب رضـی اللّه عنه»، هو علی بن أبی طالب فقط، وکذلک قال محمد بن الحنفیة ذلک «۱».

والجدیر بالذکر أنّ هذه السورة (سورة الرعد) نزلت فی مکة والحال أنّ عبد اللّه بن سـلام وسـلمان الفارسی وسائر علماء أهل الکتاب أسلموا فی المدینة.

وقد ورد هذا الکلام عن سـعید بن جبیر أیضاً عندما سـئل: هل أنّ «مَنْ عنده علم الکتاب» هو عبد اللّه بن سلام؟ قال: «کیف یکون هو وهذه السورة مکیة» «۲»؟

---

(۱) تفسیر القرطبی، ج ۵، ص ۳۵۶۵.

(۲) تفسیر در المنثور، ج ۴، ص ۶۹.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۸۷

کما ینقل الشـیخ سـلیمان القندوزی الحنفی «۱» فی «ینـابیع المودة» عن «الثعلـبی» و «ابن المغـازلی» عن «عبـد اللّه بن عطـاء»: کنت مع محمد الباقر علیه السـلام فی المسـجد ورأیت ولد عبداللّه بن سلام فقلت: هذا ابنُ منْ عنده علم الکتاب، فقال: هذه الآیة بحق علی بن أبی طالب علیه السلام «۲».

وقد رویت فی نفس الکتاب روایة اخری عن عطیة العوفی عن «أبی سعید الخدری» قال: سألت رسول اللّه صلی الله علیه و آله عن آیة «الـذی عنـده علم من الکتاب»، فقال صـلی الله علیه و آله: هو وزیر أخی سـلیمان، ثم سألته عن آیة «قل کفی باللّه شـهیداً بینی وبینکم ومنْ عنده علم الکتاب»، فقال صلی الله علیه و آله: ذاک أخی علی بن أبی طالب علیه السلام «۳».

ونقرأ أیضاً فی روایـة اخری عن ابن عباس أنّه قال: «مَنْ عنده علم الکتاب» إنّما هو علیّ علیه السـلام، لقد کان عالماً بالتفسـیر والتأویل والناسخ والمنسوخ «۴».

وملخص الکلام هو: لا یمکن تفسـیر هـذه الآیـة بعلماء أهل الکتاب ابداً، بسـبب نزول هذه السورة الرعد فی مکة، وهؤلاء أسـلموا بعد الهجرة فی المدینة، واستناداً إلی الروایات الآنفة فهی بحق علیّ علیه السلام ومن بعده تشمل (سائر الأئمّة المعصومین علیهم السلام).

نعم، فهـذا العلم الواسع بـالقرآن الکریم وأسـراره، ودقائقـه، وظـاهره وباطنه، هو أحـد المصادر الرئیسـة لعلم الأئمّـة المعصومین علیهم السلام «۵».

ومن شواهد هذا المعنی قول الآیة الکریمة: «وَمَا یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ الَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِی العِلْمِ». (آل عمران/ ۷)

وللتوضـیح ثمّة جدل بین المفسـرین بأنّ هل «الرَّاسِخُونَ فِی العِلمِ» معطوفة علی «اللّه» أی لیس هنالک من یعلم تأویل القرآن سوی اللّه «والراسخون فی العلم»، أم أنّها مطلع جملة

---

(۱) «قندوز»، مدینة شمال أفغانستان نسب إلیها هذا العالم السنّی.

(۲) ینابیع المودة، ص ۱۰۲.

(۳) المصدر السابق، ص ۱۰۳.

(۴) ینابیع المودة، ص ۱۰۴.

(۵) وردت عن أهل البیت علیهم السـلام روایات عدیـدة فی هـذا المجال، فللمزیـد من الاطلاع راجعوا تفسـیر کنز الـدقائق، ج ۶، ص ۴۸۰ وتفسیر البرهان ذیل الآیة مورد البحث.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۸۸

مستقلة؟ وعليه فإنّ مفهوم الآية يكون هكذا: لا يعلم تأويل القرآن غير اللّه، أمّا الراسخون فى العلم فيقولون: وإن كنّا لا نعلم تأويل الآيات المتشابهة، إلّا أننا نُسلِّم أمامها».

وما يؤيد المعنى الأول هو أولًا: من المستبعد أن تكون فى القرآن أسرار لا يعلمها إلّااللّه فقط، فالقرآن نزل لتربية الناس وهدايتهم، ولا معنى فى أن تكون فى هذا الكتاب آيات وجملٌ لايعلم مقصودها إلّااللّه تعالى

ثانياً: كما يقول المفسر الكبير «الطبرسى» فى «مجمع البيان»: لا يوجد بين المفسرين من يقول: إنّ الآية الفلانية لايعلم معناها إلّااللّه، بل إنّهم يسعون دائماً لكشف أسرار الآيات بطرق مختلفة، منها أحاديث المعصومين عليهم السلام، وفى الواقع أنّ هذا الكلام يناقض إجماع المفسرين.

ثالثاً: إذا كان المقصود هو التسليم بدون علم فيجب أن يقال: «الراسخون فى الإيمان، لا الراسخون فى العلم»، فالذى لا يعرف شيئاً كيف يمكن تسميته راسخاً فى العلم؟

رابعاً: جاء فى عدّة روايات أنّ «الراسخون فى العلم، يعلمون تأويل القرآن» وهذا دليلٌ على أنّ هذه العبارة عطف على لفظ الجلالة «اللّه».

فنقرأ فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «الراسخون فى العلم أمير المؤمنين والأئمّة من بعده» «۱».

وجاء فى رواية اخرى عنه عليه السلام أنّه قال: نحن الراسخون فى العلم ونحن نعلم تأويله» «۲».

ونقرأ فى رواية اخرى أيضاً، أنّ الإمام الباقر عليه السلام (أو الإمام الصادق عليه السلام) قال فى تفسير الآية: «وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى العِلمِ»: «فرسول اللّه أفضل الراسخين فى العلم، قد علمه اللّه عزّ وجلّ جميع ما أُنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان اللّه لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله، وأوصيائه من بعده يعلمونه كله» «۳».

وهنالك روايات عديدة اخرى بهذا الصدد تؤيد هذا المعنى المفهوم «۴».

---

(۱) اصول الكافى، ج ۱، ص ۲۱۳، ح ۳.

(۲) المصدر السابق، ح ۱.

(۳) المصدر السابق، ح ۲.

(۴) للمزيد من التوضيح، يراجع كتاب جامع الأحاديث، ج ۱، ص ۲۷؛ وتفسير كنز الدقائق، ص ۴۲- ۴۵؛ واصول الكافى، ج ۱، ص ۴۱۵.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۸۹

من خلال البراهين الأربعة التى ذكرناها آنفا- وكل برهان منها يكفى لإثبات الغرض- فلا يبقى شك فى أنّ عبارة «والراسخون فى العلم» معطوفة على «اللّه» ومعناها علمهم بالتأويل وباطن الكتاب.

والجدير بالذكر أنّ التعبير ب «الراسخون فى العلم» جاء مرتين فى القرآن الكريم، فمرة جاء فى الآية محل البحث سورة آل عمران ۷، ومرّة فى سورة النساء حيث يقول تعالى بعد أنّ ذم أفعال أهل الكتاب (اليهود والنصارى القبيحة المتمثلة بأكل الربا ونهب أموال الناس:

«لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِى العِلْمِ مِنهُمْ وَالمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ اليكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبلِكَ».

(النساء/ ۱۶۲)

ويبدو أنّ الذين ذكروا اسم «عبداللّه بن سلام» وأمثاله من علماء أهل الكتاب- الذين أسلموا- فى تفسير الراسخين فى العلم يقصدون هذه الآية ۱۶۲ من سور النساء، لا الآية ۷ من سورة آل عمران، لأنّ الآية التى تتحدث حول علماء أهل الكتاب الآية الاولى، أمّا الآية

التى هى محل بحثنا (الآية ۷ من سورة آل عمران) فلا علاقة لها بقضية أهل الكتاب، (تأملوا جيداً).

كما تتضح هنا نكتة مهمّة اخرى وهى: ما ورد فى خطبة الأشباح فى نهج البلاغة حيث يقول عليه السلام: «واعلمْ أنّ الراسخين فى العلم هم الذين أغناهم اللّه عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب لاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب» «۱».

وربّما يكون إشارة إلى آية سورة النساء أيضاً، حيث يتحدث عن تسليم بعض علماء أهل الكتاب والمؤمنين بلا قيد أو شرط أمام القرآن وسائر الكتب السماوية، لا الآية من سورة آل عمران (تأملوا جيداً كذلك).

وملخص الكلام أنّ ظاهر الآية ۷ من سورة آل عمرأن يقول: إنّ اللّه والراسخين فى العلم يعلمون تأويل القرآن، ونظراً إلى أنّ المقصود من الراسخين فى العلم هم النبى صلى الله عليه و آله والأئمّة المعصومون عليهم السلام بالدرجة الاولى إذن يُعرف أحد مصادر علمهم وهو القرآن الكريم وتأويله وتفسيره وظاهره وباطنه.

---

(۱) نهج البلاغة، الخطبة ۹۱ (خطبة الأشباح).

ونختتم هذا الحديث بإشارة اخرى إلى آيات القرآن الكريم فنقرأ فى الآية: «بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ اوْتُوا العِلْمَ». (العنكبوت/ ۴۹)

ففى مصادر أهل البيت عليهم السلام تلاحظ روايات كثيرة بصدد تفسير جملة «الذين اوتوا العلم» فى هذه الآية بالأئمّة المعصومين بعد النبى صلى الله عليه و آله.

وللمزيد من الاطلاع راجعوا بحار الأنوار وتفسير البرهان «۱».

۲- الوراثة من النبى صلى الله عليه و آله

المصدر الثانى من مصادر علوم الأئمّة المعصومين عليهم السلام هو الوراثة من النبى صلى الله عليه و آله، بمعنى أنّ النبى صلى الله عليه و آله قد علَّم علياً عليه السلام جميع العلوم وشرائع الإسلام، واستنادا إلى بعض الروايات فإنّ علياً عليه السلام قد كتب ذلك فى كتاب بخط يده وانتقل هذا العلم إلى أولاده أى الأئمّة المعصومين عليهم السلام نسلًا بعد نسل.

أو بتعبير آخر- كما ورد فى الروايات- أنّ النبى صلى الله عليه و آله علمَ علياً عليه السلام ألف باب من العلم ينفتح من كل باب ألف باب.

وقد احتوى فى كتاب الكافى على روايات عديدة فى هذا المجال، منها ما نقرأه فى حديث عن أبى بصير حيث يقول: سألت الإمام الصادق عليه السلام إنّ شيعتكم يقولون: إنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله علَّم علياً عليه السلام باباً من العلم ينفتح منه ألف باب، قال الإمام عليه السلام: «علم رسول اللّه علياً ألف باب يفتح من كل باب ألف باب».

ثم قال عليه السلام: «يا أبا بصير! ان عندنا الجامعة ... قلت وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول اللّه صلى الله عليه و آله واملائه، من فَلْق فيه، وخطّ على بيمينه، فيها كل حلال وحرام، وكل شىء يحتاج الناس إليه حتى الارش من الخدش» «۲».

والجدير بالذكر أنّه قد وردت روايات لا حصر لها فى اشهر كتب السنة والشيعة حول

---

(۱) بحار الأنوار، ج ۲۳، ص ۱۸۸- ۲۰۸؛ وتفسير البرهان، ج ۳، ص ۲۵۴- ۲۵۶ (لقد روى فى هذين الكتابين مايقارب عشرين حديثاً بهذا الصدد).

(۲) اصول الكافى، ج ۱، ص ۲۳۹.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۹۱

الحديث المعروف ب «مدينة العلم» ومن جملة رواة هذا الحديث «ابن عباس» و «جابر بن عبد اللَّه» و «عبد اللَّه بن عمر» و «على عليه السلام».

ومن الذين نقلوا هذا الحديث فى كتبهم هم «الحاكم النيسابورى» فى «المستدرك»، و «أبو بكر النيشابورى» فى «تاريخ بغداد» و «ابن المغازلى» فى «مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام»، والكنجى فى «كفاية الطالب» و «الحموينى» فى «فرائد السمطين» و «الذهبى» فى «ميزان الاعتدال» و «القندوزى» فى «ينابيع المودة» و «النبهانى» فى «الفتح الكبير» وطائفة اخرى «۱».

ونقرأ أيضاً فى عدّة روايات بصريح القول أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام كانوا يقولون: ما ننقله بإمكانك أن تنقله عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، لأننا سمعنا كل ذلك عن أجدادنا عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله!.

فقد سأل أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام: ربّما نسمع حديثاً منك، ثم نشك فى هل أننا سمعناه منك أم من أبيك؟

فقال عليه السلام: «ما سمعته منّى فاروه عن أبى، وما سمعته من أبى فاروه عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله» «۲».

ويقول فى مكان آخر أيضاً: «حديثى حديث أبى، وحديث أبى حديث جدى، وحديث جدى حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام وحديث أمير المؤمنين عليه السلام حديث رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وحديث رسول اللَّه قول اللَّه عزّ وجلّ» «۳».

وجاء عنه عليه السلام فى رواية اخرى حيث قال بصريح العبارة: «مهما اجبتك فيه بشىء فهو من رسول اللَّه لسنا نقول برأينا من شىء» «۴».

---

(۱) للمزيد من الاطلاع راجعوا احقاق الحق، ج ۵، ص ۴۶۸- ۵۰۱ وللاطلاع على مصادر هذا الحديث فى كتب الشيعة راجعوا كتاب جامع الأحاديث، الطبعة القديمة، ص ۱۶ وما بعدها.

(۲) جامع الأحاديث، ج ۱، ص ۱۷، ح ۴، باب حجية فتوى الأئمّة.

(۳) المصدر السابق، ح ۱.

(۴) المصدر السابق، ح ۷ (وتوجد أحاديث اخرى أيضاً بهذا الصدد فى نفس الكتاب).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۹۲

۳- الاتصال بالملائكة

من مصادر علم الأئمّة، اتصالهم بالملائكة، لا بمعنى أنّهم كانوا من الأنبياء والرسل، فإنّنا نعلم أنّ نبى الإسلام صلى الله عليه و آله كان خاتم الأنبياء والرسل، وبوفاته انقطع الوحى، بل إنّهم كانوا ك «الخضر» و «ذى القرنين» و «مريم»، حيث كانوا على اتصال بالملائكة بناءً على ظاهر آيات القرآن، وكانت الحقائق تلقى فى قلوبهم من خلال عالم الغيب.

جاء عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «إنّ علياً كان مُحدَّثاً»؟ وعندما طلبوا منه عليه السلام معرفة من يُحدِّثه قال: يُحدِّثه ملك، ولما سألوه: هل كان نبيّاً؟ فأومأ بيده بالنفى والانكار، ثم أضاف: كصاحب سليمان، أو كصاحب موسى أو كذى القرنين «۱»، (هناك روايات عديدة أيضاً بهذا المجال) «۲».

۴- إلقاء روح القدس

المصدر الرابع لعلم الأئمّة هو فيض روح القدس.

وتوضيح ذلك: إنّ الحديث قد تكرر فى آيات القرآن عن تأييد «روح القدس» فقد ورد ثلاث مرات بشأن المسيح عليه السلام، (البقرة/ ۸۷ و ۲۵۳ والمائدة/ ۱۱۰) ومرّة واحدة بشأن النبى صلى الله عليه و آله (البقرة/ ۱۱۰).

فمن هو أو ما هو «روح القدس»؟ ثمّة جدل كثير بين المفسرين، فقد فسّره جماعة من المفسرين ب «جبرائيل»، وفسّر بالروح المقدسة الطاهرة للمسيح عليه السلام، أو بمعنى الانجيل الذى انزل عليه، وتارة قالوا: إنّ المراد هو اسم اللَّه الأعظم الذى كان المسيح يحيى به الموتى «۳».

---

(۱) اصول الكافى، ج ۱، ص ۲۷۱.

(۲) المصدر السابق.

(۳) جاءت هذه المعانى الأربعة فى تفسير كنز الدقائق، ج ۲، ص ۷۸، ولكن فى بعض التفاسير المعروفة ذكر التفسير الأول فقط، واكتفى فى تفسير الكبير بذكر ثلاثة معانٍ وهى، جبرئيل، والانجيل، والاسم الأعظم (تفسير الكبير، ج ۳، ص ۱۷۷).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۹۳

ولكن يستفاد من تعابير القرآن الكريم، وكذا مختلف الروايات، أنّ روح القدس له عدّة معان وربّما يحمل معنىً خاصاً فى كل مكان، ففى احدى آيات القرآن الكريم: «قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالحَقِّ». (النحل/ ۱۰۲)

يعنى بحسب الظاهر «جبرئيل» الذى كان ينزل بالقرآن على النبى صلى الله عليه و آله من قبل اللَّه تعالى

لكن يبدو أنّه يحمل مفهوماً آخر فى الموارد الثلاثة الاخرى والتى جميعها بحق المسيح عليه السلام، فالتعبير «إذ أيدتك بروح القدس»- أو- «وأيدناه بروح القدس» يدل على أنّه إشارة إلى الروح التى كانت ترافق المسيح عليه السلام وتؤيده وتسدده.

ويفهم من الروايات التى وردت فى مصادر أهل البيت عليهم السلام أنّ روح القدس هى الروح التى كانت مع الرسل والأنبياء والمعصومين عليهم السلام دائماً، وكانت تنقل إليهم الامدادات الغيبية فى مختلف الحالات، بل يستفاد من الروايات العديدة التى وردت فى مصادر السنّة أيضاً، أنّهم كانوا يصفون الكلام أو الشعر ذى المغزى الذى يصدر عن شخص ما: «كان هذا بتأييد من روح القدس».

ومن هذا الكلام ما نقرأه فى الرواية الواردة فى تفسير الدر المنثور أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قال بحق الشاعر الإسلامى المعروف «حسان بن ثابت»: «اللّهم أيّد حساناً بروح القدس كما دافع عن نبيّه» «۱».

ونقرأ بشأن شاعر أهل البيت المعروف «الكميت بن زيد الأسدى» أنّ الإمام الباقر عليه السلام قال له: كما قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لحسان بن ثابت، «لن يزال معك روح القدس ما ذَبَبْتَ عنّا» «۲».

وورد فى رواية اخرى أنّ الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام بكى كثيراً عندما أنشده الشاعر دعبل الخزاعى بعض أبيات قصيدته المعروفة «مدارس آيات» ثم قال له: «نطق

---

(۱) تفسير در المنثور، ج ۱، ص ۸۷ (ذيل الآية ۸۷ من سورة البقرة) وجاء فى صحيح مسلم، ج ۴، ص ۱۹ و ۳۲ باب فضائل حسان بن ثابت ما يشبه هذا المضمون.

(۲) سفينة البحار، ج ۲، ص ۴۹۵۴.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۹۴

روح القدس على لسانك بهذين البيتين» «۱».

من هنا يتضح جيدا أنّ «روح القدس» روح معينة تعين الإنسان أثناء ادائه للاعمال المعنوية الإلهيّة، وبطبيعة الحال فإنّها متفاوتة بتفاوت

مراتب الأشخاص، فهى لدى الأنبياء والأئمّة المعصومين تكون فعالة وتعمل بشكل استثنائى وأكثر وضوحاً، ولدى الآخرين تكون وفقاً لقابلياتهم وإن كنّا نفتقد العلم بماهيتها وتفاصيلها.

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام فى تفسير «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ* اوْلَئِكَ المُقَرّبونَ»

(الواقعة/ ۱۰- ۱۱)

فقال: «فالسابقون هم رسل اللَّه عليهم السلام وخاصة اللَّه من خلقه، جعل فيهم خمسة أرواح، أيدّهم بروح القدس فبه عرفوا الأشياء ...» «۲».

وجاء فى رواية اخرى عن الإمام الباقر عليه السلام بهذا الصدد حيث قال بعد تعداده للأرواح الخمسة الموجودة لدى الأنبياء والأوصياء: «فبروح القدس .. عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى «۳».

وهناك روايات كثيرة اخرى بهذا المجال فى اصول الكافى وسائر الكتب، حيث لا يسع المجال لشرحها هنا.

نعم فالإمداد الإلهى عن طريق روح القدس مصدر آخر من مصادر علم المعصومين عليهم السلام.

۵- النور الإلهى

المصدر الخامس الذى يمكن ذكره لعلوم الأئمّة هو ماورد فى العديد من الروايات فى اصول الكافى، منها ما يقوله «حسن بن راشد»: سمعت الإمام الصادق عليه السلام يقول: «... فاذا

---

(۱) كشف الغمة، ج ۳، ص ۱۱۸؛ واعلام الورى ص ۳۳۱، وذانك البيتان هما، خروج إمام لا ـ محالة خارج يقوم على اسم اللَّه والبركات

يميز فينا كلَّ حقٍ وباطل ويجزى على النعماء والنقمات

(۲) اصول الكافى، ج ۱، ص ۲۷۱.

(۳) المصدر السابق، ص ۲۷۲.

مضى الإمام الذى كان قبله رفع لهذا منار من نور ينظر به إلى أعمال الخلائق فبهذا يحتج اللَّه على خلقه» «۱».

وورد فى بعض الروايات أيضاً ب «عمود من نور» «۲»، إلّاأنّه غالباً ما جاء تعبير «منار من نور»، وبالطبع ليس هنالك تباين كثير بين هذين التعبيرين.

وللمزيد من الاطلاع راجعوا بحار الأنوار، ج ۶، ص ۱۳۲، إذ ينقل المرحوم العلّامة المجلسى ستة عشر رواية بهذا الصدد، وكذلك وردت روايات عديدة فى هذا المجال فى باب «عرض الأعمال» (ج ۲۳، ص ۳۳۳ وما بعدها).

يستفاد من مجموع ما قيل إنّ مصادر علم الأئمّة المعصومين عليهم السلام متعددة ومتنوعة، ويأتى علمهم بجميع معانى القرآن الكريم بالدرجة الاولى، وفى الدرجة الثانية تأتى العلوم التى يرثونها عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، ويليها التسديد والتأييد الإلهى، والالهامات القلبية والاتصال بالملائكة وعالم الغيب.

ومن فيض هذه المصادر يقتبس الأئمّة المعصومون علوماً ومعارف كثيرة ليتسنى لهم إنجاز مهمّتهم التى تتجسد فى المحافظة على الإسلام والقرآن وسنة النبى صلى الله عليه و آله وهداية الخلق نحو الخالق، وتربية النفوس وإقامة الحدود وتدبير الامور على أحسن وجه.

والملاحظة الاخرى الجديرة بالاهتمام هى أنّه يستفاد من بعض الروايات أنّ أرواح الأئمّة عليهم السلام تستلهم كل ليلة جمعة علوماً

ومعارف جديدة بصدد القضايا المستجدة، وذلك من قبل اللّه تعالى (لينسجموا مع متطلبات الامّة الإسلامية).

منها ما نقرأه فى الرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «إنّ لنا فى كل ليلة جمعة سروراً».

---

(۱) اصول الكافى، ج ۱، ص ۳۸۷، ح ۲.

(۲) المصدر السابق، ح ۴.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۹۶

يقول الراوى فقلت: زادك اللّه وما ذاك؟

قال عليه السلام: «إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول اللّه العرش ووافى الأئمّة معه، فلا تُرَدُّ أرواحنا إلى أبداننا إلّابعلم مستفاد، ولولا ذلك لأنفدنا» «۱».

وتشاهد روايات عديدة فى هذا البحث بهذا الصدد أيضاً يطول شرحها هنا.

نظراً إلى ما ذكرناه فى هذا الفصل يتضح أنّ مصادر علم الأئمّة ليست أمراً بسيطاً، فالمصادر التى يمتلكونها هى التى تميزهم عن سائر الناس، وتعينهم فى أدائهم للمسؤوليات المهمّة التى يتحملونها فى المحافظة على الإسلام وتعاليم القرآن وهداية العباد.

---

(۱) اصول الكافى، ج ۱، ص ۲۵۴ (باب فى أنّ الأئمة عليه السلام يزدادون فى ليلة الجمعة).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۹۷

عصمة الأئمّة عليهم السلام

تمهيد:

التوقى من الخطأ والسهو والمعصية شرطٌ آخر من الشروط العامة للأئمّة المعصومين، وفى الحقيقة أنّ القرائن كافّة التى تدل على عصمة الأنبياء عليهم السلام تدل على عصمة الأئمّة عليهم السلام أيضاً، لأنّ مسؤوليتهم تتشابه إلى حد كبير.

صحيح أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله الواضع لُاسس الشريعة ويتصل بعالم الوحى، أمّا الأئمّة فهم بمثابة الامتداد لوجود النبى صلى الله عليه و آله وهم حماة حراس الشريعة بالرغم من عدم نزول الوحى عليهم، لأنّهم يتبعون أثر النبى صلى الله عليه و آله فى هداية الناس، والدفاع عن الأحكام والحدود الإلهيّة وجميع ما يتعلق بالشريعة، من هنا فهم يشتركون فى الكثير من الصفات ويتشابهون فيما بينهم.

بناءً على ذلك فإنّ جميع الأدلة الرئيسة التى ذكرناها فى بحث عصمة الأنبياء «۱» تصدق فيما يتعلق بالائمّة أيضاً.

بعد هذه اللمحة المختصرة نرجع إلى بعض آيات القرآن الواردة بهذا الصدد ونبدأ بالكلام من القرآن:

۱- «انَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجسَ اهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً». (الأحزاب/ ۳۳)

---

(۱) للمزيد من الايضاح راجعوا ج ۷، ص ۱۴۵- ۱۶۰ من هذا التفسير.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۹۸

فى البحوث السابقة وأثناء تفسير الآية ۱۲۴ من سورة البقرة، قرأنا ما يتعلق بعظمة مقام الإمامة والولاية فى قصة إبراهيم عليه السلام حيث أنّ اللّه تبارك وتعالى قد أخضع هذا النبى العظيم إلى العديد من الاختبارات المهمّة، ولما خرج منها ظافراً قال له: «انِّى جَاعِلُكَ

لِلنَّاسِ امَاماً» (فالإمامة تعنى الهيمنة على الجسم والروح، وتربية النفوس والمجتمعات البشرية).

وعندما سأل إبراهيم عليه السلام هذا المقام لبعض ذريته وأبنائه، جوبه بالرد الإلهى المشروط، فقال تعالى: «لَايَنَالُ عَهدِي الظَّالِمِينَ»، أى (أنّ الرهط الطاهر والمعصوم من أبنائك يستحقون هذا المقام فقط).

وقد تبيّن فى تلك البحوث كيف أنّ هذا المقطع من الآية دليل على عصمة الأئمّة، وأنّ الذين أمضوا عمرهم فى طريق الكفر والشرك من ناحية الاعتقادات، أو من ناحية أعمالهم حيث ارتكبوا الظلم بحق أنفسهم أو الآخرين، لا يستحقون هذا المقام، لأنّ الظلم بالمعنى الشامل للكلمة يشمل الظلم والشرك والكفر والانحرافات العقائدية، وكذلك جميع أشكال التجاوز على الآخرين، وظلم النفس عن طريق ارتكاب المعصية.

وحيث إنّ هذه البحوث قد جاءت هناك بشكل مفصل ومستفيض فلا نرى حاجة للتكرار، وعليه فقد وضع القرآن الكريم الركيزة الأساسية لشرط عصمة الأئمّة فى هذه الآية الكريمة.

والآن نعود إلى آية التطهير وبحث مسألة العصمة الواردة فى هذه الآية:

صحيح أنّ هذه الآية تتوسط الآيات المتعلقة بنساء النبى صلى الله عليه و آله إلّاأنّها تحمل نغمة مختلفة عنها، وتشير إلى معنى آخر، فجميع الآيات التى سبقتها وتلتها جاءت بضمير «جمع المؤنث» بينما جاءت الآية محل البحث بضمائر «جمع المذكر»!

ففى مستهل هذه الآية خاطب تعالى نساء النبى صلى الله عليه و آله وأمرهنّ بالمكوث فى بيوتهن، وأن لا يخرجن بين الناس كما كان سائداً فى الجاهلية، ويحافظن على معايير العفة، وأن يقمن الصلاة ويؤتين الزكاة ويطعن اللَّه ورسوله «وَقَرنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَاتَبَرَّجنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الاولَى وَاقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَاطِعنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ». (الاحزاب/ ۳۳)

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۹۹

فجميع الضمائر الستة التى وردت فى هذا المقطع من الآية هى على صورة جمع المؤنث (تأملوا جيداً).

ثم يتبدل لحن الآية، ويقول: «انَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذهِبَ عَنْكُم الرِّجسَ اهلَ البَيتِ وَيُطهرِّكُم تَطهِيراً».

وقد استخدم فى هذا المقطع من الآية ضميرين جمع بصورة جمع المذكر.

صحيح أنّ مطلع ونهاية كل آية يستهدف امراً واحداً، إلّاأنّ هذا الكلام يجرى فى المكان الذى لا تتوفر فيه قرينة على الخلاف، وعلى هذا فالذين رأوا أنّ هذا الجانب من الآية ناظرٌ إلىّ نساء النبى صلى الله عليه و آله أيضاً فقد نطقوا خلافاً لظاهر الآية والقرينة التى فيها، أى تباين الضمائر.

بالإضافة إلى ذلك نمتلك روايات عديدة فيما يتعلق بهذه الآية حيث نقلها أكابر علماء المسلمين سواء الشيعة أم السنّة عن النبى صلى الله عليه و آله وجاءت بشكل وآخر فى أشهر كتب الفريقين التى تحظى بقبولهم.

هذه الروايات بأجمعها تفيد أنّ المخاطب فى هذه الآية هو النبى صلى الله عليه و آله وعلى وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام (لا نساء النبى) كما سيأتى بالتفصيل فيما بعد.

ولكن قبل الدخول فى البحث لابدّ من التطرق إلى تفسير العبارات:

إنّ التعبير ب «إنّما» الذى عادة ما يستعمل للحصر دليل على أنّ الموهبة الواردة فى هذه الآية تخص آل النبى صلى الله عليه و آله ولا تشمل غيرهم.

وعبارة «يريد» إشارة إلى إرادة اللَّه التكوينية- أى أنّ اللَّه تعالى شاء من خلال أمر تكوينى أن يطهركم ويحفظكم من كل قذارة- لا الإرادة التشريعية، فالإرادة التشريعية تعنى تكليفهم بصيانة أنفسهم طاهرة، ونحن نعلم أنّ هذا التكليف لا يختص بآل الرسول صلى الله عليه و آله بل إنّ المسلمين جميعاً مكلفون بتطهير أنفسهم.

ربّما يتصور أنّ الإرادة التكوينية تفرض نوعاً من الجبر، وفى هذه الحالة لن تكون العصمة فضيلة وفخراً.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۰۰

نفحات القرآن ج۹ ۱۴۹

لقد ذكرنا الاجابة عن هذا السؤال بالتفصيل فى الجزء السابع فى بحث عصمة الأنبياء، ولابدّ من التعرض إليه باختصار: إنّ المعصومين يمتلكون نوعين من القابلية «قابلية ذاتية موهوبة» و «قابلية اكتسابية من خلال أعمالهم وملكاتهم الداخلية»، ومن مجموع هاتين القابليتين اللتين لا تخلو إحداهما على أقل تقدير من صبغة اختيارية لتحصيل هذا المقام السامى، وبتعبير آخر فإنّ المشيئة الإلهيّة توفر الأرضية للتوفيق من أجل بلوغ هذا المقام الشامخ، واستثمار هذا التوفيق يتعلق بإرادتهم (تأملوا جيداً).

فترك الذنب بالنسبة لهم محال عادى لا عقلى، فمثلًا، محال عادىٌ أن يصطحب إنسان عالم ومؤمن الخمر إلى المسجد ويحتسيه بين صفوف الجماعة، إلّاأنّه من المسلم به أنّ هذا الأمر ليس محالًا عقلياً، ولا يتعارض مع كون هذا الفعل اختيارياً، أو على سبيل المثال، أنّ الإنسان العاقل لا يخرج إلى الزقاق والشارع عارياً كما ولدته امه أبداً، فالقيام بهذا العمل ليس محالًا بالنسبة له، بل مستوى تفكيره ومعرفته لا يسمح له بالقيام بمثل هذا الفعل وإن كان فعله وتركه باختياره.

وهكذا حالة ارتكاب الذنوب بالنسبة للأنبياء والأئمّة، صحيح أنّ العصمة من الألطاف الإلهيّة، بَيدَ أنّ الألطاف الإلهيّة تخضع لحساب، كما يقول القرآن الكريم بشأن إبراهيم عليه السلام:

لن تنال منزلة الإمامة ما لم تفلح فى الابتلاءات الإلهيّة «وَاذِ ابْتَلى ابْرَاهِيمَ ربُّه بِكَلِماتٍ ...» «۱».

(البقرة/ ۱۲۴)

وأمّا كلمة «الرجس» فتعنى لغةً، الشىء القذر سواء من ناحية كونه قذراً ومقززاً لطبع الإنسان، أو بحكم العقل، أو الشرع، أو جميعها.

من هنا فبعد أن يفسر «الراغب» فى «المفردات» الرجس بأنّه الشىء القذر، يذكر له أربع حالات (نفس الحالات الاربع التى ذكر ت أعلاه من ناحية طبع الإنسان، أو العقل، أو الشرع، أو جميعها)، وإذا ما فسّر الرجس فى بعض تعابير العلماء بالذنب أو «الشرك» أو

---

(۱) للمزيد من الايضاح فى مجال أنّ العصمة لا تتنافى واختيارية أفعال المعصومين راجعوا، ج ۷، ص ۱۵۵ وما بعدها من هذا التفسير.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۰۱

«العقيدة الباطلة» أو «البخل والحسد» فهو فى الحقيقة بيان لمصاديق من هذا المفهوم الواسع الشامل.

على أيّة حال، نظراً لمجىء «الف ولام الجنس» فى بداية هذه الكلمة «الرجس» والتى تفيد العموم، يكون مفهوم الآية: إن اللَّه شاء أن يبعد كل أنواع الرجس عنهم.

وفى عبارة: «ويطهركم تطهيرا»، فبما أنّ «التطهير» تعنى التزكية فهى تمثل تأكيداً آخر على قضية نفى الرجس وكافة الاقذار التى وردت فى العبارة السابقة، وكلمة «تطهيراً» التى هى بعنوان مفعول مطلق فهى تأكيد آخر على هذا المعنى

والنتيجة: هى أنّ اللَّه تعالى شاء وبمختلف التأكيدات أن يُطهر ويُنزه آل النبى صلى الله عليه و آله من كل أشكال القذارة والرجس، ومن المسلم أنّه يشمل النبى صلى الله عليه و آله بالمرتبة الاولى باعتباره صاحب الدار ومن ثم البقية، والآن لنعرف من هم أهل البيت؟

مَنْ هم أهل البيت؟

رأى بعض من مفسرى أهل السنّة أنّ ذلك يعنى نساء النبى صلى الله عليه و آله، ولكن كما قلنا فإنّ تغيير سياق الآية، وتبديل الضمائر من «جمع المؤنث»- فيما قبل وبعد هذه الآية- إلى «جمع المذكر» دليل بَيّنٌ على أنّ لهذه العبارة مضمونا منفصلًا، وأنّ المراد منها أمر آخر، أليس اللَّه حكيماً والقرآن فى أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة وجميع عباراته تخضع للحساب.

وطائفة اخرى من المفسرين خصتها بالنبى وعلى وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، والروايات الكثيرة الواردة فى مصادر أهل

السنّة والشيعة والتى نشير إلى بعضها لاحقاً شاهدٌ على هذا المعنى

وبسبب وجود هذه الروايات ربما ذكر الذين لا يحصرون الآية بهؤلاء العظماء معنىً واسعاً لها بحيث يشملهم ويشمل نساء النبى صلى الله عليه و آله وهذا تفسير ثالث للآية.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۰۲

أمّا الروايات التى تدل على اختصاص الآية بالنبى صلى الله عليه و آله وعلى عليه السلام وسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام وابنيهما الحسن والحسين عليهما السلام فهى- وكما أشرنا- كثيرة للغاية، منها ثمانية عشرة رواية، نقلت خمس منها فى تفسير «الدر المنثور» عن ام سلمة، وثلاث عن أبى سعيد الخدرى، وواحدة عن عائشة، وواحدة عن انس، واثنتان عن ابن عباس، واثنتان عن أبى الحمراء، وواحدة عن واثلة بن الاسقع، وواحدة عن سعد، وواحدة عن الضحاك بن مزاحم، وواحدة عن زيد بن الأرقم «۱».

ويحصى المرحوم العلّامة الطباطبائى فى تفسير «الميزان» الروايات التى وردت بهذا الصدد بما يربو عن سبعين رواية ويقول: وهى روايات جمة تزيد على سبعين حديثاً يربو ما ورد منها من طرق أهل السنّة على ما ورد منها من طرق الشيعة، ويضيف رواة آخرين سوى الذين ذكرناهم أعلاه (الرواة الذين ذكرت رواياتهم فى غير تفسير الدر المنثور).

وذكر البعض أنّ عدد الروايات والكتب التى نقلت فيها بلغ المئات ولا يُستبعد أن يكون كذلك.

وهنا نذكر طائفة من هذه الروايات فقط مع ذكر مصادرها ليتبين قول الواحدى فى «أسباب النزول»: أنّ الآية نزلت فى النبى صلى الله عليه و آله وعلى وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام خاصة لايشاركهم فيها غيرهم «۲».

ويمكن اختصار هذه الروايات فى أربعة اقسام:

۱- الروايات التى نقلت عن بعض نساء النبى صلى الله عليه و آله تقول بصريح التعبير: عندما كان النبى صلى الله عليه و آله يتحدث عن هذه الآية سألناه هل نحن منهم؟ فقال: «لا ولكنكم على خير».

منها ما يرويه الثعلبى فى تفسيره عن «ام سلمة» زوجة النبى صلى الله عليه و آله أنّ النبى كان فى بيتها وجاءته فاطمة عليها السلام بالطعام، فقال لها صلى الله عليه و آله: «ادع لى بعلك وابنيك» فجاؤوا فتناولوا الطعام ثم نشر صلى الله عليه و آله عليهم الكساء وقال: اللّهم هؤلاء أهل بيتى وعترتى فَأذهب عنهم الرجس

---

(۱) تفسير در المنثور، ج ۵، ص ۱۹۶ و ۱۹۹.

(۲) تفسير الميزان، ج ۱۶، ص ۳۱۱.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۰۳

وطهِّرهم تطهيراً، ونزلت آية «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ ...» فقلت يارسول اللَّه وأنا معكم؟! فقال: «إنّكِ على خير» «۱».

وكذلك الثعلبى وهو من العلماء المعروفين لدى أهل السنّة الذى عاش فى القرن الرابع وأوائل القرن الخامس، وتفسيره الكبير معروف، يروى عن عائشة زوجة النبى صلى الله عليه و آله مايلى:

عندما سئلت عن حرب الجمل ودورها فى تلك الحرب المدمرة، قالت (بتأسف): لقد كان تقديراً إلهياً! وعندما سئلت عن على عليه السلام قالت:

«تسألنى عن أحبّ الناس كان إلى رسول اللَّه، وزوج أحب الناس كان إلى رسول اللَّه، لقد رأيت علياً وفاطمة وحسنا وحسيناً وجمع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بثوب عليهم، ثم قال: اللّهم هؤلاء أهل بيتى وحامتى فَأذهب عنهم الرجس وطهِّرهم تطهيراً. قالت: فقلت يارسول اللَّه أنا من أهلك؟ قال: تنحى فإنّك إلى خير» «۲».

فمثل هذه الروايات تؤكد بصراحة أنّ نساء النبى صلى الله عليه و آله لم يكنّ من أهل البيت فى هذه الآية.

۲- وردت قصّة حديث الكساء فى روايات كثيرة للغاية وبتعابير مختلفة والمضمون المشترك لها جميعاً هو أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله دعا علياً عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام- أو أنّهم حضروا عند رسول اللّه صلى الله عليه و آله- أو أنّه غطاهم بالكساء أو بقماش، وقال: إلهى هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس، فنزلت الآية: «انَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيتِ ويُطَهِّرَكُم تَطْهِيراً».

والجدير بالاهتمام أنّ هذا الحديث روى فى صحيح مسلم عن «عائشة»، وكذلك نقله الحاكم فى «المستدرك»، والبيهقى فى «السنن»، وابن جرير فى «تفسيره»، والسيوطى فى «الدر المنثور» «۳».

---

(۱) ذكر الطبرسى فى مجمع البيان فى ذيل الآية مورد البحث، والحاكم الحسكانى فى شواهد التنزيل، ج ۲، ص ۵۶، الحديث أعلاه.

(۲) تفسير مجمع البيان، ذيل الآية محل البحث.

(۳) صحيح مسلم، ج ۴، ص ۱۸۸۳، ح ۲۴۲۴ (باب فضائل أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۰۴

وأورده الحاكم الحسكانى فى شواهد التنزيل أيضاً «۱»، كما نقل هذا الحديث فى صحيح «الترمذى» مراراً، ففى موضع رواه عن «عمرو بن أبى سلمة» وفى موضع آخر عن «ام سلمة» «۲».

والملاحظة الاخرى هى أنّ «الفخر الرازى» يضيف فى ذيل آية المباهلة (سورة آل عمران، الآية ۶۱) بعد نقله لهذا الحديث (حديث الكساء):

واعلم أنّ هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث «۳».

كما يجدر ذكر هذه الملاحظة وهى: أنّ الإمام «أحمد بن حنبل» أورد هذا الحديث فى مسنده بطرق مختلفة «۴».

۳- نقرأ فى جانب آخر من الروايات العديدة والكثيرة أيضاً أن النبى صلى الله عليه و آله وبعد نزول آية التطهير كان يمرّ على دار فاطمة عليها السلام ولعدّة أشهر «فى بعضها ستة أشهر، وفى بعضها ثمانية أو تسعة أشهر» أثناء ذهابه لصلاة الصبح وينادى: «الصلاة ياأهل البيت! إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيتِ ويُطَهِّرَكُم تَطهِيراً».

وروى هذا الحديث فى «شواهد التنزيل» للمفسر الشهير «الحاكم الحسكانى» عن «انس بن مالك» «۵».

وجاء فى نفس الكتاب رواية اخرى عن «أبى الحمراء» يذكر فيها أنّ المدّة كانت «سبعة

---

(۱) شواهد التنزيل، ج ۲، ص ۳۳، ح ۳۷۶.

(۲) صحيح الترمذى، ج ۵، ص ۶۹۹، ح ۳۸۷۱ (باب فضل فاطمة).

(۳) تفسير الكبير، ج ۸، ۱۰۵ ص ۸۰.

(۴) مسند أحمد، ج ۱، ص ۳۳۰ و ج ۴، ص ۱۰۷ وج ۶، ص ۲۹۲ (نقلًا عن فضائل الخمسة، ج ۱، ص ۲۷۶ وما بعدها).

(۵) شواهد التنزيل، ج ۲، ص ۱۱ و ۱۲ و ۱۳ و ۱۴ و ۱۵ و ۹۲ (انتبهوا إلى أنّ شواهد التنزيل نقل هذه الرواية بطرق عديدة).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۰۵

أشهر».

ورويت هذه الواقعة أيضاً فى نفس الكتاب عن «أبى سعيد الخدرى» ذاكراً أنّ المدّة كانت «ثمانية أشهر» «۱».

إنّ الاختلاف فى هذه التعابير أمر طبيعى، فربما شاهد أنس هذا الأمر لمدّة ستة أشهر، وأبو سعيد الخدرى لمدّة ثمانية أشهر، وأبو الحمراء لمدّة سبعة أشهر وابن عباس تسعة أشهر «۲».

فكل منهم نقل ما رآه، فلا تضارب بين كلامهم.

على أيّة حال، فاستمرار هذه الحالة وتكرار هذا الكلام خلال تلك الفترة الطويلة من قبل النبى الأكرم صلى الله عليه و آله كان أمراً مخططاً له، فهو كان يريد أن يُبيّن بوضوح أنّ المراد من «أهل البيت» هم أهل هذه الدار فقط، لئلا يبقى شك بالنسبة لأىشخصٍ فى المستقبل، وليعلم الجميع أنّ هذه الآية نزلت بحق هذه الزمرة فقط، والعجيب أنّ القضية بالرغم من هذا التكرار والتأكيد بقيت غامضة بالنسبة للبعض.

لاسيّما وأنّ الدار الوحيدة التى كانت بابها مفتوحة على مسجد النبى صلى الله عليه و آله هى دار النبى صلى الله عليه و آله وعلى عليه السلام، (فقد أمر النبى صلى الله عليه و آله بإغلاق جميع الأبواب التى كانت تفتح على المسجد ماعدا هاتين البابين).

ويذكر أنّ الكثير من الناس طالما سمعوا هذا الحديث عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله أثناء الصلاة، وبعد هذا التأكيد والإثبات أليس من المدهش أن يصر بعض المفسرين على سعة مفهوم الآية لتشمل نساء النبى صلى الله عليه و آله أيضاً، مع ما أوردناه سابقاً من حديث عائشة زوجة النبى صلى الله عليه و آله واستنادا إلى شهادة التاريخ حيث أنّها لم تَدعْ شيئاً أثناء ذكرها لفضائلها وتفاصيل حياتها مع النبى صلى الله عليه و آله، فهى لم تر نفسها غير مشمولة بهذه الآية فحسب، بل تقول: إنّ النبى قال لى:

«لستِ منهم»!

---

(۱) شواهد التنزيل، ج ۲، ص ۲۸؛ واحقاق الحق، ج ۲، ص ۵۰۳ إلى ۵۴۸.

(۲) تفسير در المنثور، ج ۵، ص ۱۹۹.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۰۶

۴- الروايات العديدة المروية عن الصحابى المعروف أبى سعيد الخدرى التى أشارت الى آية التطهير تقول بصراحة: نزلت فى خمسة: فى رسول اللّه وعلى وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام «۱».

وملخص الحديث هو: إنّ الروايات التى وردت فى المصادر الإسلامية بشأن آية التطهير واختصاصها بالنبى وعلى وفاطمة والحسن والحسين من الكثرة بحيث يجعلها فى صف الروايات المتواترة، ولا يبقى فيها أدنى شك من هذه الناحية، حيث إنّ صاحب شرح إحقاق الحق ينقلها عن مايربو على سبعين مصدراً من مصادر أهل السنة (بالإضافة إلى المصادر المعروفة لدى أتباع أهل البيت) ويقول: «لو أحصينا كافة هذه المصادر لتجاوزت الألف» «۲»!.

أجوابة عن عدّة أسئلة:

نظراً إلى أنّ الآية الآنفة الذكر التى تواترت الروايات فى المصادر الإسلامية المعروفة فى تفسيرها، تعد كرامة عظيمة لأئمّة أهل البيت عليهم السلام يمكن اعتبارها دليلًا على حقانية خَطِّهم، وقد تشبث بعض العلماء وأخذوا كالعادة بالبحث عن إشكالات أشبه ما تكون باختلاق المبررات بعيداً عن الانتقاد العلمى، بينما أيقنت طائفة اخرى بالآية والروايات بشجاعة، وإن ظلوا أتباعاً لطريقة أهل السنّة من الناحية الاصولية، وفيما يلى بعض الانتقادات:

۱- المراد من أهل البيت هم الساكنون فى بيت النبى صلى الله عليه و آله، لأنّ البيت يعنى الدار المسكونة، وسكنةُ بيت النبى صلى الله عليه و آله هم نساؤه، وليس الآخرين، وإذا ما جاء الضمير على صورة ضمير المذكر فالسبب يعود إلى أنّ لفظ «الاهل» مذكر، وإذا ما جاء البيت بصيغة المفرد لا الجمع، بينما نساء النبى صلى الله عليه و آله كنّ يسكنّ فى بيوت عديدة، فذلك بسبب أنّ النبى صلى الله عليه و آله كان واحداً، فذكر بيته بصفة الواحد أيضاً، والخلاصة أنّ الآية ناظرة إلى نساء النبى صلى الله عليه و آله فقط.

---

(۱) وردت فی شواهد التنزیل أربع روایات بهذا الصدد، ج ۲ من ص ۲۴- ۲۷ (ح ۶۵۹ و ۶۶۰ و ۶۶۱ و ۶۶۴).

(۲) اقتباساً من احقاق الحق، ج ۲، ص ۵۰۲ إلی ۵۶۳.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۰۷

لقد اتضحت الاجابة جيداً عن هذا السؤال أو التبرير من خلال الأبحاث السابقة، وآثار التكلف أثناء الدفاع عن هذا الرأی مشهودة تماماً، فلو كان المقصود من (الأهل) نساء النبی صلی الله علیه و آله یكون ظاهر اللفظ «مفرد مذكر» ومعناه «جمع مؤنث»، بینما لم یذكر فی الآیة لا «المفرد المذكر» ولا «الجمع المؤنث» بل جاء بصیغة «الجمع المذكر».

كما أنّ التعبیر ب «البیت» جاء بصیغة المفرد خلافاً لمطلع الآیة الذی جاء بصیغة الجمع، فمن المتعذر أن تكون عبارة: «وَقَرْنَ فِی بُیُوتِكُنَّ» من أجل شخص النبی صلی الله علیه و آله، لأنّ النبی صلی الله علیه و آله لم یكن یمتلك بیتاً مستقلًا، فقد كان بیته هی البیوت التی كانت تعیش فیها زوجاته.

علی هذا الأساس فلا سبیل سوی أن یكون المقصود من البیت هنا بیت القرابة والارتباط النسبی بالنبی صلی الله علیه و آله، لا بیت السكنی كما فی التعبیر المتداول والمعتاد علیه.

بالإضافة إلی كل هذا فعلی فرض قبولنا بهذه الآراء البعیدة عن الواقع، فهل یمكن التغاضی عن روایات بهذه السعة والكثرة والصراحة وهی التی تحصر أهل البیت علیهم السلام بخمسة أشخاص؟ أم نعتبرها روایات ضعیفة السند؟ فلو لم تكن هذه الروایات متواترة وقویة، فلیس لدینا- إذن- حدیث متواتر وصحیح، ولو كانت هذه الروایات خالیة من الصراحة، فأیّ روایة صریحة فی مضمونها؟!

والأدهی من ذلك كله مانقل عن «عكرمة» قوله: من شاء باهلتُه أنّها نزلت فی نساء النبی صلی الله علیه و آله «۱»، ونقل عنه فی تعبیر آخر: إنّ عكرمة كان ینادی فی السوق أنّ قوله تعالی إنّما یرید اللَّه ... نزل فی نساء النبی صلی الله علیه و آله «۲».

إنّه لمدهش حقاً، فهل یمكن إثبات المسائل العلمیة والاستدلالیة بالمباهلة والصراخ فی الأسواق، وهو أمر یمتلك جمیع هذه الأدلة والشواهد والقرائن، إذ یقوم النبی صلی الله علیه و آله ببسط الكساء علی خمسة أشخاص ویشخّصهم بدقّة ویخاطبهم، حتی أنّه لم یسمح ل «أم سلمة»

---

(۱) تفسیر روح المعانی، ج ۲۲، ص ۱۲.

(۲) المصدر السابق، ص ۱۳.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۰۸

و «عائشة» بالدخول تحته، وأخذ یكرر هذه العبارة أمام دار فاطمة علیها السلام لمدة ستة أشهر أو ثمانیة أشهر أو تسعة أشهر، دالًا علی أنّ المرادف بهذه الآیة هو أنتم، وإنّ كلمة «إنّما» التی تدل علی الحصر واضحة للعیان.

والنبی صلی الله علیه و آله إنّما یرید بهذا التأكید ازالة جمیع اشكال الشبهات، بَیدَ أنّ عكرمة یرید من خلال الدوافع التی یعلمها جیداً أن یثبت بالمباهلة غیر ذلك رافعاً عقیرته فی الأسواق ضد ذلك!.

إنَّ حماس واندفاع عكرمة وراء المباهلة النادرة والقلیلة الحصول فی الأبحاث العلمیة، وكذا مناداته فی الأسواق التی هی من النوادر فی القضایا العلمیة أیضاً، بحد ذاته دلیلٌ علی أنّ هناك أمراً وراء ذلك، وإنّ وراء هذا القیل والقال تكمن أسرارٌ اخری فهل كان مكلَّفاً بإنكار هذه الفضیلة الإلهیّة العظیمة ارضاءً لسلاطین زمانه، وأن ینبری للتصدی لأحادیث النبی صلی الله علیه و آله بهذه الصلافة؟!

۲- السؤال الآخر هو: إذا كان المراد هو تلك الأنوار المقدّسة الخمسة، فما هی منزلة سائر ائمة أهل البیت علیهم السلام؟

والجواب هو: أنّ الذین كانوا یعاصرون ذلك الوقت هم أولئك الخمسة، والآخرون جاءوا فیما بعد، وورثوا تلك الصفات عن النبی

صلى الله عليه و آله وآبائهم عليهم السلام.

۳- كما تمّ التلميح آنفاً إلى أنّ المراد من الإرادة فى «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ»، الإرادة التكوينية، لا التشريعية، وبتعبير آخر ليس المراد هو أنّ اللَّه أمركم بالابتعاد عن المعصية، لأنّ هذا الأمر الإلهى يعمّ المسلمين جميعاً ولا يخصُ أصحاب الكساء فقط.

يتضح ممّا تقدم أنّ الإرادة التكوينية والمشيئة الإلهيّة قضت بتطهيرهم، والمحافظة عليهم من كل ذنب، وصيانتهم من شر الشيطان والأهواء النفسية، ونحن نعلم أنّ مشيئة اللَّه غير قابلة للتخلُّف، وما تفوَّه به البعض من أنّ إرادة اللَّه قابلة للتخلف يمثل غاية الجهل والغباء، فمن الذى يستطيع الحيلولة دون مشيئة اللَّه، إلّاأن تكون مشيئة اللَّه متعلقة بشرط

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۰۹

ولم يحصل ذلك الشرط؟ ونحن نعلم أنّ الإرادة فى الآية أعلاه مطلقة، وليست مشروطة بشرط أبداً.

وما قاله البعض: إنّ هذا الكلام يستدعى أن يكون صحابة النبى صلى الله عليه و آله معصومين لاسيّما الذين شاركوا فى معركة بدر، حيث قال تعالى بحقهم:

«وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُم وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيكُم لَعَلَّكُم تَشْكُرونَ» «۱». (المائدة/ ۶)

وممّا يبعث على الأسف هو عند اضطرام نار التعصب فإنّها تلتهم كل شىء وتحوِّله إلى رماد، وبالأساس فإننا نفتقد فى القرآن الكريم مثل هذه الآية بشأن معركة بدر، وما نزل بشأن معركة بدر هو: «وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيطَانِ». (الانفال/ ۱۱)

وظاهر هذه الآية تتعلق بنزول المطر (فى معركة بدر) واستثمار المسلمين له للغسل والوضوء، ولا ترتبط ببحثنا أبداً، إلّاأنّ هذا الأخ المتعصب حذف مطلع الآية وجاء بعبارة «ليطهركم» فقط، وعدّها دليلًا على طهارة وقداسة الصحابة كافّة.

وبالطبع فإنّ عبارة: «وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُم وَلِيُتِمَّ نِعمَتَهُ عَلَيكُم لَعَلَّكم تَشكُرُونَ» لم تأتِ بشأن أصحاب بدر، بل جاءت فى ذيل آية الوضوء والغسل والتيمم، وواضح أنّها تشير إلى الطهارة التى تحصل من هذه المطهرات الثلاثة، فكيف يصادرها هذا المفسر الشهير من هناك ويذهب بها إلى ميدان بدر، ويصادر أمراً يخص الغسل والتيمم ويقحمه فى موضوع بحث العصمة؟ إنّه أمرٌ غامض.

ويثار هنا سؤال آخر وهو: إذا كانت الآية دليلًا على عصمة هؤلاء العظماء، فلماذا جاءت «يريد» بصيغة «الفعل المضارع» إذن؟

فإن كانوا معصومين فلماذا يقول: «يريد اللَّه» فهل أنّ تحصيل الحاصل ممكن؟ لماذا لم يقل «أراد اللَّه بصيغة الفعل الماضى»؟ «۲».

---

(۱) تفسير روح المعانى، ج ۲۲، ص ۱۷، (ذيل الآية ۳۳ من سورة الأحزاب).

(۲) تفسير روح المعانى، ج ۲۲، ص ۱۷.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۱۰

لو كان قائل هذا الكلام يبحث التعبير ب «يريد» فى آيات القرآن الكريم بدقة وتمعُّن لما تفوَّه بمثل هذا الكلام، لأنّ هذه الكلمة طالما استعملت فى الكثير من آيات القرآن الكريم بشأن الامور المتعلقة بالإرادة المستمرة من الماضى وحتى الآن، ومن الآن إلى المستقبل، وبتعبير آخر: إنّ هذه العبارة غالباً ماتستعمل للدلالة على استمرار وثبات المشيئة على شىء ما فى الماضى والحاضر والمستقبل، ويمكن ملاحظة صدق هذا الكلام فى الآيات التالية:

«وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلعَالَمِينَ». (آل عمران/ ۱۰۸)

«يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ اليُسرَ وَلَايُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ». (البقرة/ ۱۸۵)

«يُرِيدُ اللَّهُ انْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ». (النساء/ ۲۸)

وبديهى أنّ مفهوم هذه الآيات ليس هو أنّ اللَّه أراد ظلماً فى السابق، وكان يريد بكم العسر قبل ذلك، أو أنّه لم يُرِدْ سابقاً التخفيف

عنكم واليوم فعل هكذا، بل إنّ مفاد هذه الآيات جميعها هو أنّه أراد هكذا فى الماضى والحاضر وفى المستقبل.

وكذلك قال تعالى بشأن الشيطان: «وَيُرِيدُ الشَّيطَانُ أَنْ يُضِلَّهُم ضَلَالًا بَعِيداً». (النساء/ ۶۰)

و «انَّمَا يُرِيدُ الشَّيطَانُ انْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَداوَةَ وَالبَغضَاءَ فِى الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ». (المائدة/ ۹۱)

و «بَلْ يُرِيدُ إِلانسَانُ لِيَفْجُرَ امَامَهُ». (القيامة/ ۵)

يتضح جلياً من خلال هذه الآيات بيان الإرادة المستمرة للشيطان فى الماضى والحاضر والمستقبل لإغواء الناس، وذلك بخلق العداوة والبغضاء عن طريق الخمر والقمار، وكذا مفهوم الآية الثالثة، وهو: إنّ الإنسان الجاحد يريد أن يكون متحرراً على الدوام ويرتكب الذنب، لذا فهو ينكر القيامة.

هنالك آيات كثيرة فى القرآن تتابع هذا الموضوع، غير هذه الآيات الست أعلاه التى تبيّن أنّ استعمال كلمة «يريد» بنحو الاستمرارية يشمل الأزمنة الثلاثة.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۱۱

على هذا الأساس فمفهوم الآية الكريمة: «انَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِجْسَ»، هو تعلُّق الإرادة الإلهيّة المستمرة بطهارة وقداسة وعصمة أصحاب الكساء.

شبهات حول العصمة:

تثار عدّة أسئلة فيما يتعلق بعصمة الأنبياء والأئمّة المعصومين عليهم السلام أهمها هو: أليس العصمة صفة إجبارية؟ فاذا كانت العصمة موهبة إلهيّة تمنح فقط إلى هؤلاء، وليس بمقدور الأنبياء والأئمّة المعصومين عليهم السلام ارتكاب الذنب، أو أنّ اللَّه يحول دون عوامل الذنب بشكل حازم، فما الفضيلة والفخر فى ذلك؟

لقد تمّ تقديم الاجابة عن هذا السؤال بشكل مفصّل فى الجزء السابع من نفحات القرآن فى بحث عصمة الأنبياء وهو باختصار:

إنّ إثارة هذه الشبهة سببه عدم التمعُّن باصول عصمة المعصومين عليهم السلام، فهم لم يلتفتوا إلى أنّ هذه «التقوى الراسخة» تنبع من «إيمانهم القوى وعلمهم ومعرفتهم الخارقة» التى يكون جانب منها اكتسابياً والآخر هبة، فمثلًا: إنّ الإنسان الذى يبلغ درجة عالية فى الطب، محال أن يشرب ماءً ملوثاً بالجراثيم، بينما ربّما يفعل الإنسان الامى هذا الأمر، إنّ امتناع الطبيب عن شرب الماء الملوث كان باختياره، فهو يستطيع شرب ذلك الماء، إلّاأنّ إيمانه ومعرفته بعواقب الأمر تحول دون ذلك، فهو شبيه المعصوم فى حرية إرادته ازاء القيام بهذا العمل «۱».

السؤال الآخر هو: إنّ الأئمّة اعترفوا بالخطأ والذنب من خلال كلماتهم، فكيف يمكن اعتبارهم معصومين؟ ففى أدعيتهم يسألون اللَّه أن يغفر لهم ذنوبهم، وهذا بحد ذاته دليل على عدم عصمتهم.

---

(۱) للمزيد من الايضاح راجعوا ج ۷، ص ۱۵۵- ۱۶۰ من هذا التفسير.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۱۲

يقول أمير المؤمنين الإمام على بن أبى طالب عليه السلام فى الخطبة ۲۱۶ من نهج البلاغة: «إنّى لستُ فى نفسى بفوق أن اخطىء ولا آمن ذلك من فعلى إلّاأن يكفى اللَّه من نفسى ما هو أملك بى منّى» «۱».

ويثار نظير هذا الاعتراض بشأن الكثير من الآيات المتعلقة بقصص الأنبياء فى القرآن الكريم أيضاً، حيث ذكرناها جميعا فى نفس الجزء السابع تحت عنوان «تنزيه الأنبياء»، وأعطينا الجواب عنها، وتعقَّبنا هذه القضايا من خلال الإشارة إلى جزئيات تاريخ الأنبياء وما يمكن أن يتعرض إلى هذه الشبهات.

ولابدّ من الإشارة إلى بعض النقاط بشكل مختصر:

۱- فى الكثير من الحالات كان الأئمّة عليهم السلام يتحدثون لتعليم الناس باعتبارهم الاسوة، وأنّ أقوالهم كانت تحمل طابعاً تعليمياً، واللطيف أنّ تفسير روح المعانى وبعد إثارة هذا الاعتراض بشأن على عليه السلام يأتى بهذا الجواب، ثم يقول: وقصد الكلام كما فى بعض الأدعية النبوية بعيد «۲» فلماذا لا يكون مستبعداً فى كلام النبى صلى الله عليه و آله بينما يستبعد فى كلام على عليه السلام. إنّ هذا لا يدل إلّاعلى تعصب هذا المفسر المعروف.

۲- كان الغرض فى بعض الحالات هو أنّهم عليهم السلام يريدون أن يقولوا: إنّنا لا نملك شيئاً بدون الاعتماد على اللطف الإلهى، وهذه هى عطاياه ومواهبه وفيوضاته التى تجعلنا معصومين، وبتعبير آخر: إنّ ما نقل عن على عليه السلام فى العبارة يعاكس ما يقوله المشككون تماماً فهو يدل على عصمته بالاعتماد على الألطاف الإلهيّة، فالإمام يقول: لست معصوماً عن الخطأ «بدون اللطف الإلهى»، وهذه الموهبة ليست سوى لطف إلهى، أو وفقاً للتعبير الذى ورد فى سورة يوسف ليس إلّا.

۳- فى الكثير من الامور التى وردت فى الآيات أو الأدعية باعتبارها ذنباً، فهى ليست سوى ترك الأولى ومصداق للقول المعروف: «حسنات الأبرار سيئات المقربين».

---

(۱) يصرُ الآلوسى فى تفسيره، ذيل آية التطهير اصراراً عجيباً فى انكار أنّ مفهوم الآية يتعلق بعصمة أهل البيت عليهم السلام ويثير هذه الشُبهة (تفسير روح المعانى، ج ۲۲، ص ۱۷).

(۲) تفسير روح المعانى، ج ۲۲، ص ۱۸.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۱۳

وهذه النكتة جديرة بالذكر أيضاً وهى أنّ المراد من ترك الأولى ليس ترك عمل واجب، أو ارتكاب محرم أو مكروه، بل أراد الفعل المباح أو المستحب فى قبال عمل أكثر استحباباً منه، وواضح أنّ ترك المستحب الأولى والإتيان بمستحب آخر ليس فى فعله خلاف، إلّاأنّه ترك للأولى لكن ليس هذا الفعل بالنسبة للآخرين لا يعتبر خلافاً فحسب، بل إنّ أداء المستحب بحد ذاته يعدُّ فضيلة، وربّما يؤدّى إلى اللوم بالنسبة إلى المقربين لدى اللَّه تعالى

فالصلاة المقبولة من شخص عادى، تعد تركاً للأولى بالنسبة للعالم الكبير، وصلاة ذلك العالم لا تليق بالمعصوم، للمزيد من التوضيح راجعوا الجزء السابع من نفحات القرآن.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۱۵

خصائص الأئمّة عليهم السلام

اشارة

كما تكررت الإشارة فإنّ رسالة الأئمّة المعصومين عليهم السلام تشبه وتنسجم مع رسالة الأنبياء فى الكثير من الحالات، سوى أنّ الوحى لاينزل عليهم، ولم يضعوا الحجر الأساس للدين، بل واصلوا خط الأنبياء، من هنا فإنّ أكثر الصفات اللازمة فيهم تطابق صفات الأنبياء، ونظراً إلى أنّنا قد جئنا بهذه الصفات بشكل مفصّل، مستندين إلى آيات القرآن الكريم فى بحث الصفات العامة للأنبياء فى الجزء السابع، فلا نرى ضرورة لشرحها بشكل موسع هنا، ولكن من أجل التذكير لابدّ لنا من المرور عليها ثانية (التفتوا إلى أنّ هذه الصفات جميعها طرحت فى القرآن بشأن الأنبياء)، ولابدّ للقادة الالهيين والأئمّة المعصومين عليهم السلام بالاضافة إلى تمتعهم ب «العلم» و «العصمة» أن يتمتعوا بالصفات التالية:

۱- الصدق: فلو لم تتوفر لديهم هذه الصفة لم يحصل الاطمئنان والثقة اللازم توفرها من أجل اقامة العلاقات المعنوية بين الأتباع والقادة.

۲- الالتزام بالعهود والمواثيق: لأنّ جانباً عظيماً من دعوتهم يقوم على أساس الوعود التى يمنحونها للناس، فإن لم يكونوا «صادقى الوعد» تنهار ركائز ثقة العامة بهم.

۳- الأمانة فى المحافظة على الودائع والأحكام الإلهيّة وابلاغها: حيث إنّها تمثل إحدى دعائم الثقة والإعتماد.

۴- المحبة والحرص الفائق تجاه الناس: فلو لم تتوفر هذه الميزة من المستحيل أن يبدى الناس تحملًا للعناء والمشقات فى قيادة المجتمع- لاسيما الجهلة والمعاندون-.

۵- الاخلاص والتجرد التام وقطع الأمل بكل أجر مادى وإلّا ستفقد الدعوة والقيادة جاذبيتها.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۱۶

۶- الاحسان والتفضل بحق الأصدقاء بل وحتى الأعداء: وهى من مظاهر رحمانية اللَّه ورحيميته وسبب فى إقامة الارتباط المعنوى بين القيادة والقاعدة.

۷- الشجاعة الفائقة وعدم الخشية إلّامن اللَّه تعالى التى تعد ميزة أساسية للذين «يبلغون رسالات اللَّه» فى القرآن الكريم، لأنّها السر الحقيقى وراء النجاح، وبدونها لا يتقدم العمل فى مجال القيادة.

۸- التوكّل المطلق على اللَّه: فغالباً ما يبقى القائد الربانى وحيداً فريداً ويعزله عن الآخرين الفساد الذى يسود البيئة، فلو لم يكن متوكّلًا على اللَّه فمن المتعذر عليه مواصلة طريقه.

۹- الرفق وحسن الخلق: الميزة الاخرى التى وردت فى القرآن الكريم بشأن النبى صلى الله عليه و آله، وفى الحقيقة لابدّ لكل قائد إلهى (سواء كان نبياً أو إماماً) أن يتمتع بها، وإلّا فإنّ الخشونة والغلظة والاتصاف ب «فظ غليظ القلب» يؤدّى إلى تفرق الناس وعقم أهداف القائد الإلهى.

۱۰- النجاح فى الامتحانات القاسية: حيث يعتبر القرآن الكريم إعطاء منصب الإمامة لإبراهيم عليه السلام بسبب نجاحه فى اجتياز الامتحان والإبتلاء وتحمله المشاق.

وفى واقع الأمر يجب على المعصومين أن يخرجوا من الامتحانات القاسية ظافرين، ليكونوا مؤهلين لقيادة المؤمنين جسماً وروحاً وظاهراً وباطناً.

لقد وردت هذه المواضيع بشكل مفصّل ومستند إلى آيات القرآن الكريم فى بحث الصفات العامة للأنبياء فى الجزء السابع من نفحات القرآن.

اللَّه فقط الذى يُعيِّن الإمام:

يستنتج من مجموع الأبحاث التى جرت بشأن صفات الإمام وتشبيهه بالأنبياء فى الكثير من الحالات أنّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام (أوصياء الأنبياء) يجب أن يكون تعيينهم من قبل اللَّه تعالى.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۱۷

وبتعبير آخر: ليس ل «انتخاب الامّة» دور فى هذا المجال ولا- «إجماع الامّة» أو «التنصيب» من قبل أشخاص عاديين، لأنّ الصفات اللازمة فى الإمام لا- يعلمها إلّااللَّه تعالى، وأهمها «العصمة»، و «العلم الخاص»، حيث يتعذر على الإمام التحليق فى سماء الإمامة والزعامة بدون هذين الجناحين!

فمن الذى يعلم أنّ فلاناً معصوم عن الذنب والخطأ، وأنّ هيمنة علمه على جميع مسائل التشريع وحياة البشر مسُلَّمة وثابتة؟

إنّ تشخيص سائر الصفات الخاصة بالإمام التى ذكرت آنفاً، متعذر على أغلب الناس، وربّما جميعهم.

من هنا يستفاد جيداً أنّ لا سبيل لتعيين الإمام سوى عن طريق التنصيب الإلهى، وهذا «التنصيب» يثبت من خلال ثلاثة طرق:

الأول: عن طريق النبى صلى الله عليه و آله أو الإمام المعصوم السابق الذى يعين خليفته بأمر اللَّه تعالى ويعرِّفه لجميع الناس، وفى الحقيقة أنّه فى هذه القضية يمثل الواسطة فى نقل الأمر الإلهى إلى الناس.

الثانى: عن طريق مشاهدة «المعجزات» كما مر ذكره فى بحث النبوة، أى خرق العادة، وهو خارج عن طاقة البشر، وهو مترافق مع التحدى ودعوة الآخرين بالإتيان بمثلها إن لم يذعنوا.

غاية الأمر أنّ التحدى فى قضية «النبوة» يأتى فى مجالها وفى قضية «الإمامة» فى مجال الإمامة، أو بتعبير أكثر بساطة: إنّ الذى يدّعى الإمامة يقوم بخرق العادة الخارج عن طاقة أى إنسان تأكيداً على ادّعائه الإمامة.

ومن المسلَّم به أنّ خرقاً للعادة كهذا يعطى له من قبل اللَّه تعالى ومن المحال أن يمنح اللَّه الحكيم والعالم بالسرائر هذه الوسيلة للذى يدّعى الإمامة زوراً وبهتاناً.

الثالث: الطريق الثالث هنا هو كالذى مرّ فى بحث النبوة، وهو جمع القرائن، أى مجموعة الصفات والأفعال والخصائص المتوفرة لدى شخصٍ ما بحيث يتيقن الإنسان من

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۱۸

خلال مشاهدتها أنّه إمام معصوم وقائد إلهى، فيتظافر علمه ومعرفته مع المزايا الأخلاقية والصفات الإنسانية والأفعال والأقوال والسلوكيات لتثبت بكل يقين أنّه إمام معصوم وخليفة للنبى صلى الله عليه و آله.

راجعوا تفصيل هذه المسألة فى الجزء السابع من نفحات القرآن فى بحوث «النبوة والقرآن».

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۱۹

الولاية التكوينية للأنبياء والأئمّة عليهم السلام

اشارة

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۲۱

الولاية التكوينية للأنبياء والأئمّة عليهم السلام

تمهيد:

نحن نعلم أنّ الولاية على نحوين:

۱- الولاية التشريعية.

۲- الولاية التكوينية.

المراد من الولاية التشريعية هو الحكم والاشراف القانونى والإلهى الذى يكون تارة بشكل محدود كولاية الأب والجد على الصغير، وتارة بشكل واسع وشامل كولاية الحاكم الإسلامى على كافة القضايا المتعلقة ب «الحكومة» و «إدارة شؤون الامّة الإسلامية»، حيث سيأتى بحث ذلك بشكل مفصل فى «الجزء العاشر من نفحات القرآن» إن شاء اللَّه تعالى

أمّا المراد من الولاية التكوينية، فهى: قدرة الإنسان على التصرف فى عالم الخلق والتكوين بأمر اللَّه وإذنه، والإتيان بأفعال خارقة للعادة والنواميس الطبيعية لعالم الأسباب، فمثلًا يبرىء المريض الذى لا علاج له بإذن اللَّه، وذلك من خلال الهيمنة والنفوذ الذى وهبه اللَّه

تعالى له، أو يحيى الموتى وأعمال اخرى من هذا القبيل، وكل أشكال التصرف المعنوى غير الاعتيادى فى أرواح وأجسام البشر، وهذا النوع يشمل الطبيعة أيضاً.

وربّما تكون ل «الولاية التكوينية» أربع حالات بعضها «مقبولة» وبعضها «غير مقبولة».

١- «الولاية فى أمر الخلقة وخلق العالم»: بمعنى أنّ اللَّه تبارك وتعالى يمنح عبداً من عباده أو ملكاً من ملائكته قدرة خلق العوالم أو محوها من الوجود، ومن المسلَّم به أنّ هذا الأمر ليس مستحيلًا، لأنّ اللَّه على كل شىء قدير وقادرٌ على منح أى نحو من القدرة لأى إنسان، بَيدَ أنّ آيات القرآن تؤكّد فى كل المواضع على أنّ خلق عالم الوجود والسموات

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۲۲

والأرضين والجن والانس والملائكة والنباتات والحيوانات والجبال والبحار قد حصل بقدرة اللَّه جلّ وعلا لا عن طريق عباده الخاصين أو ملائكته، لذا فقد نسب الخلق إليه فى جميع الأحوال، ولم ينسب هذا الأمر إلى غيره «بنحو واسع» فى أى موضع أبداً، وعليه فإنّ خالق السموات والأرضين والنبات والحيوان والإنسان هو اللَّه وحده.

٢- «الولاية التكوينية فى ايصال الفيض»: بمعنى أنّ كل إمداد ورحمة وبركة وقدرة من قبل اللَّه تعالى تصل إلى عباده أو سائر الكائنات فى عالم الوجود بواسطة أولياء اللَّه وخاصة عباده، كمياه الشرب بالنسبة للبيوت فى مدينة ما التى تمر من خلال الانبوب الرئيس وهذا الانبوب الكبير يستلم المياه من مصدرها ويوصلها إلى جميع النقاط، ويعبر عنه ب «الواسطة فى الفيض».

وهذا المعنى ليس محالًا أيضاً من الناحية العقلية، ويشاهد نموذجه فى العالم الصغير، وبناء الإنسان، وتوزيع المواد الغذائية على الخلايا كافّة عن طريق شريان القلب، فما المانع من ذلك فى العالم الكبير أيضاً؟

ولكن ممّا لا شك فيه أنّ إثباته بحاجة إلى دليل مقنع، وإذا ما ثبت فهو بإذن اللَّه تعالى

٣- «ولاية تكوينية فى حدود معينة»: كإحياء الموتى وشفاء المرضى الذين يستحيل علاجهم ونحو ذلك.

وقد وردت نماذج من هذا النوع من الولاية بشأن بعض الأنبياء فى القرآن الكريم بصراحة حيث سيشار إليها لاحقاً، والروايات الإسلامية شاهد على ذلك أيضاً، من هنا فإنّ هذا الفرع من الولاية التكوينية ليس ممكناً من ناحية العقل فحسب، بل هنالك أدلة نقلية عليه أيضاً.

۴- «الولاية التى تعنى الدعاء من أجل تحقيق المطالب»: ويأتى ذلك بقدرة اللَّه تعالى فإنّ النبى صلى الله عليه و آله أو الإمام المعصوم يدعو فيتحقق ما طلبه من اللَّه تعالى

وهذا المعنى ليس فيه أى محذور عقلى ولا نقلى، وأنّ الآيات والروايات مليئة بنماذج منه، بل ربّما لا يمكن اطلاق اسم الولاية التكوينية عليه لأنّ استجابة دعائه تأتى من قبل اللَّه تعالى.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۲۳

ويشاهد فى الكثير من الآيات إشارات إلى ال «الاسم الأعظم» الذى كان لدى الأنبياء والأئمّة عليهم السلام أو بعض أولياء اللَّه (من غير الأنبياء والأئمّة)، ومن خلاله كانوا يستطيعون التصرف بعالم التكوين.

وبغض النظر عن المراد من «الاسم الأعظم»- الذى بحثناه بشكل مفصّل فى بحث صفات اللَّه- فإنّ مثل هذه الروايات ربما تكون ناظرة إلى القسم الثالث من الولاية التكوينية وتنطبق عليه بشكل تام.

بهذه الإشارة نعود إلى بعض آيات القرآن فى هذا المجال «الولاية التكوينية»:

١- «وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَالتَّوراةَ وَالإنجِيلَ* وَرَسُولًا الَى بَنِي اسْرائِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُم انِّى اخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخُ فِيهِفَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَابرِىءُ الاكْمَهَ وَالابْرَصَ وَاحْيِ المَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَانْبئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرونَ فِى بُيُوتِكُم انَّ فِى ذَلِكَ لَايَةً لَّكُمْ انْ كُنْتُم مُّؤمِنِينَ». (آل عمران/ ۴۸- ۴۹)

۲- «فَسَخَّرنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيثُ اصَابَ». (ص/ ۳۶)

۳- «قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الكِتَابِ انَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرتَدَّ اليكَ طَرْفُكَ فَلَمّا رَآهُ مُستَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هَذا مِنْ فَضْلِ رَبّى لِيَبْلُوَنِى أَأَشْكُرُأَمْ اكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ». (النمل/ ۴۰)

فى الآية الاولى يدور الحديث أولًا عن الألطاف الإلهيّة بحق عيسى عليه السلام حيث «وَيُعَلِّمُهُ الكِتابَ وَالحِكمَةَ وَالتَّورَاةَ وَالإنجِيلَ».

ثم بعثه كرسول إلى بنى اسرائيل، «وَرَسُولًا الَى بَنى اسرائِيلَ»، ومن ثم يشرح كلام المسيح عليه السلام فى إثبات حقانيته وبيان معاجزه التى تم بيانها فى خمس مراحل:

يقول فى الاولى:: «أَنِّى قَدْ جِئتكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَبِّكُمْ أَنِّى اخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيرِ فَانْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيراً بِاذنِ اللَّهِ».

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۲۴

وفى الثانية والثالثة: «وَأُبرِىءُ الاكمَهَ وَالابرَصَ».

والرابعة: «وَأُحْيِ المَوتَى بِإذنِ اللَّهِ».

والخامسة: «وَانبّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرونَ فِى بُيُوتِكُم انَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ انْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ».

إنّ التمعُّن فى مضمون هذه الآيات والتفاوت فى التعابير المستعملة فيها، يوضح هذه المسألة وهى: أنّ المسيح عليه السلام ينسب خلق الطير من الطين إلى اللَّه تعالى، بينما فى الأقسام الثلاثة الاخرى ينسب (شفاء الأعمى والأبرص، وإحياء الموتى إلى نفسه، ولكن باذن اللَّه وأمره، وهذا هو المقصود من الولاية التكوينية، حيث إنّ اللَّه تعالى قد يمنح مثل هذه القدرة للانسان بحيث يؤثر فى عالم الخلق والطبيعة بأمره، ويخرق الأسباب الطبيعية، فيحيى‌الميت ويشفى المرضى الذين يستحيل علاجهم.

هذا النموذجٌ من الولاية التكوينية التى وهبها اللَّه تبارك وتعالى لعبده المسيح عليه السلام، ولامانع أو حائل ابداً دون اعطاء مثل ذلك لسائر الأنبياء أو الأئمّة المعصومين عليهم السلام.

وإذا قال قائلٌ: إنّ مقصود هذه الآية هو أنّ المسيح عليه السلام كان يدعو فيبرىء اللَّه المريضَ، أو يحيى الميت، فقد نطق بما يخالف ظاهر الآية، لأنّ الآية تقول بوضوح: «بِإِذنِ اللَّه» أى إننى أفعل ولكن تحقيق الفعل بإذن اللَّه، وليس هنالك من دليل لترك هذا والبحث عن معنى يخالف الظاهر.

بل ليس هنالك مانع أيضاً فى مرحلة خلق الطير من أنْ يلقى اللَّه تعالى هذا الأثر فى فم عيسى عليه السلام فيكون القيام بمثل هذا العمل بإذن اللَّه، بَيدَ أنّ بعض المفسرين لم يقتنعوا بهذا المعنى وقالوا: إنّ خلق الطير مستندٌ إلى اللَّه مباشرة، ولعلّ هذا القول يأتى لئلا يدعى الجهلاء الوهية المسيح، لأنّ أمر الخلقة متعلقٌ به وحده:

وورد شبيه هذا المعنى أيضاً فى سورة المائدة، غاية الأمر أنّ الخطاب صادر من قبل اللَّه تعالى للمسيح عليه السلام لا على لسان المسيح عليه السلام، فيقول تعالى

«وَاذْ تَخلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيراً بِاذْنى وَتُبرِىءُ الاكْمَهَ

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۲۵

وَالْأَبرَصَ بِإِذْنِى وَاذْ تُخْرِجُ المَوتَى بِإِذْنِى». (المائدة/ ۱۱۰)

والملفت للنظر هو أنّ اختلاف التعبير الذى كان فى سورة آل عمران ظاهرٌ بدقّة هنا أيضاً، أى‌لم تُنسب مسألة الخلق وخلق الطير إلى المسيح عليه السلام، ولكن نُسبَ إليه احياء الموتى وشفاء المرضى والعمى الذين يستحيل علاجهم، وإنْ جاء التعبير بإذن اللَّه فى كل ذلك.

وملخص الكلام أنّ هذه الآيات تثبت بأنَّ الولاية التكوينية لعيسى عليه السلام هى فى نطاق خاص، وليس هنالك دليلٌ على اختصاصها المطلق بالمسيح عليه السلام، ويمكن أن تصدق بحق سائر الأنبياء أو الأئمّة المعصومين عليهم السلام بمقتضى أنّ: «حكمُ

الأمثال فى ما يجوز وما لا يجوز واحدٌ».

وفى الآية الثانية يتحدث تعالى عن تسخير الرياح لسليمان عليه السلام ويقول: «فَسَخَّرنَا لَهُ الرِّيحَ تَجرِى بِأَمرِهِ رُخَاءً حَيثُ اصَابَ».

ويستفاد من هذه الآية والآيات التى تليها أنّه وكما أنّ الشياطين كانت تُنفِّذ أمر سليمان وتنجزُ له أعمالًا مهمّةً فى البر والبحر، فإنّ الريح كانت تُنفِّذ أمره أيضاً، وكانت تتحرك حيث يأمرها، وهذا الأمر ليس سوى مصداق للولاية التكوينية فى هذا الجانب من الموجودات.

وورد نظير هـذا المعنى أيضـاً فى سورة الأنبياء، والحـديث هنا عن أمر سـليمان عليه السـلام على العواصف، إذ يقول تعالى «وَلِسُلَيمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجرِى بِأَمرِهِ الَى الارضِ الَّتِى بَارَكنَا فِيهَا».

(الانبياء/ ۸۱)

وهذا الاحتمال واردٌ أيضاً فيما جاء فى قصة موسى عليه السلام فى البقرة، الآية ۶۰: (من ضرب الحجر وانبثاق عين الماء فيه بإذن اللّه)، (وكـذا ضـربُ البحر بالعصـا، حيث يقول تعـالى «فَاوْحَينَا الَى مُوسَـى انِ اضْـرِبْ بِّعَصَاكَ البَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّودِ العَظِيمِ».

(الشعراء/ ۶۳)

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۲۶

وكل ذلك كان من قبيل الولاية التكوينية أيضاً.

والخلاصـة هو أنّه فى جميع الحالاـت التى يمنـح فيها اللّه تعالى لأحـد عباده الخاصـين القـدرة والقوة للنفوذ فى عالم الخلق والطبيعـة، يحصل لذلك العبد نوعُ من الولاية التكوينية.

والحـديث فى الآية الثالثة عن التصـرف التكوينى لشـخص من المقربين لسـليمان ومن خاصـته، بَيدَ أنّ اسـمه لم يأت فى القرآن سوى بوصف (الذى عنده علمٌ من الكتاب)، فعندما خاطب سليمان عليه السلام أصحابه وخاصته: «قَالَ يَاايُّهَا المَلَأُ ايُّكُم يَأتِينِى بِعَرشِهَا قَبلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسلِمِينَ* قَالَ عِفرِيْتٌ مِّنَ الجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبلَ انْ تَقومَ مِن مَّقامِكَ»، ثم يضيف:

«قالَ الَّذِى عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الكِتَابِ انَا آتِيكَ بِهِ قَبلَ انْ يَرتَدَّ الَيكَ طَرفُكَ».

وبطبيعة الحال أنّ هذا لم يكن ادّعاءً فحسب، بل إنّه نفّذ وعده، إذ نقرأ فى سياق الآية:

«فَلَمّا رَآهُ مُستَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّى».

وهنا بحوث كثيرة:

من ذلك الذى كان عنده علمٌ من الكتاب؟ فالمعروف والمشـهور أنّه كان وزير سليمان عليه السلام، (آصف بن برخيا) الذى يقال إنّه كان ابن اخته، وطبقاً لما ورد فى الروايـة فى تفسـير العياشـى فى جواب الإمام محمد بن على الجواد عليه السـلام ليحيى بن الأكثم فإنّ «آصف» كان وصـى وخليفة سليمان عليه السلام، وكان نبيّاً، وكان سليمان عليه السلام يريد بهذا العمل تعريف العامة بمكانته ومنزلته، وإلّا فإنّه كان يمتلك القدرة على هذا العمل من باب أولى «۱».

وقد احتمل البعض أيضاً أنّ هذا الشخص كان سليمان نفسه «۲»، إلّاأنه لا ينسجم وظاهر الآية.

---

(۱) تفسير نور الثقلين، ج ۴، ص ۹۱، ح ۷۷ كما نقل هـذا المعنى بصـريح القول فى تفسـير الـدر المنثور عن ابن عباس وآخرين بأنّ القائل كان آصف بن برخيا حيث كان الاسم الآخر له «اتمليخا»، (تفسير در المنثور، ج ۵، ص ۱۰۹).

(۲) نقل هذا الاحتمال فى تفسير الميزان، ج ۱۵، ص ۳۶۳ واشكَل عليه.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۲۷

واحتمـل البعض أنّه كـان رجلًا من بنى اسـرائيل، حيث يتعـارض هـذا مع التفسـير الـذى يقول إنّه كان آصف بن برخيا، لأنّه وحسـب الظـاهر كان من بنى اسـرائيل، على أيّـة حالٍ فالـذى يحظى باهتمامنا هنا ليس شـخصاًبعينه، بل الغرض هو أنّ أحـد اولياء اللّه كانت له

القدرة فى التصرف فى عالم التكوين وعالم الأسباب من خلال امتلاكة ل «علم من الكتاب» أو معرفة الاسم الأعظم، أو أى‌شىء آخر، وأن ينقل عرش وملكة سبأ من اقصى جنوب شبه الجزيرة العربية إلى أقصى شمالها خلال طرفة عين، ولا يخفى أنّ هذا الأمر ممكنٌ لسائر أولياء اللَّه لاسيّما والأنبياء والأئمّة المعصومين عليهم السلام.

وقد ورد فى بعض الروايات عن الإمام الباقر عليه السلام:

«إنّ اسم اللَّه الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وإنّما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً وحرف واحد عند اللَّه تعالى استأثر به فى علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوة إلّاباللَّه العلى العظيم» «۱».

ونقل هذا المعنى أيضاً فى روايات اخرى عن الإمام الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام وبعض أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

ويستفاد بوضوح ممّا مرّ من الآيات أنّ الولاية التكوينية أمرٌ ممكنٌ وجدير بالقبول فى نظر القرآن الكريم.

الولاية التكوينية فى الأحاديث الإسلامية:

كثيراً ما نصادف فى الروايات الإسلامية إشارات عن المعجزات التى حصلت فى إطار الولاية التكوينية، وتوضيح ذلك أنّ المعجزات لها أقسام وأنواع فبعضها يحصل بدعاء

---

(۱) اصول الكافى، ج ۱ ص ۲۳۰ استناداً إلى نقل تفسير البرهان، ج ۳، ص ۲۰۳، ح ۱.

النبى صلى الله عليه و آله أو الإمام المعصوم فقط، وبعضٌ يحصل بطلب الناس منهم وبإذن اللَّه، وبعضها يحصل عن طريقهم وبفعلهم، أى أنّ بعض المعجزات يحصل من خلال تصرفهم ومقامهم الروحى والمعنوى وبإذن اللَّه، بحيث لا يمثل سوى الولاية التكوينية التى نتحدث عنها الآن.

وهذه الحالات كثيرةٌ للغاية، وفيما يلى نشير إلى بعض النماذج منها:

۱- ورد نموذج ظريف منها فى نهج البلاغة- الخطبة القاصعة- حيث يقولُ عليه السلام «ولقد كنتُ معه صلى الله عليه و آله كما أتاه الملأ من قريش فقالوا له: يامحمد إنّك ادّعيت عظيماً لم يدعه أباؤك ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمراً إنْ أنت أجبتنا إليه وأريتناه علمنا أنّك نبىٌ ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنّك ساحرٌ كذاب».

فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله «وما تسألون» قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك، فقال صلى الله عليه و آله: «إنّ اللَّه على كلّ شىء قدير، فإنّ فعل اللَّه لكم ذلك، أتؤمنون وتشهدون بالحقّ»؟ قالوا: نعم، قال: «فانى ساريكم ما تطلبون وإنّى لأعلم أنّكم لا تفيئون إلى خير، وإنّ فيكم من يطرحُ فى القليب ومنْ يحزّبُ الأحزاب»، ثم قال صلى الله عليه و آله: «ياأيّتها الشجرة إنْ كنت تؤمنين باللَّه واليوم الآخر، وتعلمين أنّى رسول اللَّه فانقلعى بعروقك حتى تقفى بين يدىّ بإذن اللَّه».

فوالذى بعثه بالحق (لا نقلعت) بعروقها وجاءت ولها دويٌ شديد وقصف كقصف أجنحة الطير حتى وقفت بين يدى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله مرفرفة، وألقت بعضها الأعلى على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وببعض أغصانها على منكبيه، وكنت عن يمينه صلى الله عليه و آله.

فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا- علواً واستكباراً: فَمُرها فليأتك نصفها، ويبقى نصفها، فأمرها بذلك فاقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشدّه دويّاً فكادت تلتفّ برسول اللَّه صلى الله عليه و آله!

فقالوا- كفراً وعتواً-: فمرّ هـذا النصف فليرجع إلى نصـفه كما كان، فأمره صـلى الله عليه و آله فرجعَ، فقلت أنا: «لا إله إلّااللَّه، إنّى أول مؤمن بـك يارسول اللَّه، وأول منْ أقرّ بأنّ الشـجرة فعلت ما فعلت بأمر اللَّه تعالى تصـديقاً بنبوتك وإجلالًا لكلمتك». نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۲۹

فقال القوم كلهم: بل ساحرٌ كذاب عجيب السحر، خفيفٌ فيه، وهل يصدقك فى أمرك إلّا مثل هذا «يعوننى»؟

«وإنّى لمن قوم لاـ تأخـذهم فى اللَّه لومـة لائم، سـيماهم سـيما الصـديقين، وكلامهم كلام الأبرار، عمارُ الليل ومنار النهار، متمسـكون بحبل القرآن، يحيون سنن اللَّه وسنن رسوله، لا يستكبرون ولا يعلون، ولا يغلون ولا يفسدون، قلوبهم فى الجنان وأجسادهم فى العمل» «۱».

تـأملوا تعابير هـذه الخطبـة قليلًا، فإنّها تثبت أنّ هـذا الأمر الخارق للعادة حـدث بنفوذ وتصـرف النبى صـلى الله عليه و آله فى التكوين، وعليه فما ورد فى ذيل هـذه العبارة: «إنّ الشـجرة فعلت مافعلت بأمر اللَّه تعالى ، هو أمر اللَّه وإذنه والقدرة التى قد وهبها لنبيه لمثل هذا التصرف، كما ورد التعبير ب «إذن اللَّه» فى بداية هذه الكلمة.

بناءً على ذلك، فالتعابير مثل: مُرْ ليحدث كذا أو كذا، وكلام رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله أيّتها الشـجرة افعلى كذا وكذا، كلها أدلة على ولاية النبى صلى الله عليه و آله ونفوذه التكوينى.

۲- يروى المرحوم العلّامة المجلسـى فى كتاب بحار الأنوار عن سـلمان الفارسى: لما قدم النبى صلى الله عليه و آله المدينة تعلق الناس بزمام الناقة، فقال النبى صـلى الله عليه و آله: ياقوم دعوا الناقة فهى مأمورة، فعلى باب من بركت فأنا عنده (وهذا أفضل طريق للخلاص من كل اختلاف وتفرقة).

فأطلقوا زمامهـا وهى تهف فى السير حـتى دخلت المدينـة، فـبركت على بـاب أبى أيوب الأنصـارى، ولم يكن فى المدينـة أفقر منه، فانقطعت قلوب الناس حسـرةً على مفارقة النبى صـلى الله عليه و آله، فنادى أبو أيوب: «يااماه افتحى الباب، فقد قدم سيد البشر، وأكرم ربيعة ومضر، محمد المصطفى والرسول المجتبى .

فخرجت وفتحت الباب وكانت عمياء، فقالت: «واحسرتاه ليت كانت لى عين أبصر بها

---

(۱) نهج البلاغة، الخطبة ۱۹۲ (القاصعة).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۳۰

وجه سـيدى رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله فى المدينة»، وضع صـلى الله عليه و آله كفه على وجه ام أبى أيوب فانفتحت عيناها «ربّما يراد فى وضع اليد الإشارة باليد، أو وضع اليد فوق قطعة قماش» «۱».

۳- كمـا وردت هـذه الروايـة أيضاً فى الكتب المشـهورة لـدى الشـيعة والسـنة وهى لما لم يأت النصـر على يـد بعض امراء الجيش فى معركـة خيبر، قال رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله: «سأعطى الرايـة غـداً إلى رجل يحبُّ اللَّه ورسولهُ ويحبّهُ اللَّه ورسولهُ، يفتح اللَّه على يديه، ثم ارسل على علىّ وكان أرمداً، فحضر فبصق فى عينيه فبرأتا، ثم سلَّمه الراية وفتح خيبر» «۲».

تفيد هذه الرواية المشهورة أنّ النبى صلى الله عليه و آله ابرء عينى على عليه السلام من خلال ولايته التكوينية- بإذن اللَّه-.

۴- وجاء فى تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً «مُد الفرات فى عهد على عليه السلام فأقبل إليه الناس، فقالوا: يا أمير المؤمنين نحن نخاف الغرق لأنّ فى الفرات قـد جاء من الماء مالم ير مثله وقـد امتلأت جنباه فاللَّه اللَّه، فركب أمير المؤمنين عليه السـلام والناس معه وحوله يميناً وشـمالًا ۰۰۰۰ حـتى انتهى إلى الفرات وهـو يزخر بـأمواجه، فوقف والنـاس ينظرون فتكلّم بالعبرانيـة كلامـاً فنقص الفرات ذراعاً، فقال: حسبكم؟ قالوا: زدنا» «۳».

فهل هذا الفعل سوى تصرفٌ تكوينى بإذن اللَّه؟

(۱) بحار الأنوار، ج ۱۹، ص ۱۲۱.

(۲) لقد أورد ابن الأثير هذه الرواية فى الكامل بالتفصيل (ج ۲، ص ۲۱۹)؛ وكذا ابن هشام فى السيرة النبوية ج ۳، ص ۳۴۹؛ والعلّامة المجلسى فى بحار الأنوار ج ۲۱، ص ۲۹۸، ح ۳۰.

(۳) بحار الأنوار، ج ۴۱، ص ۲۳۷ (مع الاختصار).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۳۱

۵- ونقرأ فى تاريخه عليه السلام أيضاً أنّه وأثناء مروره قرب الكوفه جاءه قوم من اليهود، وقالوا: «أنت على بن أبى طالب الإمام؟ فقال: أناذا، قالوا: لنا صخرة مذكورة فى كتبنا عليها اسم ستة من الأنبياء، وهو ذا نطلب الصخرة فلا نجدها فإنّ كنت إماماً أوجدنا الصخرة .... فسار القوم خلف أمير المؤمنين عليه السلام إلى أنّ استبطن فيهم البر فاذا بجبل من رمل عظيم فقال عليه السلام: أيّتها الريح انسفى الرمل عن الصخرة بحق اسم اللَّه الأعظم فما كان إلّاساعة حتى نسفت الرمل وظهرت الصخرة» «۱»

وهذا نموذج آخر من النفوذ والتأثير على عالم التكوين.

وقد وردت نماذج اخرى فى الكثير من كتب التاريخ والتفسير، والحديث، ومختلف المصادر الإسلامية للشيعة والسنّة، حيث يحتاج ذكرها كلها إلى تدوين كتاب مستقل.

إنّ هذه الآيات والروايات تؤكّد أنّ أولياء اللَّه سواء من الأنبياء أو الأئمّة المعصومين عليهم السلام كانوا يتمتعون بقدرة بأمر اللَّه وإذنه، بحيث كانوا يستطيعون التصرف فى عالم التكوين من خلال ما وهبهم اللَّه تعالى من إذن فى حالاتٍ معينةٍ، وهذا ما نُعبر عنه بالولاية التكوينية.

وبطبيعة الحال، فإنَّ الولاية التكوينية لها تفرعات اخرى أيضاً، منها التأثير فى القلوب المستعدة لقبول الحق عن طريق الألطاف المعنوية والروحية، وتربية وهداية النفوس المؤهلة من خلال التأثير الروحى فيها، حيث تتوفر أمثلة كثيرة لذلك فى التاريخ الإسلامى.

وغالباً ماكان يحصل لكثير من الأشخاص تحولٌ وتغيرٌ مفاجئٌ، بنحوٍ لا ينسجم مع الموازين والمعايير الطبيعية، وذلك بمجرّد وجودهم فى محضر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أو الإمام المعصوم عليه السلام، وبالتالى يستقيم سلوكهم فى الحياة على أثره.

إنّ هذا التحول والتغير المفاجىء والخارق للعادة يحصل أيضاً نتيجة ل «الولاية التكوينية» والتاثير فى النفوس المؤهلة.

(۱) بحار الأنوار، ج ۴۱ ص ۲۳۷ (مع الاختصار).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۳۳

الولاية والإمامة الخاصة

اشارة

۱- الآيات التى تهتم بمسألة الإمامة بشكل مباشر

۲- آيات الفضائل

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۳۵

الولاية والإمامة الخاصة

تمهيد:

بعد الفراغ من البحوث العامة فی «الإمامة العامة» جاء دور الكلام فی بحث الإمامة الخاصة، حيث سيكون البحث فی معرفة الإمام المعصوم والوصی بعد النبی صلی الله عليه و آله، مُستعينين بمختلف المصادر الإسلامية، والنصوص الواردة فی القرآن، والروايات الموثوقة فی هذا البحث.

كما نستعين بأسلوب جمع القرائن الذی هو أحد أهم الأساليب لمعرفة الأنبياء والأئمّة المعصومين عليهم السلام، ونسأل اللَّه تعالى أن يأخذ بأيدينا وقلمنا وبياننا إلى ما هو حقٌ، ويبعدنا عن كلّ خلاف وانحراف.

فی البداية نيمّم وجوهنا صوب آيات القرآن الكريم لنرى ما ورد من آيات بصدد الإمامة الخاصة.

حيث يمكن تقسيم هذه الآيات إلى قسمين:

۱- الآيات التی تهتم بمسألة الإمامة بشكل مباشر وتبحث فيها بجلاء.

۲- الآيات التی تبحث هذه المسألة بشكل غير مباشر.

وبالرغم من كثرة الآيات فی كلا القسمين، فإنّنا سننتخب مجموعة من الآيات وذلك لمزيد من التوضيح، ومن ثم نشرع بالبحث.

ففی القسم الأول نناقش الآيات التالية:

۱- آية التبليغ وواقعة الغدير.

۲- آية الولاية.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۳۶

۳- آية اولی الأمر.

۴- آية الصادقين.

۵- آية القربى

وفی القسم الثانی نتجه نحو آيات الفضائل، وهذه الآيات لا تطرح مسألة الخلافة والولاية بشكل مباشر، إلّاأنّها تثبت الفضائل بحق أمير المؤمنين عليه السلام، حيث تصفه بأنّه أفضل امّة محمد صلی الله عليه و آله، وأسمی شخصية بعد النبی صلی الله عليه و آله، مع إلحاق مقدمة عقلية واضحة (ترجيح المرجوح علی الراجح قبيح) حيث نستنتج عدم وجود شخص أليق وأجدر منه لقيادة الأمة بعد النبی صلی الله عليه و آله.

وهذه الآيات كثيرة للغاية حيث تجری الإشارة إلى ۳۲ آية، من بينها:

۱- آية المباهلة. ۲- آية خير البرية. ۳- آية ليلة المبيت. ۴- آية الحكمة. ۵- آيات سورة هل اتی ۶- آيات مقدمة سورة براءة، ۷- آية سقاية الحاجّ. ۸- آية صالح المؤمنين.

۹- آية الوزارة. ۱۰ و ۱۱- آيات سورة الاحزاب. ۱۲- آية البينة والشاهد. ۱۳- آية «الصديقون»، ۱۴- آية النور. ۱۵- آية الانذار. ۱۶- آية مرج البحرين. ۱۷- آية النجوی

۱۸- آية «السابقون». ۱۹- آية أذن واعية. ۲۰- آية المحبّة. ۲۱- آية «المنافقين»، ۲۲- آية الايذاء. ۲۳- آية الانفاق. ۲۴- آية المحبّة. ۲۵- آية المسؤولين. ۲۳- آية اشقاها.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۳۷

القسم الأول: الآيات التی تهتم بمسألة الإمامة بشكل مباشر

۱- آية التبليغ

اشارة

«يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ اِلَيكَ مِن رَّبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ انَّ اللَّهَ لَايَهْدِى القَوْمَ الكَافِرِينَ». (المائدة/ ۶۷)

شأن النزول:

جاء فى الكثير من كتب علماء السنّة (وكافة كتب الشيعة المعروفة) سواءً التفسير أو الحديث أو التاريخ، أنّ الآية أعلاه نزلت بحق على عليه السلام.

وروى هذه الروايات جمعٌ كثير من الصحابة، منهم «أبو سعيد الخدرى، وزيد بن أرقم، وجابر بن عبد اللّه الأنصارى، وابن عباس، والبراء بن عازب، وحذيفة، وأبو هريرة، وابن مسعود، وعامر بن أبى ليلى ، وجاء فى رواياتهم أنّ هذه الآية نزلت بشأن على عليه السلام وواقعة يوم الغدير.

واللطيف أنّ بعض هذه الروايات نُقلت بطرق متعددة منها:

رواية أبى سعيد الخدرى عن أحد عشر طريقاً.

رواية ابن عباس عن أحد عشر طريقاً أيضاً.

ورواية البراء بن عازب نُقلت عن ثلاثة طرق.

ومن بين الذين أوردوا هذه الروايات (بشكل واسع أو بالاجمال) فى كتبهم، العلماء

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۳۸

المعروفون المدرجة أسماؤهم فيما يلى:

«أبو الحسن الواحدى النيشابورى فى أسباب النزول ص ۱۵۰.

«ابن عساكر الشافعى نقلًا عن «الدر المنثور»، ج ۲، ص ۲۹۸.

«الفخر الرازى فى التفسير الكبير ج ۳، ص ۶۳۶.

«أبو اسحاق الحموينى فى «فرائد السمطين» (مخطوط).

«ابن الصباغ المالكى فى «الفصول المهمّة» ص ۲۷.

«جلال الدين السيوطى فى «الدر المنثور» ج ۲، ص ۲۹۸.

«القاضى الشوكانى فى «فتح القدير» ج ۳، ص ۵۷.

«شهاب الدين الالوسى الشافعى فى «روح المعانى» ج ۶، ص ۱۷۲.

«الشيخ سليمان القندوزى الحنفى فى «ينابيع المودّة» ص ۱۲۰.

«بدر الدين الحنفى فى عمدة القارى فى «شرح صحيح البخارى» ج ۸، ص ۵۸۴.

«الشيخ محمد عبدة المصرى فى تفسير المنار ج ۶، ص ۴۶۳.

«الحافظ ابن مردويه (المتوفى عام ۴۱۸ ه. ق) (على ضوء نقل السيوطى فى الدر المنثور) وكثيرٌ غيرهم.

وبالطبع لاينبغى نسيان أنّ بعض هؤلاء العلماء فى الوقت الذى ينقلون به الرواية وشأن النزول فإنّهم يمرون بها مرور الكرام للأسباب التى سنشير إليها لاحقاً، أو يبادرون إلى نقدها، حيث سنتطرق إلى بحث أقوالهم بشكل دقيق فى البحوث القادمة إن شاء اللّه.

حادثة الغدير:

اتضح من البحث السابق وبشكل إجمالى أنّ هذه الآية وعلى ضوء الشواهد التى لا تحصى قد نزلت بحق على عليه السلام، وأنّ الروايات التى نقلت فى الكتب المعروفة لأهل السنّة- فضلًا عن كتب الشيعة- أكثر من أن يستطيع أحدٌ إنكارها.

وبالإضافة إلى الروايات أعلاه، فلدينا روايات اخرى تفيد بصريح القول: إنّ هذه الآية وردت أثناء واقعة الغدير وخطبة النبى صلى الله عليه و آله فى التعريف بعلى عليه السلام على أنّه الوصى والولى،

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۳۹

وعددها يربو على الروايات السابقة، حتى أنّ المحقق الكبير العلّامة «الأمينى» ينقل فى كتاب الغدير، حديث الغدير عن ۱۱۰ من صحابة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بالاسناد والوثائق الحية، وكذلك عن ۸۴ من التابعين و ۳۶۰ من مشاهير علماء المسلمين ومؤلفيهم.

إنّ كلّ من يلقى نظرةً على مجموعة هذه الأسانيد والوثائق يدرك بأنّ حديث الغدير من أكثر الروايات الإسلامية جزماً، ومصداقاً واضحاً للحديث المتواتر، ومن يشك فى تواتره، فعليه أن لا يؤمن بايّ حديث متواتر.

وحيث إنّ الولوج فى هذا البحث بنحوٍ واسعٍ يخرجنا عن اسلوب كتابة تفسير موضوعى، فنكتفى بهذا القدر بشأن اسناد الرواية وشأن نزول هذه الآية، ونتطرق إلى مضمون الرواية، ونرشد من يريد المزيد من المطالعة حول إسناد الرواية إلى الكتب التالية:

۱- كتاب الغدير، ج ۱.

۲- احقاق الحق، تأليف العلّامة الكبير القاضى «نور اللَّه التسترى» مع شرح مفصلٍ لآية اللَّه النجفى، ج ۲ و ۳ و ۱۴ ۲۰.

۳- المراجعات للمرحوم السيّد «شرف الدين العاملى».

۴- عبقات الأنوار للعالم الكبير «ميرحامد الحسينى الهندى» (من الأفضل مراجعة خلاصة العبقات، ج ۷ و ۸ و ۹).

۵- دلائل الصدق، تأليف العالم الكبير المرحوم «المظفر»، ج ۲.

مضمون روايات الغدير:

وهنا نأتى بقصة الغدير بشكل مختصر كما يستفاد من مجموع الروايات أعلاه، (وطبعاً فإنّ هذه الواقعة قد وردت فى بعض الروايات بشكل مفصّل ومطوّل، وفى بعضها بشكل مختصرٍ وقصير، وفى بعضها اشير إلى جانبٍ من هذه القصة وفى البعض إلى جانب آخر، ومنها جميعاً يستفاد ما يلى):

فى السنّة الأخيرة من حياة النبى صلى الله عليه و آله اقيمت مراسم حجة الوداع بكل جلال بمشاركة

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۴۰

النبى صلى الله عليه و آله، وكانت الأفئدة تمتلئ بالمعنويات ولم تزل اشعاعات هذه اللذة المعنوية وهذه العبادة العظيمة تنعكس فى النفوس.

وكان أصحاب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الذين كان عددهم كثيراً للغاية لا تسعهم أنفسهم نتيجة لإدراكهم هذا الفيض والسعادة العظيمة «۱».

ولم يكن أهل المدينة وحدهم الذين يرافقون رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى هذا السفر، بل كان المسلمون من مختلف بقاع الجزيرة العربية برفقته صلى الله عليه و آله لنيل هذا الفخر التاريخى العظيم.

وكانت شمس الحجاز تضفى على الجبال والأودية حرارة لا تطاق، إلّاأنّ حلاوة هذا السفر المعنوى النادر كانت تيسّر كل شىء، وقد

اقترب الظهر، وأخذت منطقة الجحفة، وصحراء «غدير خم» الجافة الرمضاء تبدو للعيان.

ومن هذا المكان الذى يتشعب إلى أربعة طرق يفرق أهل الحجاز، فطريق يتجه إلى الشمال نحو المدينة، وطريق إلى الشرق نحو العراق، وطريق إلى الغرب نحو مصر، وطريق إلى الجنوب نحو اليمن، وهنا يجب أن تُطرح آخر المستجدات فى هذا السفر، ويتفرق المسلمون بعد استلامهم لآخر حكم وهو فى واقع الأمر كان خط النهاية فى الواجبات الناجحة للنبى صلى الله عليه و آله.

كان ذلك فى يوم الخميس من السنة العاشرة للهجرة، وقد مضت عشرة أيّام على عيد الأضحى، وفجأة صدر الأمر من الرسول صلى الله عليه و آله إلى الذين معه بالتوقف، ونادىالمسلمون بأعلى أصواتهم أصحابَهم الذين تقدموا الركب بالتوقف والعودة، وامهلوا المتأخرين حتى يصلوا، وزالت الشمس وصدح صوت مؤذن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بالأذان: اللَّه أكبر، داعياً الناس إلى صلاة الظهر، وسرعان ما استعد الناس للصلاة، إلّاأنّ حرارة الجو كانت إلى الحد الذى اجبر البعض على أنّ يغطى أرجله بقسم من ازاره ويستر رأسه بالقسم الآخر، وإلّا فإنّ حصى الصحراء وأشعة الشمس ستحرق أرجلهم ورؤوسهم.

---

(۱) ذكر البعض أنّ عدد الذين كانوا مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ۹۰ ألفاً، والبعض ۱۱۲ ألفاً، وبعضٌ ۱۲۰ ألفاً، وبعضٌ ۱۲۴ ألفاً.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۴۱

فلا خيمة فى الصحراء، ولا خضرة، ولا نبات، ولا شجرة، سوى بعض الأشجار البرية الجرداء التى تقاوم حرارة الصحراء، والتى لاذ بها البعض، ووضعوا قطعة من القماش على إحداها وجعلوها ظلًا لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله، إلّاأنّ الرياح اللاهبة تهب تحتها وتلفها بحرارة الشمس المحرقة.

وانتهت صلاة الظهر، وعزم المسلمون على اللجوء إلى خيامهم الصغيرة التى كانوا يحملونها معهم، بَيدَ أنّ النبى صلى الله عليه و آله أوعز لهم بالاستعداد لسماع بلاغ إلهى جديد يُوضح ضمن خطبة مفصلة، ولم يكن بمقدور البعيدين عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله رؤية وجهه الملكوتى وسط زحام الناس، لذا فقد صنعوا له منبراً من أربعة من أحداج الإبل، فارتقاهُ النبى صلى الله عليه و آله، وفى البداية حمد اللَّه واثنى عليه واستعاذ به، ثم خاطب الناس قائلًا:

«أيّها الناس: يوشك أن أُدعى فأُجيب.

أنا مسؤول، وأنتم مسؤولون.

فكيف تشهدون بحقى؟

فصاح الناس: نشهد أنّك قد بلّغت ونصحت وجاهدت فجزاك اللَّه خيراً، ثم قال:

ألستم تشهدون أن لا إله إلّااللَّه، وأنّى رسول اللَّه إليكم، وأنّ البعث حق، وأنّ اللَّه يبعث من فى القبور؟! فقالوا: نشهد بذلك، قال: اللّهم اشهد، ثم قال:

أيّها الناس أتسمعونى؟ قالوا: نعم، ثم عمّ السكوت الصحراء فلم يسمع إلّاصوت الريح، فقال صلى الله عليه و آله: فانظروا ماذا صنعتم بالثقلين من بعدى؟

فقال رجل من بين القوم: ما هذان الثقلان يارسول اللَّه؟!

قال صلى الله عليه و آله: أمّا الثقل الأكبر فهو كتاب اللَّه حبل ممدود من اللَّه إليكم، طرفه بيد اللَّه والطرف الآخر بأيديكم، فلا تدعوه، وأمّا الثقل الأصغر فهم عترتى وقد أخبرنى اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فلا تتقدموهما فتهلكوا ولا تتأخروا عنهما فتهلكوا.

ونظر الناس إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهو يلتفت حوله، وكأنّه يبحث عن أحد، ولما وقعت

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۴۲

عيناه على على عليه السلام التفت إليه وأخذ بيده ورفعها حتى بان بياض ابطيهما، وشاهدهما جميع القوم، وعرفوا أنّه ذلك الفارس المقدام، وهنا ارتفع صوت النبى صلى الله عليه و آله، وقال: أيّها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: اللَّه ورسوله أعلم، فقال النبى صلى الله عليه و آله: اللَّه مولاى، وأنا مولى المؤمنين وأولى منهم بأنفسهم، ثم قال: فمن كنت مولاه فعلى مولاه، وكرر هذا الكلام ثلاث مرات، وكما قال أرباب الحديث: إنّه كرره أربعاً، ثم رفع رأسه نحو السماء، وقال:

اللّهم والِ من والاه وعاد من عاداه، واحب من أحبّه وابغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأَدر الحق معه حيث دار.

ثم قال صلى الله عليه و آله: إلّافليبلِّغ الشاهدُ الغائبَ».

هنا انتهت خطبة الرسول صلى الله عليه و آله وكان العرق يتصبب من النبى صلى الله عليه و آله وجميع من حضر، وما زال الناس لم يتفرقوا من ذلك المكان حتى نزل عليه الوحى وقرأ هذه الآية على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «اليومَ اكملتُ لكُم دينَكُم وَأَتْمَمْتُ عَليكم نِعمتى».

فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «اللَّه أكبر، اللَّه أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الربّ برسالتى والولاية لعلى من بعدى».

فى هذه الأثناء عمّ الناس النشاط والحركة، وأخذوا يهنئون علياً عليه السلام بهذا المقام، وكان من الذين هنّأوه، أبو بكر وعمر حيث نطقا بهذه العبارة أمام أعين الحاضرين:

«بخ، بخ لك ياابن أبى طالب أصبحت وأمسيت مولاى ومولى كل مؤمن ومؤمنة».

أثناء ذلك قال ابن عباس: «واللَّه أنّه عهد سيبقى فى أعناقهم»، واستأذن النبىّ صلى الله عليه و آله الشاعر المعروف «حسان بن ثابت» لينشد شعراً بهذه المناسبة، ثم استهل قصيدته المعروفة:

يناديهمُ يومَ الغدير نبيُّهمبُخمٍّ وأسمِعْ بالرسول مناديا

فقال فمن مولاكُمُ ونبيُّكمْ؟فقالوا ولم يُبدو هناك التعاميا

إلهكَ مولانا وأنت نبيُّناولم تلقَ منّا فى الولاية عاصيا

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۴۳ فقال له قم ياعليُّ فإننىرضيتُكَ من بعدى إماماً وهاديا

فمن كنت مولاهُ فهذا وليُّهُفكونوا له أتباعَ صِدقٍ مَواليا

هناك دعا اللّهُمَّ والِ وليَّهُوكُن للذى عادى علياً مُعاديا «۱»

دراسة وتحليل حول آية التبليغ:

لو تغاضينا عن جميع الروايات الواردة بشأن نزول الآية الآنفة الذكر، وكذا الروايات الواردة حول واقعة الغدير، وأمعنا النظر بمضمون الآية نفسها وما تلاها من الآيات، نستطيع من خلال عمق هذه الآيات اتخاذ موقف ازاء مسألة خلافة النبى صلى الله عليه و آله.

والتوضيح: إنّ الآية المذكورة باختلاف التعابير التى وردت فيها تؤكّد على أنّها ناظرة إلى قضية ذى ثلاث مزايا مهمّة:

۱- إنّها قضية تحظى بأهميّة فائقة من وجهة نظر الإسلام إلى الحد الذى يؤمر النبى صلى الله عليه و آله بإبلاغها، وإن لم يفعل فما بلّغ رسالة اللَّه! وبتعبير آخر فقد كانت أمراً مرادفاً لقضية النبوة، فإن لم يؤدّها تبقى رسالة النبى صلى الله عليه و آله ناقصة!

ومن البديهى أنّهُ ليس المراد أنّ هذا أمرٌ الهىٌّ عاد وكل أمر إلهى لا يبلغ لم تبلغ رسالة اللَّه، فهذا الكلام من قبيل توضيح الواضح وغنى عن البيان، بينما ظاهر الآية هو أنّ القضية المشار إليها تحظى باهتمام خاص من حيث إنّها خلاصة الرسالة والنبوة.

۲- إنّ هذه القضية لا تتعلق بالصلاة والصوم والحج والزكاة وما شابه ذلك من قواعد تعاليم الإسلام، لأنّها من آيات سورة المائدة، ونحن نعلم أنّ سورة المائدة هى آخر سورة نزلت على النبى صلى الله عليه و آله (أو من أواخر السور) أى فى آواخر عمر النبى صلى

الله علیه و آله المبارک حیث کان قد تم بیان کافة الأرکان المهمّة للاسلام «۲».

---

(۱) روی هذا الشعر جماعة من کبار علماء السنة منهم، الحافظ «أبو نعیم الاصفهانی»، والحافظ «أبو سعید السجستانی»، و «الخوارزمی المالکی»، والحافظ «أبو عبد اللّه المرزبانی»، و «الکنجی الشافعی»، و «جلال الدین السیوطی»، و «سبط بن الجوزی»، و «صدر الدین الحموی».

(۲) یقول الفخر الرازی فی ذیل هذه الآیة، قال أصحاب الآثار أنّه لما نزلت هذه الآیة علی النبی صلی الله علیه و آله لم یعمر بعد نزولها إلّاأحد وثمانین یوماً، أو اثنین وثمانین یوماً، التفسیر الکبیر، ج ۱۱، ص ۱۳۹؛ وجاء فی تفسیر المنار أیضاً وبعض الکتب الاخری أنّ سورة المائدة جمیعها نزلت فی حجة الوداع (تفسیر المنار، ج ۶، ص ۱۱۶) وبالطبع فقد نقل البعض بشأن عدد الأیّام أعلاه، أقل من ذلک.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۴۴

۳- إنّ عبارات الآیة تدلل علی أنّ القضیة المقصودة من الآیة کانت مسألة قد اتخذ البعض ازاءها موقفا متصلباً، ولربّما تعرضت حیاة النبی صلی الله علیه و آله إلی الخطر بسببها، من هنا أعلن الباری تعالی دعمه الخاص لنبیه فی هذا الصدد وقال:

«وَاللَّهُ یَعصِمُکَ مِنَ النَّاسِ».

ثم یؤکد تعالی فی نهایة الآیة:

«انَّ اللَّهَ لَایَهدِی القَومَ الکَافِرِینَ».

وهذه العبارة بحد ذاتها دلیل علی المواقف السلبیة لبعض المخالفین.

إنَّ مجموع هذه الامور الثلاثة التی تستنتج من الآیة تؤکد علی أنّ المراد منها لیس إلّا ابلاغ خلافة ووصایة النبی صلی الله علیه و آله.

نعم، فمثل هذا الأمر یمکن أن یحظی بالبحث والتمعن فی آواخر حیاة النبی صلی الله علیه و آله، ولیس سائر دعائم الإسلام التی کانت قد بُینت آنذاک، ومثل هذا الأمر باستطاعته أن یکون مرادفاً للنبوة ومماثلًا لها، وربّما تثار الاعتراضات نتیجة لاظهار مثل هذا الأمر قبل هذا الوقت ویکمن فیه الخوف من الخطر.

إنّ أی تفسیر آخر یعطی لهذه الآیة عدا مایتعلق بالولایة والإمامة والخلافة، لا ینسجم معها.

فلو طالعتم جمیع کلمات المفسرین الذین أرادوا صرف مضمون الآیة إلی قضایا اخری لم یستطع أی منهم أن یُشیر إلی الأمر الذی تؤکّد علیه الآیة، وهذا ما حدا بهم إلی أنّ یتوقفوا عن تفسیرها.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۴۵

توضیحات

۱- معنی الولایة والمولی فی حدیث الغدیر

لقد اطلعنا علی حدیث الغدیر المتواتر بشکل إجمالی، والعبارة المشهورة التی جاءت عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله فی جمیع الکتب وهی: «من کنتُ مولاه فعلیٌ مولاه» توضح الکثیر من الحقائق، وإن أصرّ کثیرٌ من کتاب أهل السنّة علی تفسیر کلمة «المولی بمعنی الصدیق والمحبّ والناصر، لأنّ هذا أحد المعانی المعروفة ل «المولی .

ونحن نسلّم بأنّ إحدی معانی «المولی الصدیق والمحب والناصر، إلّاأنّ ثمّة قرائن عدیدة تثبت أنّ المولی فی الحدیث أعلاه تعنی

«الولى والمشرف والقائد» وهى كما يلى بإيجاز:

۱- إنّ قضية محبّة على عليه السلام مع جميع المؤمنين لم تكن أمراً خفياً وسريا ومعقداً، بحيث يحتاج إلى هذا التأكيد والايضاح، وبحاجة إلى إيقاف ذلك الركب العظيم وسط الصحراء القاحلة الساخنة والقاء خطبة عليهم لأخذ الاقرارات من ذلك الجمع.

فالقرآن يقول بصريح القول: «انَّمَا المُؤمِنُونَ إِخوَةٌ». (الحجرات/ ۱۰)

وفى موضع آخر يقول: «وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعضُهُمْ اوْلِيَاءُ بَعْضٍ». (التوبة/ ۷۱)

والخلاصة: إنّ الاخوة الإسلامية ومودّة المسلمين مع بعضهم من أكثر المسائل الإسلامية بداهة، حيث كانت موجودة منذ انطلاقة الإسلام، وطالما أكّد عليها النبيُّ صلى الله عليه و آله مراراً بالإضافة إلى عدم كونها مسألة تحتاج إلى بيان بهذا الاسلوب الحاد فى الآية، وأن يشعر النبى صلى الله عليه و آله بالخطر من البوح بها (تأملوا جيداً).

۲- إنّ عبارة: «ألَسْت اولى بكم من انفسكم» الواردة فى الكثير من الروايات لا تتناسب أبداً مع بيان مودّة عادية، بل إنّه يريد القول إنّ تلك الأولوية والصلاحيات التى لى تجاهكم وكونى نبيّكم وإمامكم وقائدكم، فإنّ كل ذلك ثابت لعلى عليه السلام وأنّ أى تفسير لهذه العبارة غير ما قيل فهو بعيد عن الانصاف والواقعية، لاسيما مع الأخذ بنظر الاعتبار جملة «من أنفسكم» (أنا أولى بكم من أنفسكم).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۴۶

۳- التهانى التى قدمها من حضر فى هذه الواقعة التاريخية لعلى عليه السلام، لاسيما التهانى التى قدمها أبو بكر وعمر، إذ إنّها تبرهن على أنّ القضية لم تكن سوى تعيينه للخلافة التى تستحق التبريك والتهانى، فالاعلان عن المودة الثابتة لدى كل المسلمين بشكل عام لايحتاج إلى تهنئة.

جاء فى مسند الإمام أحمد أنّ عمراً، قال لعلى بعد خطبة النبى صلى الله عليه و آله: «هنيئاً لك يا ابن أبى طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة» «۱».

ونقرأُ فى العبارة التى ذكرها الفخر الرازى فى ذيل الآية: «يَا أَيُّها الرَسُولُ بلِّغْ مَا أُنزِلَ الَيكَ» إنّ عمراً قال: «هنيئاً لك أصبحت مولاى ومولى كل مؤمن ومومنة، وبهذا فإنّ عمراً يعدهُ مولاه ومولى المؤمنين جميعاً».

وفى تاريخ بغداد جاءت الرواية بهذا الشكل: «بخ بخٍ لك يا ابن أبى طالب! أصبحت مولاى ومولى كل مسلم» «۲».

وجاء فى «فيض القدير»، و «الصواعق»، أنّ أبا بكرٍ وعمراً باركا لعلى بالقول: «أمسيت يا ابن أبى طالب مولى كل مؤمن ومؤمن» «۳».

ومن نافلة القول: إنّ المودّة العادية بين المؤمنين ليست لها مثل هذه المراسيم، وهذا لا ينسجم إلّامع معنى الولاية التى يفيد الخلافة.

۴- إنّ الشعر الذى نقلناه آنفاً عن «حسان بن ثابت» بذلك المضمون والمحتوى الرفيع، وتلك العبارات الصريحة والجلية شاهد آخر على هذا الادّعاء، وتشير إلى هذه القضية بما فيه الكفاية (راجعوا تلك الأبيات مرة آخرى .

۲- آيات أُخرى فى القرآن تؤيد حديث الغدير

روى كثيرٌ من المفسرين ورواة الحديث فى ذيل الآيات الاولى من سورة المعارج:

---

(۱) مسند أحمد، ج ۴، ص ۲۸۱ (على ضوء نقل الفضائل الخمسة، ج ۱ ص ۴۳۲).

(۲) تاريخ بغداد، ج ۷، ص ۲۹۰.

(۳) فيض القدير، ج ۶، ص ۲۱۷؛ الصواعق، ص ۱۰۷.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۴۷

«سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ* لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ* مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ». (المعارج/ ۱- ۳)

سبب النزول وخلاصته:

إنّ النبى صلى الله عليه و آله عيَّن علياً خليفة يوم غديرخم وقال بحقه: «من كنت مولاه فعلى مولاه»، فمالبث أن انتشر الخبر، فجاء «النعمان بن الحارث الفهرى»- (وكان من المنافقين) «۱»- إلى النبى صلى الله عليه و آله وقال: لقد أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلّااللَّه وأنّك محمد رسول اللَّه، فشهدنا، ثم أمرتنا بالجهاد والحج والصلاة والزكاة فقبلنا، فلم ترض بكل ذلك، حتى أقمت هذا الفتى «مشيراً إلى على عليه السلام خليفة لك، وقلت: مَنْ كنتُ مولاه فعلىٌ مولاه فهل هذا منك أم من اللَّه»؟ قال النبى صلى الله عليه و آله: «واللَّه الذى لا معبود سواه إنّه من اللَّه»، فالتفت إليه «النعمان بن الحارث»، وقال: «إلهى إن كان هذا حقاً منك فانزل علينا حجارة من السماء». وفجأةً نزلت حجارة من السماء على رأسه وقتلته فنزلت آية «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ».

ما ورد أعلاه يطابق الرواية التى نقلت فى مجمع البيان عن أبى القاسم الحسكانى «۲» وقد نقل هذا المضمون الكثير من مفسرى أهل السنّة ورواة الأحاديث مع شىء من الاختلاف، مثل: القرطبى فى تفسيرهِ المعروف «۳»، والآلوسى فى تفسير روح المعانى «۴»، وأبو اسحاق الثعلبى فى تفسيره «۵».

وينقل العلّامة الأمينى هذه الرواية فى كتاب الغدير عن ثلاثين من علماء السنة (مع ذكر المصدر ونص العبارة)، منها السيرة الحلبية، «فرائد السمطين» للحموينى، و «درر السمطين» للشيخ محمد الزرندى، و «السراج المنير» لشمس الدين الشافعى، و «شرح الجامع الصغير» للسيوطى، و «تفسير غريب القرآن» للحافظ أبو عبيد الهروى، و «تفسير

---

(۱) جاء فى بعض الروايات أنّه «الحارث بن النعمان» وفى بعضها «النضر بن الحارث».

(۲) تفسير مجمع البيان، ج ۹ و ۱۰، ص ۳۵۲.

(۳) الجامع لأحكام القرآن، ج ۱۰، ص ۶۷۵۷.

(۴) تفسير روح المعانى، ج ۲۹، ص ۵۲.

(۵) وفقاً لنقل نور الابصار للشبلنجى، ص ۷۱.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۴۸

شفاء الصدور» لأبى بكر النقاش الموصلى، وكتب اخرى

وقد أورد بعض المفسرين أو المحدِّثين الذين يُقرّون بفضائل على عليه السلام على مضضٍ إشكالات مختلفة على سبب النزول هذا، أهمها الإشكالات الأربعة التالية التى أوردها صاحب تفسير المنار وآخرون بعد ذكرهم لهذه الرواية:

الإشكال الأول: إنّ سورة المعارج مكية، ولا تتناسب مع واقعة غدير خم.

والجواب: إنّ كون السورة مكية لا يعتبر دليلًا على أنّ جميع آياتها نزلت فى مكة، فلدينا العديد من سور القرآن الكريم التى تُدعى بالمكية وكتبت فى جميع المصاحف على أنّها مكية، بيد أنّ عدداً من آياتها نزلت فى المدينة، وكذا العكس، فعلى سبيل المثال أنّ سورة العنكبوت من السور المكية، والحال أنّ آياتها العشر الاولى نزلت فى المدينة، على ضوء قول الطبرى فى تفسيرهِ المعروف، والقرطبى فى تفسيره وآخرين من العلماء «۱».

أو سورة الكهف المعروفة بأنّها مكية بينما نزلت آياتها السبع الاولى فى المدينة استناداً لتفسير «القرطبى»، و «الاتقان» للسيوطى، وتفاسير عديدة «۲».

وهكذا فهنالك سورٌ عُدَّت بأنّها مدنية بينما نزلت آيات منها فى مكة، مثل سورة «المجادلة» فهى مدنية كما هو معروف، إلّاأنّ الآيات

العشر الاولى منها نزلت فى مكة، طبقاً لتصريح بعض المفسرين «۳».

وموجز الكلام أنّه توجد حالات كثيرة بأنّ تذكر سورة على أنّها مكية أو مدنية، ويكتب عليها فى التفاسير والمصاحف هذا الاسم إلّاأنّ جانباً من آياتها قد نزل فى موضع آخر.

وعليه فلا مانع أبداً من أن تكون سورة المعارج هكذا أيضاً.

الاشكال الثانى: جاء فى هذا الحديث أنّ الحارث بن النعمان جاء إلى النبى صلى الله عليه و آله فى الأبطح، ونحن نعلم أنّ الأبطح اسم لوادى مكة، ولا تتلائم مع نزول الآية بعد واقعة الغدير بين مكة والمدينة.

---

(۱) تفسير جامع البيان، ج ۲۰، ص ۸۶؛ وتفسير القرطبى ج ۱۳، ص ۳۲۳.

(۲) للمزيد من الاطلاع على الموضوع، راجعوا الغدير، ج ۱، ص ۳۵۶، و ۲۵۷.

(۳) تفسير أبى السعود الذى كتب على هامش تفسير الرازى، ج ۸ ص ۱۴۸؛ والسراج المنير، ج ۴، ص ۳۱۰.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۴۹

الجواب: أولًا: إنّ عبارة الأبطح فى بعض الروايات فقط لا فى جميعها، وثانياً: إنّ «الابطح والبطحاء» تعنى الأرض الرملية التى يجرى فيها السيل، وهنالك مناطق فى المدينة وسائر المناطق يطلق عليها اسم الأبطح أو البطحاء أيضاً، واللطيف أنّه قد اشير إليها مراراً فى الشعر العربى.

منها: الشعر المعروف الذى أنشده «شهاب الدين» المشهور ب «حيص بيص» فى رثائه لأهل البيت عليهم السلام، عن لسانهم فى مخاطبة قاتليهم:

ملكنا فكان العفو منّا سجيةفلما ملكتم سال بالدم أبطحُ

وحلّلتم قتل الاسارى وطالماغدونا عن الاسرى نعفُّ ونصفحُ

ومن الواضح أنّ مقاتل أهل البيت عليهم السلام كانت على الأغلب فى العراق وكربلاء والكوفة والمدينة، وما أُريق دمٌ فى أبطح مكة أبداً، نعم استشهد بعض أهل البيت عليهم السلام فى واقعة «الفخ» التى تبعد عن مكة ما يقرب من فرسخين، والحال أنّ الأبطح يجاور مكة «۱».

وشاعرٌ آخر يرثى الإمام الحسين عليه السلام سيد الشهداء قائلًا:

وتأنُّ نفسى للربوعِ وقد غدابيت النبىِّ مقطّع الاطنابِ

بيتٌ لآلِ المصطفى فى كربلاضربوه بين اباطحٍ وروابى

وثمّة أشعار اخرى كثيرة ورد فيها تعبير «الأبطح» أو «الأباطح» لا تعنى منطقة خاصة فى مكة.

وملخّص الكلام، صحيح أنّ أحد معانى الأبطح هو بقعة فى مكة، إلّاأنّ معنى ومفهوم ومصداق الأبطح لا ينحصر بتلك البقعة.

۳- كيفية ارتباط هذه الآية بما قبلها وبعدها

إنّ بعض المفسرين ومن أجل مجانبة الحقيقة الكامنة فى هذه الآية توسّل بمبرر آخر

---

(۱) الغدير، ج ۱، ص ۲۵۵.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۵۰

نفحات القرآن ج۹ ۱۹۹

وهو: إنّ سياق الآيات السابقة واللاحقة بشأن أهل الكتاب لا تنسجم مع قضية الولاية والخلافة والإمامة، ولا تتناسب هذه الاثنينية مع بلاغة وفصاحة القرآن «۱».

إلّا أنّ كافة المطلعين على كيفية جمع آيات القرآن يعرفون أنّ آيات القرآن نزلت تدريجياً وبمناسباتٍ مختلفة، من هنا فكثيراً ما تتحدث سورةٌ ما حول قضايا مختلفة، فجانبٌ منها يتحدث عن الغزوة الفلانية، والجانب الآخر حول الحكم والتشريع الإسلامى الفلانى، وجانبٌ يخاطب المنافقين، وآخر يخاطب المؤمنين، فمثلًا لو طالعنا سورة النور لوجدناها تحتوى على جوانب متعددة، كلٌ منها ناظرٌ إلى موضوعٍ، بدءً من التوحيد والمعاد ومروراً بتنفيذ حدّ الزنا وقصة «الافك»، والقضايا المتعلقة بالمنافقين، والحجاب، وغيرها، (وكذلك سائر السور الطوال إلى حدٍ ما) بالرغم من وجود ارتباط عام بين مجموعة اجزاء السورة.

والسر وراء هذا التنوع فى المحتوى ما قيل: إنّ القرآن نزل تدريجياً وحسب المتطلبات والضرورات وفى مختلف الأحداث، وليس على هيئة كتاب كلاسيكى أبداً بحيث يتابع موضوعاً معداً سلفاً، على هذا الأساس لا مانع على الاطلاق من أن تنزل مقاطع من سورة المائدة بشأن أهل الكتاب، ومقاطع منها فى واقعة الغدير، بالطبع فمن وجهة النظر العامة أنّهما يرتبطان معاً إذ إنّ تعيين خليفة لرسول اللّه صلى الله عليه و آله يترك أثره على قضايا أهل الكتاب أيضاً، لأنّه سيؤدّى إلى يأسهم من انهيار الإسلام برحيل النبى صلى الله عليه و آله.

۴- لماذا لم يحتج الإمام على عليه السلام بحديث الغدير؟

إنَّ البعض الآخر من اللاهثين وراء التبريرات يقول: إذا كان حديث الغدير يتمتع بهذه العظمة والواقعية فلماذا لم يحتج به على عليه السلام وأهل بيته وأصحابهُ ومحبوه عند الحاجة؟ ألم يكن من الأفضل أن يستندوا إلى مثل هذه الوثيقة المهمّة من أجل إثبات خلافة على عليه السلام؟!

---

(۱) تفسير المنار، ج ۶، ص ۴۶۶.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۵۱

إنّ هذا الإشكال شأنه شأن سائر الإشكالات فهو ناتج عن عدم الاطلاع الكافى على كتب الحديث والتاريخ والتفسير، فلقد رويت أحاديث عديدة فى كتب علماء السنّة أنّ علياً عليه السلام أو الأئمّة أو أنصارهم قد احتجوا بحديث الغدير، والمدهش هو: كيف غابت عن أنظار المشككين؟.

منها ما ينقله «الخطيب الخوارزمى الحنفى» فى كتابه «المناقب» عن «عامر بن وائلة» قال: كنت مع على عليه السلام يوم الشورى وسمعته يقول لهم: «لاحتجن عليكم بما لايستطيع عربيكم ولا عجميكم تغيير ذلك، ثم قال: أنشدكم اللّه أيّها النفر جميعاً أفيكم أحد وحّد اللّه قبلى؟ .... فانشدكم باللّه هل فيكم أحدٌ قال له رسول اللّه صلى الله عليه و آله: مَن كنتُ مولاه فعليٌ مولاه اللهمَّ والِ مَن والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره ليبلغ الشاهد الغايب، غيرى» «۱».

ونقل هذه الرواية الحموينى فى فرائد السمطين فى الباب ۵۸، وابن حاتم فى درر النظم، وابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة.

كما روى ابن حجر فى الصواعق هذا المضمون عن الدار قطنى «۲».

وفى كتاب الغدير ذكر بحث شامل وبمصادر واسعة حول «مناشدة» أمير المؤمنين عليه السلام فى مواطن عديدة، منها أيّام عثمان، وأبان خلافته، يوم الجمل، ومرّة اخرى فى الكوفة يوم صفين، بالإضافة إلى المواضع الستة عشر الاخرى المنقولة من احتجاجات فاطمة عليها السلام، والإمام الحسن عليه السلام، والإمام الحسين عليه السلام، وجماعة من الصحابة وغيرهم، التى تحكى عن المعلومات

الواسعة لهذا الكاتب الكبير من ناحية، ومن ناحية آخرى تبرهن على أنّ الاحتجاج بهذا الحديث كان موضع اهتمام على مدى القرون المختلفة، بالرغم من سعى السياسات الخاصة التى كانت مهيمنة على هذه القضية فى التقليل من أهميّتها قدر الإمكان.

ونظراً إلى أنّ الغور فى هذه البحوث الواسعة يخرجنا عن الهدف الذى نبتغيه، فإنّنا نكتفى بهذا المقدار ونحيل الراغبين إلى هذا المصدر «۳» وسائر المراجع.

---

(۱) المناقب، ص ۲۱۷.

(۲) الغدير، ص ۱۶۱.

(۳) المصدر السابق، ص ۱۵۹- ۲۱۳.

۲- آية الولاية

اشارة

الآية الاخرى التى تعقب قضية الإمامة الخاصة، تقول:

«إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ». (المائدة/ ۵۵)

سبب النزول:

اشارة

روى الكثير من المفسرين والمحدثين فى سبب نزول هذه الأية أنّها نزلت بحق علىّ عليه السلام.

فقد نقل السيوطى فى «الدر المنثور» عن ابن عباس: إنّ علياً كان راكعاً وإذا سائل فأعطاه خاتمه، فسأله النبى صلى الله عليه و آله من الذى أَعطاك هذا الخاتم؟ فأَومأَ إلى على عليه السلام وقال:

ذلك الراكع، فنزلت آية: «إنّما وليكم اللّه ...» «۱».

وفى الكتاب نفسه رويت روايات عديدة بنفس المضمون عن «ابن عباس»، و «سلمة بن كهيل» وعن على عليه السلام نفسه «۲».

وروى المعنى نفسه فى كتاب «أسباب النزول» للواحدى عن «جابر بن عبد اللّه»، وكذا عن «ابن عباس» «۳».

يقول المفسر الشهير «جاراللّه الزمخشرى» فى كتاب «الكشاف»: «إنّها نزلت فى

---

(۱) تفسير در المنثور، ج ۲، ص ۲۹۳.

(۲) المصدر السابق.

(۳) أسباب النزول، ص ۱۴۸.

على عليه السلام حين سأله سائل وهو راكع فى صلاته فطرح له خاتمه» «۱»، وينقل الفخر الرازى فى تفسيره عن «عبد اللّه بن سلام»: لما نزلت هذه الآية، قلت: يارسول اللّه أنا رأيت علياً تصدق بخاتمه على محتاج وهو راكع فنحن نتولاه

كما ويروى عن أبى ذر قوله: صليت مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله يوماً صلاة الظهر فسأل سائل فى المسجد فلم يعطه أحد فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللّهم اشهد أنى سألت فى مسجد رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله فما أعطانى أحد شيئاً، وعلى عليه السلام كان راكعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم بمرأى النبى صلى الله عليه و آله فقال: «اللّهم إنّ أخى موسى سألك فقال: رب اشرح لى صدرى- وأشركه فى أمرى فأنزلت قرآنا ناطقاً «سنشدُّ عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً» فنزلت الآية «۲».

وبطبيعة الحال فإنّ للفخر الرازى- وكالعادة- شبهات على كيفية دلالة هذه الآية على الإمامة حيث سنشير إليها لاحقاً.

ويروى الطبرى أيضاً فى تفسيره روايات عديدة فى ذيل هذه الآية وسبب نزولها، إذ تفيد أكثرها أنّ هذه الآية نزلت بحق على عليه السلام «۳».

وأوردت طائفة اخرى هذه الرواية بعبارات مختلفة فى حق على عليه السلام، منها فى كنز العمال ج ۶، ص ۳۱۹ حيث ينقل هذه الرواية عن ابن عباس.

كما ينقل «الحاكم الحسكانى» الحنفى النيشابورى من علماء القرن الخامس المعروفين فى «شواهد التنزيل» بخمسة طرق عن «ابن عباس»، واثنين عن «انس بن مالك»، ومثلهما عن «محمد بن الحنفية»، وواحد عن «عطاء بن السائب»، ومثله عن «عبد الملك بن جريح المكى» عن النبى صلى الله عليه و آله آية «إنّما وليكم اللّه» نزلت بحق على عليه السلام عندما تصدق بخاتمه وهو راكع «۴».

---

(۱) تفسير الكشاف، ج ۱، ص ۶۴۹.

(۲) تفسير الكبير، ج ۱۲، ص ۲۶.

(۳) تفسير جامع البيان، ج ۶، ص ۱۸۶.

(۴) للمزيد من الاطلاع على الطرق المذكورة، راجعوا شواهد التنزيل ص ۱۶۱- ۱۶۸.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۵۵

ونقل المرحوم العلّامة الأمينى هذه الرواية ونزول هذه الآية بحق على عليه السلام عن كثير من كتب السنّة فقارب العشرين كتاباً (مع ذكر دقيق لمصادرها ووثائقها)، وبإمكان الراغبين مراجعة ذلك الكتاب للمزيد من الاطلاع «۱».

ونقل هذا المعنى فى كتاب احقاق الحق عن كثير من الكتب «۲».

والأمر اللطيف الآخر هو أنّ شاعر الرسول صلى الله عليه و آله المعروف «حسان بن ثابت» أورد هذه القضية فى شعره على أنّها مسألة تاريخية مُسلّم بها.

فهو يقول فى شعره مخاطباً علياً عليه السلام:

وأنت الذى أعطيتَ إذ كنتَ راكعاًزكاةً فدتكَ النفس ياخير راكعِ

فانزل فيك اللّه خير ولايةوَبيّنها فى محكمات الشرائعِ «۳»

ونقرأ فى القصيدة الاخرى التى رواها «سبط بن الجوزى» عن «حسان»:

منْ ذا بخاتمه تَصدَّقَ راكعاًواسرَّها فى نفسه اسرارا! «۴»

وموجز القول: إنّ نزول هذه الآية بحق على عليه السلام ليس بالأمر الذى يُشككُّ أو يرتاب فيه حتى أنّ مؤلف «منهاج البراعة فى شرح نهج البلاغة»، يقول: لقد نقلت روايات «متظافرة» بل متواترة عن طرق أهل السنّة وأتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام بهذا الصدد. والمهم هو تبيين كيفية دلالتها على الولاية وخلافة النبى صلى الله عليه و آله.

كيفية دلالة الآية على الخلافة:

لقد استند فى الآية المذكورة على مفهوم كلمة «الولى»، وذكر الإمام على عليه السلام على أنّه

---

(۱) الغدير، ج ۲، ص ۵۲ و ۵۳.

(۲) احقاق الحق، ج ۲، ص ۳۹۹- ۴۰۷.

(۳) روى شعر حسان بن ثابت فى كثير من الكتب باختلاف بسيط، منها فى تفسير روح المعانى، وكفاية الطالب للكنجى الشافعى وكتب اخرى

(۴) تذكرة الخواص، ص ۱۰، ونقله الكنجى الشافعى أيضاً فى كفاية الطالب ص ۱۲۳ وعد قائليه بعدة شعراء. نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۵۶

ولى المسلمين، صحيح أنّ لكلمة الولى معانِيَ عديدة كما أشرنا إليها آنفاً، فتارة تعنى الناصر والصديق، واخرى جاءت بمعنى المتصرّف والحاكم المشرف وكما يقول الراغب: إنّ أصلها بمعنى أن يحصل شيئان فصاعداً حصولًا ليس بينهما ما ليس منهما ثم يضيف: «الولاية» بكسر الواو بمعنى «النصرة» و «الولاية» بفتح الواو تعنى تولى الأمر «۱».

أمّا القرينة الموجودة فى الآية فهى تدلّ على أنّ «الولى» هنا تعنى المتولى والمشرف وصاحب الخيار لأنّها لو كانت تعنى الناصر والصديق والمعين لشملت المؤمنين جميعاً، كما نقرأ فى الآية: «وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ». (التوبة/ ۷۱)

بَيدَ أنّ الولاية فى آية البحث اعتبرت منحصرة فى حالة خاصة بذلك المتصدق فى ركوعه، وكلمة «إنّما» التى تفيد الحصر جاءت معها (تأملوا جيداً).

إنّ هذا التعبير يجعلنا نتيقن بأنّ «الولاية» فى الآية الآنفة الذكر لا تعنى الصداقة والنصرة (وكذا سائر المعانى المشابهة والقريبة لهذا المعنى ، وعلى هذا الأساس فلا مجال إلّاأن تكون بمعنى المتولى وصاحب الأمر المشرف، الذى توازى ولايته ولاية اللّه والنبى الأكرم صلى الله عليه و آله.

والآية التالية: «وَمَنْ يَتَولَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ والَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُونَ».

وحقيقة هذه الآية أنّها تتمّة لمضمون الآية المذكورة، وتلاحظ فيها قرينة اخرى على تفسير الولاية بمعنى تولى الأمر والاشراف، لأنّ التعبير ب «حزب اللّه» وانتصارهم على الأعداء يتعلق بإقامة حكومة إسلامية لا على أساس الصداقة العادية، وهذا يفيد أنّ كلمة الولى فى الآية تعنى المشرف والحاكم والماسك بزمام امور الإسلام والمسلمين، لانّ معنى «الحزب» هو ضربٌ من التنظيم والتضامن الاجتماعى من أجل تأمين اهداف مشتركة.

---

(۱) مفردات الراغب، مادة (ولى) وذكر البعض ۲۷ معنى للمولى (الغدير، ج ۱، ص ۳۶۲) إلّاأنّ اصول معانيها ذانك المعنيان والبقيّة ترجع إليهما.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۵۷

شبهات واعتراضات:

إنّ دلالة الآية على الإمامة والخلافة- كما رأينا- واضحةٌ، ولو كانت هذه الآية قد نزلت بحق الآخرين ربّما لم يجرِ حولها أَدنى جدال!

ولكن لكونها قد نزلت بحق على عليه السلام ولا تنسجم مع الغاية الناشئة عن الطائفية، فقد أصر البعض على إيراد الشبهات على صدر الآية وذيلها وسبب نزولها ودلالتها من كل جانب.

ويمكن تصنيف هذه الشبهات إلى صنفين: فبعضها ذات صبغة علمية ظاهراً فيجب الرد عليها بصورة علمية، إلّاأنّ البعض يستند إلى ما يُستَشهدُ بهِ، وكذلك وجود المبررات حسب زعم مثيريها فينبغى أيضاً بحثها ونقدها بشكل إجمالى:

١- الشبهة الاولى التى تعتبر من الصنف الأول هى أنّ الضمائر والأسماء الموصولة التى فى الآية جاءت بصيغة ضمير الجمع، مثل «الذين آمنوا» و «الذين يقيمون الصلاة» و «يوتون الزكاة» و «هم راكعون» فكيف والحالة هذه تنطبق على فردٍ واحدٍ.

فالآية تقول: إنّ أولياءكم هم الذين يتمتعون بهذه المزايا أى على بن أبى طالب عليه السلام.

والجواب: بالنظر إلى أن سبب نزول الآية الذى نقل بشكل مستفيض بل متواتر فى كتب الشيعة والسنّة لم يبق مجال للشكّ فى أنّها ناظرةٌ إلى شخص واحد، وبتعبير آخر: إنّ الروايات والتاريخ الإسلامى يشهد بأنّ التصدق على السائل فى حال الركوع يختص بعلى عليه السلام لأنّ القائم بالتصدّق واحد، ولم تقم به مجموعة، من هنا لابدّ من القول: إنّ التعبير بصيغة الجمع جاء من أجل احترام وتعظيم منزلة ذلك الشخص.

وكثيراً ما يُشاهد فى الأدب العربى أنّ لفظ الجمع جاء تعبيراً عن المفرد، فمثلًا جاءت كلمة «نسائنا» فى آية المباهلة بصورة الجمع، بينما المقصود منها فاطمة الزهراء عليها السلام فقط طبقاً لصريح سبب النزول، وفى نفس الآية جاءت كلمة «أنفسنا» بصيغة الجمع، والحال أنّ الجميع يسلّمون بأنّ لا أحد شارك فى المباهلة غير النبى صلى الله عليه و آله وعلى عليه السلام، وجاء فى القرآن أيضاً فى قصة «غزوة حمراء الأسد»: «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» (آل عمران/ ١٧٣)

نفحات القرآن، ج۹، ص: ١٥٨

وهنا ذكر الناطق بهذا الكلام كلمة «الناس» التى تفيد الجمع بينما جاء فى التاريخ أنّ القائل ليس سوى «نعيم بن مسعود».

وجاء أيضاً بشأن نزول الآية: «فَتَرَى الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِم يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ...». (المائدة/ ٥٢)

إذ نعلم هنا أنّها نزلت بشأن «عبد اللّه بن أبى»، والحال أنّ الضمائر هنا جاءت بصيغة الجمع.

كما أنّ الخطاب فى الآية الاولى من سورة الممتحنة عامٌ بينما نزلت بشأن رجل يدعى «حاطب بن أبى بلتعة»، وفى الآية التالية جاء الضمير بصيغة الجمع أيضاً: «يَقُولُونَ لَئِنْ رَّجَعنا إِلَى المَدِينَة ...» بينما كان القائل هو «عبد اللّه بن أُبى». (المنافقون/ ٨)

وكذلك فى الآية: «الَّذِينَ يُنفقُونَ امَوَالَهُمْ بِالَّليلِ وَالنَّهَارِ». (البقرة/ ٢٧٤)

التى نزلت فى حق على عليه السلام طبقاً للكثير من الروايات، بينما ضمائرها جميعاً جاءت بصيغة الجميع.

وجاءت الآية ٢١٥ من سورة البقرة المتعلقة بالسؤال عن الأشياء التى يجب أن ينفقوها:

«يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ» بصيغة الجمع بينما كان السائل هو شخص يدعى «عمرو بن الجموح» «١».

ولكن ما السبب فى أن يأتى الكلام بصيغة الجمع فى هذه الحالات مع أنّ المراد شخص واحد؟ ربّما يكون سببه فى بعض الحالات، الاحترام، وفى بعضها إشارة إلى مؤازرة الآخرين لذلك الشخص، وبالتمعّن فى الحالات أعلاه يمكن تمييز حالات الاحترام عن حالات المؤازرة.

فضلًا عن كل ذلك فنحن نعلم أنّ ضمير الجمع «المتكلم مع الغير» قد استخدم فى آيات القرآن فى حالات لا حصر لها أثناء حديث اللّه عن نفسه، مع أنّ ذاته المقدّسة لا نظير لها فى الوحدانية والتفرد، وهو «أحد واحد» من جميع الجوانب، وهذا مرده إلى أنّ العظيم يمتلك جنوداً مطيعين وممثلين لأوامره فى أداء ما يشاء، وهذا يؤدّى إلى استخدام ضمير الجمع مع

(۱) للمزيد من الاطلاع على مصادر هذه الروايات، يراجع التفسير الأمثل، ذيل الآية ۲۱۵ من سورة البقرة.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۵۹

كونه مفرداً، وبتعبير آخر أنّ ضمير الجمع هذا دليلٌ على عظمته وسمو مقامه.

۳- الشبهة الثانيه هى أنّ من المُسلَّم به أنّ علياً عليه السلام لم تكن له ولاية بمعنى الحكم وقيادة المسلمين فى عصر النبى صلى الله عليه و آله، فكيف يتعين تفسير الآية هكذا؟ الجواب عن هذا السؤال واضح، فكثيراً ما شاهدنا خلال التعابير اليومية بأنّ يطلق اسم أو عنوان على أشخاص مرشحين أو منتخبين لذلك المنصب وإن لم يمارسوا العمل به بعد، أو بتعبير آخر: إنّهم يتمتعون بذلك المقام بالقوة لا بالفعل.

فمثلًا يقوم إنسان فى حياته بتعيين شخص ما «وصياً» له، وبالرغم من كونه حياً فإنناقول: إنّ فلاناً وصيّه أو القيِّم على أطفاله.

فإطلاق الوصى والخليفة على على عليه السلام فى عهد النبى صلى الله عليه و آله كان من هذا القبيل أيضاً، حيث اختاره النبى صلى الله عليه و آله فى حياته لهذا الأمر بإذنٍ من اللَّه، وأثبت له الخلافة بعد رحيله.

ويلاحظ هذا المعنى أيضاً فى الآية الكريمة إذ يطلب زكريا من اللَّه تعالى «هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً». (مريم/ ۵)

واستجاب اللَّه له ووهبه يحيى ومن المسلم به أنّ يحيى لم يكن خليفته ووليه ووارثه فى حياته، بل عُيّنَ لما بعد حياته.

ويشاهد نظير هذا الكلام فى واقعة «يوم الانذار» (اليوم الذى جمع به النبى صلى الله عليه و آله أقرباءَه ليدعوهم إلى الإسلام للمرة الاولى ، فطبقاً لما ذكره «المؤرخون» الإسلاميون سواء من السنّة أو الشيعة، أنّ النبى صلى الله عليه و آله أومأ إلى على صلى الله عليه و آله فى ذلك اليوم وقال:

«إن هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا له واطيعوه» «۱».

فهل يتسبب التعبير أعلاه فى خلق مشكلة فى عهد النبى صلى الله عليه و آله؟

فلا شكّ فى أنّ الجواب سيكون بالنفى، فالتعبير بالولى فى آية البحث هو كما أشرنا إليه.

أمّا شبهات الفريق الثانى (التبريرات) فهى عديدة أيضاً منها:

۱- قولهم: أى زكاة واجبة كانت متعلقة بذمة على عليه السلام وهو الذى لم يكن يجمع لنفسه

---

(۱) روى هذا الحديث الكثير من علماء السنّة مثل، ابن أبى جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه وأبى نعيم والبيهقى والثعلبى والطبرى، وأورد ابن الأثير هذا الكلام فى ج ۲ من كتاب الكامل، وكذلك «أبو الفداء» فى الجزء الأول من تاريخه، وجماعة آخرون (للمزيد من الاطلاع انتظروا البحوث الآتية).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۶۰

من مال الدنيا أى شىء؟ وإذا كان المراد الصدقة المستحبة فلا يقال لها زكاة؟

الجواب: أولًا: إنّ موارد إطلاق الزكاة فى القرآن الكريم على الزكاة المستحبة كثيرة، فكثيراً ماورد فى العديد من السور المكية اسم «الزكاة» والمراد منها الزكاة المستحبة، إذ إنّ وجوبها كان بعد هجرة النبى صلى الله عليه و آله إلى المدينة.

والآيات ۳ من سورة النمل، و ۳۹ من سورة هود، و ۴ من سورة لقمان من جملة الموارد التى جاءت فيها كلمة الزكاة، ونظراً لكون هذه السور مكية فإنّ المراد هو الزكاة المستحبة.

ثانياً: صحيح أنّ علياً عليه السلام لم يدخر من مال الدنيا إلّاأنّه كانت تأتيه حصة من بيت المال، ومن المتيقن أنّه كان يمتلك وارداً بسيطاً من مجهوده أيضاً، وأنّ الخاتم المذكور من الفضة والظاهر أنّه كان رخيصاً، على هذا الأساس فإنّ تعلق هذا القدر من الزكاة البسيطة به عليه السلام ليس مستبعداً أبداً، وأنّ المبالغة بما قالوه بشأن قيمة ذلك الخاتم لا أساس لها من الصحة على الاطلاق.

ثالثاً: ألا يتعارض الانتباه إلى السائل مع حضور القلب فى الصلاة والاستغراق فى مناجاة الخالق جل وعلا مع القول السائد عنه: (حتى عرف بأنّ نصلًا وقع فى رجله فأخرجوه أثناء الصلاة ولم يُحسّ) «۱» فكيف يتسنى له الانتباه إلى السائل أثناء الصلاة؟!

الجواب: إنّ الذى يورد هذا الإشكال غافل عن سماع صوت السائل ومساعدته فما قام به علىٌّ عليه السلام لا يعتبر توجها إلى غير اللَّه، أو إلى الذات أو الامور الدنيوية، بل إنّه فى واقع الأمر توجّه إلى اللَّه.

فقد كان القلب المقدس لعلى عليه السلام يشعر بالسائلين، ويستجيب لندائهم فقد مزج عمله العبادى هذا بعبادة اخرى وتصدق أثناء الصلاة، وكلاهما كان للَّهوفى سبيله.

ومثل هذا الإشكال فى الحقيقة إشكال على القرآن الكريم، لأنّ اللَّه تعالى قد امتدح فى هذه الآية اعطاء الزكاة أثناء الركوع، ولو كان هذا العمل دليلًا على الغفلة عن ذكر اللَّه فلا ينبغى أن يستند إليها كصفة سامية وفائقة الأهميّة.

---

(۱) نص الرواية هكذا، روى أنّه وقع نصلٌ فى رجله فلم يُتَمكن من اخراجه فقالت فاطمة عليها السلام أخرجوه فى حال صلاته فإنّه لا يحسّ بما يجرى عليه حينئذٍ فأُخرج وهو فى صلاته (المحجة البيضاء، ج ۱، ص ۳۹۸- احقاق الحق، ج ۲، ص ۴۱۴).

فهؤلاء المتعصبون يريدون فى الواقع انكار فضل على عليه السلام فيُشكلون على اللَّه عزّ وجلّ.

انتبهوا هنا إلى كلام الرازى فهو يقول: «وهو أنّ اللائق بعلى عليه السلام أن يكون مستغرق القلب بذكر اللَّه حال ما يكون فى الصلاة، والظاهر أنّ من كان كذلك فانّه لا يتفرغ لاستماع كلام الغير ولفهمه» «۱».

علينا أن نسأل الفخر الرازى أن إذا كان هذا العمل خلافاً لآداب الصلاة وحضور القلب، فلماذا اثنى عليه البارى جلّ وعلا، واعتبر ولاية المؤمنين حقيقة بمثل هذا الشخص؟!

على أيّة حال، فلا مجال للشك فى أنّ سماع صوت المحتاج والاستجابة له فى حال الصلاة عبادة مضاعفة حصلت فى آن واحد، وعلينا أن نعوذ باللَّه من التعصب الذى يبعدنا عن الحقائق.

۳- ومن جملة التبريرات التى طرحت هنا بصيغة إشكال هو: إنّ التصدق بالخاتم على السائل فعل كثير ويتعارض مع الصلاة!.

ليس هناك ما يدعو للعجب، فعندما يريد الإنسان أن لا يذعن للواقع فإنّه يصطنع التبريرات ليحاجج بها، وهو على يقين بأنَّ تبريراته واهية؟!

والجواب: أولًا: إنّ عملية اخراج الخاتم تمّت باشارة بسيطة وعلى ضوء جميع الفتاوى فإنّ هذا العمل لايعتبر فعلًا كثيراً ولا يوجب الإشكال فى الصلاة، لا سيما إذا أشار الإمام عليه السلام إشارة بسيطة، والسائل اخرجه بنفسه.

ثانياً: لقد صرح الفقهاء بأنّ حتى قتل الحيوان اللادغ مثل «العقرب» أثناء الصلاة، أو رفع الطفل أثناء الصلاة، أو حساب عدد الركعات عن طريق الحصى، بل وحتى غسل جانب من اللباس أو اليد إذا تنجست أثناء الصلاة، لايضر بالصلاة، بينما يعتبر اعطاء الخاتم للسائل أو اخراجه أبسط من ذلك بكثير.

۴- يقول المبررون: من اين جاء على عليه السلام بذلك الخاتم النفيس؟ وألم يكن التختم به إسرافاً؟

---

(۱) التفسير الكبير، ج ۱۲، ص ۳۰.

الجواب: من الذى قال: إنَّ ذلك الخاتم كان نفيساً، ولماذا نصغى ونصدّق بمثل ذلك الهراء الفارغ، ونسير رويداً رويداً نحو إنكار آية قرآنية؟

لقد ورد فی روایة واحدة مرسلة وضعیفة أنّ قیمة ذلک الخاتم کانت تعادل خراج الشام! حیث من المسلم به أنّها أکثر شِبهاً بالخرافة لا بالحقیقة، ولعلها جعلت من قبل الذین وضعوها بقصد التقلیل من قیمة هذه الفضیلة العظیمة.

إنَّ فی مثل هـذه الحالات لیس المهم أن ینفق فیها بل المهم هو أنّ الإنسان نفسه محتاج إلی الشـیء ویغضُّ الطرف عنه فی سبیل اللَّه، ویکون هذا الفعل مقروناً بغایة الاخلاص فی النیّة.

فعنـدما تنزل سـورة کاملـة فی القرآن وهی (سـورة هـل أتی بسـبب اعطـاء بضـعة اقراص من الخـبز (وفی حالـة من الجـوع طبعـاً) إلی المسکین والیتیم والأسیر فی سبیل اللَّه، فما العجب فی أن تنزل آیة بشأن التصدق بخاتم علی فقیر أثناء الصلاة.

وأمثال هذه الشبهات التی یؤدّی التطرق إلی ذکرها والرد علیها إلی ضیاع الوقت.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۶۳

۳- آیة اولی الأمر

یقول تعالی فی الآیة: «یَاایُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللَّهَ وَاطِیعُوا الرَّسُولَ وَأُولِی الامْرِ مِنکُمْ». (النساء/ ۵۹)

فی بحث الولایة العامة کان لنا کلام مفصل حول معنی هذه الآیة ومن هم المقصودون فیها، وکما جرت الإشارة إلیه فإنّ الأمر بالطاعة المطلقة ل «اولی الأمر» إلی جانب رسول اللَّه صلی الله علیه و آله دلیل علی أنّ «اولی الأمر» تشمل الذین هم فی منزلة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أی أوصیاؤه المعصومون، لأنّه من المتعذر الطاعة المطلقة لغیر المعصومین علیهم السلام.

وبالمناسبة فإنّ جمیع الاحتمالات التی قیلت فی تفسیر «اولی الأمر» قد بحثت، ورأینا عدم وجود دلالة ومعنی صحیح لها إلّافی الإمام المعصوم.

إنّ ما یجب أن نضیفه علی ذلک هنا- فی بحث الولایة الخاصة «خلافة علی علیه السلام»، وهو بحث أکثر تفصیلًا حول الروایات التی وردت فی المصادر الإسلامیة المعروفة (لاسیما مصادر أهل السنة المشهورة) فی دلالة هذه الآیة علی علی علیه السلام.

نقل المفسر المعروف «الحاکم الحسکانی» الحنفی النیشابوری خمسَ روایات فی ذیل هـذه الآیـة حیث دلّت فیها جمیعاً صـفة «اولی الأمر» علی علی علیه السلام (کمصداق جلی).

ففی الروایـة الاولی ینقـل عنه علیه السـلام لمـا قال رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله: شـرکائی الـذین قرنهم اللَّه بنفسه وبی وأنزل فیهم «یاأیّها الذین آمنوا اطیعوا اللَّه واطیعوا الرسول» الآیة ... قلت: یانبی اللَّه من هم؟ قال: أنت أولهم «۱».

وفی الروایة الثانیة ینقل عن المفسر المعروف «مجاهد» أنّ هذه الآیة نزلت بحق أمیر

---

(۱) سنذکر مصادر هذه الروایات عند الانتهاء من الروایات الخمس.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۶۴

المؤمنین علیه السلام حینما خلفه علی المدینة (عندما توجه إلی معرکة تبوک).

وفی الروایة الثالثة ینقل هذا المعنی عن أبی جعفر الباقر علیه السلام، وفی الروایة الرابعة ینقل عن «سعد بن أبی وقاص»، قوله: «لما نزل رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله لحقه علی علیه السـلام یحمل سلاحاً؛ فقال: یارسول اللَّه خلفتنی عنک ولم اتخلف عن غزوة قبلها وقد أرجف المنافقون بی أنّک خلفتنی لما استثقلتنی!!! قال سعد: فسمعت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله یقول: یاعلی أما ترضی أن تکون منی بمنزلة هارون من موسی إلّاأنّه لا نبی بعدی فارجع اخلفنی فی أهلی وأهلک».

وروی عنهُ علیه السلام نفس هذا المعنی فی الروایة الخامسة «۱».

وفی تفسیر «البحر المحیط» تألیف «أبو حیان الأندلسی المغربی» ومن بین مانقـل حول معنی أولی الأمر، ینقـل عن مقاتـل وممیون

والكلبى (وثلاثتهم من المفسرين): أنّ المراد منها امراء السرايا أو أئمة أهل البيت عليهم السلام «۲».

ثم آثار الموما إليه شبهتين على نزول الآية بحق على عليه السلام:

الاولى أنّ علياً عليه السلام كان واحداً، والحال أنّ «اولى الأمر» صيغة جمع.

والاخرى أنّ ظاهر هذه الآية هو أنّ الناس أمروا بأن يطيعوا اولى الأمر أثناء وجود رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بينما لم يكن على عليه السلام إماماً فى عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله «۳».

وكان قد طرح مايشابه هذه الشبهات والإشكالات فى آية الولاية، وقد تطرقنا إلى الاجابة عنها بوضوح هناك، فمن ناحية قلنا، كثيراً ما يعنى أشخاصاً وهم على قيد الحياة، ويقولون أو يكتبون: إنّ فلاناً وصيّى، وعليه أن يفعل كذا وكذا، وعلى أولادى اتباعه، ومعنى ذلك هو أن يتعهد القيام بهذه الأعمال بعد ممات الموصى له.

وإنّ قضية «الجمع» أيضاً كما قلنا لا تتسبب فى خلق مشكلة على الاطلاق، فكثيراً ما يطلق الجمع على المفرد فى القرآن وغيره من النثر والشعر، وفى الواقع أنّ «اولى الأمر» هنا تفيد الجمع وتشمل جميع الأئمّة المعصومين، وإن كان فى كل زمان إمام ومعصوم واحد، إلّا أنّهم سيكونون جمعاً فى النهاية.

---

(۱) هذه الأحاديث الخمسة أوردها صاحب شواهد التنزيل، ج ۱، ص ۱۴۸- ۱۵۱.

(۲) البحر المحيط، ج ۳، ص ۲۷۸.

(۳) المصدر السابق، ص ۲۷۹.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۶۵

للمزيد من التفصيل بصدد الرد على هذين الإشكالين راجعوا ذيل آية الولاية.

والجدير بالذكر هو أنّ فريقاً آخر نقل روايات فى شأن نزول هذه الآية غير «الحاكم الحسكانى» فى «شواهد التنزيل» إذ يقولون: إنّها ناظرة إلى خلافة على عليه السلام. منهم العالم الشهير «أبو بكر بن المؤمن الشيرازى» الذى ينقل فى رسالة الاعتقاد (على ضوء نقل المناقب للكاشى) عن ابن عباس: إنّ الآية المذكورة نزلت بحق على عليه السلام عندما توجه الرسول الى غزوة تبوك وأبقى علياً فى المدينة، فقال له على عليه السلام: «أتخلفنى على النساء والصبيان؟»، فقال له الرسول صلى الله عليه و آله: «أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى حين قال: اخلفنى فى قومى واصلح، فقال عز وجل واولى الأمر منكم» «۱».

يروى صاحب كتاب «ينابيع المودة» الشيخ سليمان الحنفى القندوزى فى كتابه عن كتاب «المناقب» عن سليم بن قيس الهلالى: إنّ رجلًا جاء إلى على عليه السلام وسأله: أرنى أدنى ما يكون العبد مؤمناً، وأدنى مايكون به العبد كافراً، وأدنى ما يكون به العبد ضالًا؟ فقال له عليه السلام: «قد سألت فافهم الجواب ..... وأمّا أدنى ما يكون العبد به ضالًا أن لا يعرف حجّة اللَّه تبارك وتعالى وشاهده على عباده الذى أمر اللَّه عزّ وجلّ عباده بطاعته وفرض ولايته»، قلت: ياأمير المؤمنين صفهم لى؟

قال: «الذين قرنهم اللَّه تعالى بنفسه ونبيه فقال: «يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِى الْأَمرِ مِنْكُمْ»» «۲».

إنّ هذه الرواية شاهد على أنّ اولى الأمر حجج اللَّه ووكلاؤه.

ووردت عشرات الروايات فى تفسير البرهان عن مصادر أهل البيت عليهم السلام فى ذيل الآية كلها تقول: إنّ الآية المذكورة نزلت بحق على عليه السلام أو بحقه وسائر أئمّة أهل البيت عليهم السلام، بل وفى بعض هذه الروايات جاءت اسماء الأئمّة الاثنى عشر واحداً واحداً «۳».

---

(۱) احقاق الحق، ج ۳، ص ۴۲۵.

(۲) ینابیع المودة، ص ۱۱۶.

(۳) تفسیر البرهان، ج ۱، ص ۳۸۱- ۳۸۷.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۶۷

۴- آیة الصادقین

«یاأَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَکُونُوا مَعَ الصَّادِقِینَ». (التوبة/ ۱۱۹)

لقد تحدثنا عن تفسیر هذه الآیة بالتفصیل فی بحث الولایة العامة، وما یحتاج توضیح أکثر هنا هو شرح الروایات الکثیرة التی طبقت الآیة علی علی علیه السلام أو جمیع أهل البیت علیهم السلام فمثلًا:

۱- یروی المفسر المعروف «السیوطی» فی «الدر المنثور» عن ابن عباس فی تفسیر الآیة: «اتقوا اللَّه وکونوا مع الصادقین ...»، أنّه قال: «مع علی بن أبی طالب علیه السلام».

ونقل شبیه هذا المعنی کل من «الخوارزمی» فی «المناقب»، و «الزرندی» فی «درر السمطین»، و «عبد اللَّه الشافعی» فی «المناقب»، و «الحاکم الحسکانی» فی «شواهد التنزیل»، مع فارق أنّ بعضها یعبر ب- «هو علی بن أبی طالب»، وبعضها ب «علی بن أبی طالب خاصة»، وبعض رواها «مع علی وأصحاب علی» «۱».

۲- یروی «الحافظ سلیمان القندوزی الحنفی» فی «ینابیع المودة» عن سلمان الفارسی:

لمّا نزلت آیة «یاایها الذین آمنوا اتقوا اللَّه وکونوا مع الصادقین»، قال سلمان: یارسول اللَّه هذه عامة أم خاصة؟

قال النبی صلی الله علیه و آله: «أمّا المأمورون فعامة الناس، وأمّا الصادقون فخاصة، أخی علی وأوصیاؤه من بعده إلی یوم القیامة» «۲».

۳- یروی «الحاکم الحسکانی» فی «شواهد التنزیل» عن عبد اللَّه بن عمر فی ذیل عبارة

---

(۱) المناقب، ص ۱۸۹؛ درر السمطین، ص ۹۱؛ المناقب لعبد اللَّه الشافعی، ص ۱۵۴؛ شواهد التنزیل، ج ۱، ص ۲۵۹.

(۲) ینابیع المودة، ص ۱۱۵.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۶۸

«وکونوا مع الصادقین» قوله: «یعنی محمداً وأهل بیته علیهم السلام» «۱».

۴- روی جماعة من کبار أهل السنّة مثل «العلّامة الحموینی» فی «فرائد السمطین» و «الشیخ أبو الحسن الکازرونی» فی «شرف النبی» عن أبی جعفر الباقر علیه السلام فی ذیل هذه الآیة قوله: «مع آل محمد، أو مع محمد وآله، أو مع محمد وعلی» حیث إنّ معناها جمیعاً متقارب «۲».

ولم یقتصر العظماء الذین نقلوا الروایة علی الأشخاص الذین ذکرناهم.

وهذا الأمر یحظی بالأهمیّة أیضاً حیث یأمر اللَّه تعالی المؤمنین أن یکونوا دوماً مع الصادقین، فهو حکم مطلق بلا قید أو شرط، وهذا المعنی لایتحقق أبداً إلّابشأن المعصومین علیهم السلام، لأنّ غیر المعصوم ربما یخطیء، وفی هذه الحالة فانَّ الشخص الذی یمکن الوقوف إلی جانبه واتباعه دائماً لن یکون إلّامن المعصومین، وعلیه فالمراد من الصادقین فی هذه الآیة لیس کل صادق، بل الصادقون الذین لا سبیل للکذب إلیهم- لا عمداً ولا سهواً- مع هذا فالعجب من بعض مفسری أهل السنّة المعروفین کالآلوسی فی تفسیر روح المعانی مثلًا، فبعد ذکره لبعض الأخبار التی تفسر الصادقین فی هذه الآیة بعلی علیه السلام، یضیف: إنّ الشیعة قد استدلوا بها علی أحقیة علی علیه السلام، ثم یقول: إنّه استدلالٌ باطل ویمر منها بدون أن یأتی بدلیل واحد علی مزاعمه.

إنَّ مثل هذه المواقف تدلّ علی أنّه إلی أی حد یستطیع حجاب التعصب من الحیلولة دون اشعاع نور الفکر، ویسلب حریة التفکیر

حتى من العلماء.

وفى المقابل يبرر اناس متحررو التفكير كالدكتور محمد التيجانى الذى شخص طريقه فى ظل هذه الآية والآيات المعيّة، وأظهر إيمانه بعلى عليه السلام وسائر ائمة أهل البيت عليهم السلام بشجاعة فائقة، وألف كتاباً ظريفاً ولطيفاً للغاية فى هذا المجال اسماه (لاكون مع الصادقين)، وقد ترك هذا الكتاب أثراً عجيباً فى نفوس الكثير من المسلمين.

---

(۱) شواهد التنزيل، ج ۱، ص ۲۶۲.

(۲) للمزيد من الاطلاع، راجعوا احقاق الحق، ج ۱۴، ص ۲۷۴ و ۲۷۵؛ والغدير، ج ۲، ص ۲۷۷؛ واحقاق الحق، ج ۳، ص ۲۹۶ ومابعدها، وج ۱۴، ص ۲۷۰- ۲۷۷.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۶۹

۵- آية القربى

اشارة

يخاطب تعالى النبى صلى الله عليه و آله قائلًا فى الآية: «قُلْ لَّاأَسأَلُكُم عَلَيهِ اجراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِى القُربَى . (الشورى/ ۲۳)

إنّ المراد من «القربى فى هذه الآية، حسب ما قاله جميع مفسرى الشيعة وطائفة من مفسرى السنّة: هم قرابة النبى صلى الله عليه و آله.

وفى قبال هذا التفسير ذكرت احتمالات وتفاسير اخرى يبدو أنّ الدافع الحقيقى لها هو التقليل من أهميّة الإمامة وخلافة النبى صلى الله عليه و آله والاقلال من شأن أهل البيت عليهم السلام، منها التفاسير الثلاثة الآتية:

۱- المراد من اجر وثواب الرسالة هو حب الامور التى تدعوكم إلى القرب من اللَّه، وعليه فإنّ «القربى هى الامور التى تؤدى إلى القرب من اللَّه تعالى ومن الواضح أنّ هذا التفسير لايتلائم وظاهر الآية على الاطلاق، لأنّ المهم فيما يتعلق بالصلاة والصوم والجهاد ونحو ذلك من عوامل القرب الإلهى هو العمل بها لا مودتها ومحبتها، فالتعبير بالمودة لا يتناسب وهذه القضية باى شكل من الأشكال، إلّاأن يكون هنالك شخص بين مخاطبى النبى صلى الله عليه و آله لم يحب هذه الامور حتى الذين كانوا يقصرون فى عملهم منهم مَنْ كانوا يحبون هذه الامور بحكم تعلقهم باللَّه والقرآن، وإن لم يكونوا يعملون.

فضلًا عن جميع ذلك، ف «القربى تعنى: القرب والدنو لا- «المقرِّب»، لذا فإنّها جاءت فى جميع الحالات التى استخدمت فيها هذه الكلمة فى القرآن الكريم (۱۵ مرة بالاضافة الى هذه الآية التى هى مورد بحثنا) بمعنى الأشخاص الذين يتمتعون بالقرابة (وأساساً ذوى القربى النسبية).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۷۰

فلماذا ولأى سبب تفسر آية البحث خلافاً لجميع حالات استعمال القرآن والمفهوم اللغوى لهذه الكلمة؟ هل هنالك دافع غير ماأشير إليه آنفاً؟!

الجدير بالاهتمام أنّ الكثير من أرباب اللغة قد صرحوا بأنّ القربى أو ذى القربى تعنى قرابة النسب، فيقول صاحب مقاييس اللغة: فلان ذو قربتى، هو من يقرب منك رحماً، ثم يضيف: «القربى والقرابة» أى أنّ كلاهما بمعنى واحد وجاء فى لسان العرب، والقرابة والقربى الدنو فى النسب.

۲- وقال البعض الآخر: إنّ المقصود هو ايها المسلمون أحبّوا قرباكم كأجر للرسالة، والحال أنّ مودّة قرباهم لا علاقة لها بالرسالة.

عجبٌ، كيف تُتْرك محبّة قربى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله التى هى انسب معنى هنا، وتطرح مودة قرباهم على أنّها أجر الرسالة؟!

۳- وقال بعض من المفسرين: إنّ المقصود هو احفظوا قرابتى منكم كأجر للرسالة، وحيث إنّ لى قرابة سببية أو نسبية مع الكثير من قبائلكم فلا تؤذونى.

إنّ هذا التفسير هو اسوء تفسير لهذه الآية، لأنّ أجر الرسالة مطلوب من الذين تقبلوا رسالته فقط، ولا يعنى أولئك الذين يؤذون النبى صلى الله عليه و آله، وأمّا إذا كان المراد أعداؤه الذين يؤذونه، فأولئك لم يتقبلوا رسالته أبداً، ناهيك عن أجرهم واحسانهم! فكيف يمكن أن يقول إنّ أجرى أن لا تؤذونى لقرابتى منكم.

النقطة الأساسية فيما يخص الآية هى أنّ القرآن الكريم- من ناحية- ينقل عن الكثير من الأنبياء أنّهم كانوا يقولون بصريح القول «وَمَا أَسْأَلُكُم عَلَيهِ مِنْ أَجرٍ انْ أَجرِىَ إلَّاعَلَى رَبِّ العَالَمِينَ» «۱».

ومن ناحية اخرى تقول آية البحث فيما يتعلق بالنبى صلى الله عليه و آله: «قُلْ لَااسأَلُكُمْ عَلَيهِ أَجْراً إلَّا المَوَدّةَ فِى القُربَى .

ومن ناحية ثالثة: نقرأ بشأن النبى صلى الله عليه و آله فى الآية: «قُلْ مَا أَسأَلُكُمْ عَلَيهِ مِنْ أَجرٍ إلَّامَنْ

---

(۱) بالتسلسل، الآية ۱۰۹ و ۱۲۷ و ۱۴۵ و ۱۶۴ و ۱۸۰ من سورة الشعراء.

شَاءَ انْ يَتَّخِذَ إلَى رَبِّهِ سَبِيلًا». (الفرقان/ ۵۷)

ومن ناحية رابعة جاء بشأن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى الآية: «قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجرٍ فَهُوَ لَكُم إنْ أَجرِىَ إلَّاعَلَى اللَّهِ». (سبأ/ ۴۷)

من خلال جمع هذه الآيات الأربعة مع بعضها يمكن الاستنتاج جيداً أنّ النبى صلى الله عليه و آله شأنه شأن بقية الأنبياء لم يطلب أجراً لشخصه من الناس، بل إنّ فى مودة قرباه مرضاة اللَّه، وهو امر يصب فى صالح هؤلاء تماماً، لأنّ هذه المودة نافذة فى الإمامة وخلافة النبى صلى الله عليه و آله واستمرار خط قيادة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى الأمة، وهداية الناس فى ظلها (تأملوا جيداً).

نعم فحيثما فسرنا هذه الآيات الأربع بهذا الشكل لم تبق فيها نقطة غموض وتعقيد واشكال، وإلّا فسيشاهد تضاد فيما بينها من ناحية، ومن ناحية اخرى نضطر إلى تفاسير طويلة وعريضة لا تتلائم وظاهر الآيات بأى شكل من الأشكال.

ولكن بما أنّ هذا التفسير لا- يروق لبعض من المفسرين، لأنّه لايتفق مع حكمهم المسبق فقد تركوه، فتارة قالوا: إنّ طلب الأجر لا يتلائم ومقام النبى صلى الله عليه و آله، وعلى هذا الأساس فآية «إلَّا المَوَدَّةَ فِى القُربَى» يجب اعتبارها استثناءً منقطعاً، وتارة قالوا: إنّ هذه الآية لاتتفق بالآية: «قُل مَا اسأَلُكُم عَلَيهِ مِن اجرٍ وَمَا انَا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ». (ص/ ۸۶)

وتارة يتورطون فى تبريرات معقدة.

إنّ هذه الحقيقة تتضح أكثر فيما لو رجعنا إلى الروايات الواردة عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فى شرح وتفسير هذه الآية ونضعها إلى جانب هذه الآيات.

من مجموع الروايات الواردة فى تفسير الآية نستنتج مايلى:

لا شك أنّ أيّة البحث ناظرة إلى قضية الإمامة والخلافة حيث يمكن اعتبارها أجراً للرسالة، الأجر الذى يقرب الناس إلى اللَّه، وتعود فائدته إليهم.

وممّا قيل آنفا يتضح الرد على بعض المفسرين الذين طالما يتخذون موقفاً ملؤه العصبية ازاء الآيات المتعلقة بالإمامة.

يقول «الآلوسى» فى «روح المعانى» فى تفسير هذه الآية:

«على كرم اللَّه وجهه واجب المحبّة وكل واجب المحبّة واجب الطاعة وكل واجب الطاعة صاحب الإمامة وينتج على رضى اللَّه تعالى عنه صاحب الإمامة وجعلوا الآية دليل صغرى «۱».

ولكن كما فهم من البحوث الآنفة فنحن لا نريد أبداً استغلال هذه الآية من خلال الصغرى والكبرى الواهيتين، والأمر المهم فى الآية شيء آخر وهو أنّ مودة ذوى القربى عدّت أجراً للرسالة، وفى الآيات الأخرى ذكر الاجر المذكور على أنّه وسيلة للتقرب من اللَّه وفى صالح الناس، ومن مجموع ذلك تتضح مسألة الإمامة والخلافة بالتفصيل الذى ورد أعلاه، وأحاديث النبى صلى الله عليه و آله التى يشار إليها سند لهذا الاستدلال.

آية القربى فى الروايات الإسلامية:

نقلت روايات كثيرة فى مصادر السنّة والشيعة فى ذيل هذه الآية: «قُلْ لَاأَسْأَلُكُمْ عَلَيهِ أَجْراً إِلَّا الْمَودَّةَ فِى الْقُربى حيث لها تأثير كبير فى تفسير وتبيين مفهوم الآية، من جملتها الروايات الآتية:

ينقل «الحاكم الحسكانى» وهو من مشاهير علماء القرن الخامس الهجرى فى «شواهد التنزيل» عن «سعيد بن جبير» عن «ابن عباس» مايلى:

«لمّا نزلت قل لا أسألكم عليه أجراً إلّاالمودة فى القربى قالوا: يارسول اللَّه من هؤلاء القربى الذين أمرنا اللَّه بمودتهم؟ قال: على وفاطمة وولدهما» «۲».

وروىت فى الكتاب نفسه عدّة روايات اخرى بهذا المضمون بطرق مختلفة عن ابن عباس «۳».

۲- وفى رواية اخرى فى الكتاب نفسه يروى عن أبى امامة الباهلى أنّ النبى صلى الله عليه و آله قال:

---

(۱) تفسير روح المعانى، ج ۲۵، ص ۳۰.

(۲) شواهد التنزيل، ج ۲، ص ۱۳۰.

(۳) المصدر السابق، ص ۱۳۱- ۱۳۵.

«إنّ اللَّه خلق الأنبياء من أشجار شتى وخلقت وعلى من شجرة واحدة، فأنا أصلها وعلى فرعها، وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمارها وأشياعنا أوراقها فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا ومن زاغ هوى ولو أنّ عبداً عبد اللَّه بين الصفا والمروة ألف عام، ثم ألف عام، ثم ألف عام، حتى يصير كالشنّ اليابس، ثم لم يدرك محبتنا أكبه اللَّه على منخريه فى النار. ثم قرأ: «قل لا أسألكُم عليه أجراً إلّاالمودة فى القربى «۱».

۳- يروى «السيوطى» المفسر السنّى الشهير فى الدر المنثور فى ذيل آية البحث عن مجاهد عن ابن عباس أنّ النبى صلى الله عليه و آله قال فى تفسير الآية: «قل لا أسألكم عليه أجراً- أنّ تحفظونى فى أهل بيتى وتودوهم بى» «۲».

۴- يروى «أحمد بن حنبل فى «فضائل الصحابة» عن «سعيد بن جبير»: لما نزلت آية «قل لا أسألكم عليه أجراً إلّاالمودة فى القربى ، سأل القوم رسول اللَّه: من هم قرباك الذين وجبت مودتهم علينا؟ قال: «على وفاطمة وابناهما وقالها ثلاثاً» «۳».

ونقل القرطبى المعنى نفسه فى تفسير الآية بشيء من الاختلاف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

۵- يروى «الحافظ أبو نعيم الاصفهانى» فى «حلية الأولياء» عن «جابر»: أنّ أعرابياً جاء لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله وقال: يامحمد أعرض علىّ الإسلام، فقال: «تشهد أن لا إله إلّااللَّه وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله، قال تسألنى عليه أجراً؟ قال: لا، إلّاالمودة فى القربى قال: قربای أو قرباك؟ قال: قربای، قال: هات ابايعك، فعلى من لا يحبّك ولا يحب قرباك لعنة اللَّه، قال صلى الله عليه و آله: آمين» «۴».

۶- ويروى المفسر المعروف «ابن جرير الطبرى» أيضاً فى ذيل هذه الآية عن ابن جبير أنّه قال: «هى قربى رسول اللَّه صلى الله عليه و

آله».

---

(۱) شواهد التنزيل، ص ۱۴۱.

(۲) تفسير در المنثور، ج ۶، ص ۷.

(۳) احقاق الحق، ج ۳، ص ۲.

(۴) حلية الأولياء، ج ۳، ص ۲۰۱.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۷۴

۷- يروى «الحاكم» فى «مستدرك الصحيحين» عن على بن الحسين عليه السلام لمّا قتل على عليه السلام خطب الحسن بن على عليه السلام: «وممّا قاله فى خطبته أنّه عرف نفسه حتى بلغ هذه العبارة): إنا من أهل البيت الذين افترض اللَّه مودتهم على كل مسلم فقال تبارك تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله: قل لا اسألكم عليه أجراً إلّاالمودة فى القربى «۱».

كما نقل هذه الرواية فريقٌ من مشاهير أهل السنّة، منهم محبّ الدين الطبرى فى الذخائر (ص ۱۳۸) وابن حجر فى صواعقه الصفحة ۱۰۱، والسيوطى فى الدر المنثور ذيل آية البحث.

۸- يروى المفسر المعروف أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى جامع البيان عن أبى الديلم:

لما جيء بعلى بن الحسين عليه السلام أسيراً إلى الشام فاوقفوه عند باب دمشق، فقام رجل من أهل الشام وقال: الحمد للَّهالذى قتلكم واستأصلكم وقطع قرنى الفتنة، فقال له على بن الحسين عليه السلام: أَقرأت القرآن ياشيخ؟ قال: نعم، فقال عليه السلام أقرات حم؟ قال: قرأتٌ القرآن ولكن لم أقرء آل حم، قال عليه السلام أما قرأت: «قل لا أسألكم عليهٔ أجراً إلّاالمورهٔ فى القربى ، فقال: وإنّكم لأنتم هم؟ قال عليه السلام: «نعم!» «۲».

۹- يروى «ابن حجر» فى «الصواعق المحرقهٔ» عن على عليه السلام أنّه قال: «فينا آل حم آيهٔ، لا يحفظ مودتنا إلّاكل مؤمن ثمّ قرأ: قل لا أسألكم عليه أجراً إلّاالمودّهٔ فى القربى «۳».

وورد نظير هذا المعنى أيضاً فى كنز العمال «۴».

و يستفاد جيداً من هذه الرواية أنّ المراد من «القربى فى آية البحث هم قربى الرسول صلى الله عليه و آله.

والمقصود من آل حم مجموعهٔ السور التى جاءت حم فى مطلعها وهى عبارهٔ عن السور

---

(۱) مستدرك الصحيحين، ج ۳، ص ۱۷۲.

(۲) تفسير جامع البيان، ج ۲۵، ص ۱۶.

(۳) الصواعق المحرقهٔ، ص ۱۰۱.

(۴) كنز العمال، ج ۱، ص ۱۱۸.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۷۵

السبع التالية: المؤمن، فصلت، الشورى الزخرف، الدخان، الجاثية والاحقاف، وآية البحث فى واحدهٔ منها «۱».

۱۰- نقل الزمخشرى فى الكشاف، وكذا الفخر الرازى فى التفسير الكبير، والقرطبى فى تفسيره حديثاً عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى ذيل هذه الآية الكريمهٔ تكشف عن أهميّة مودهٔ آل محمد صلى الله عليه و آله بنحو مدهش، ونحن هنا ننقل نصّ الحديث عن تفسير الكشاف، إذ يقول: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «مَنْ مات على حب آل محمّد مات شهيداً- ألا ومَنْ مات على حب آل محمّد صلى الله عليه و آله مات مغفوراً له، ألا ومَنْ مات على حبّ آل محمّدٍ مات تائباً، أَلا ومَنْ مات على حبّ آل محمّد صلى الله

علیه و آله مات مؤمناً مستکمل الإیمان، ألا وَمَنْ مات علی حب آل محمّد صلی الله علیه و آله بشّرهُ مَلَک الموت بالجنّة ثم مُنکر ونکیر، ألا وَمَنْ مات علی حب آل محمّد صلی الله علیه و آله یزف إلی الجنّة کما تُزف العروس إلی بیت زوجها، ألا ومَنْ مات علی حب آل محمّد صلی الله علیه و آله فُتح له فی قبره بابان إلی الجنّة، ألا ومَنْ مات علی حب آل محمّد صلی الله علیه و آله جعل اللّه قبره مزار ملائکة الرحمة، ألا ومَنْ مات علی حب آل محمّد صلی الله علیه و آله مات علی السنّة والجماعة، ألا «۲» ومَنْ مات علی بغض آل محمّد صلی الله علیه و آله جاء یوم القیامة مکتوب بین عینیه آیس من رحمة اللّه، ألا ومَنْ مات علی بغض آل محمّد صلی الله علیه و آله مات کافراً، ألا ومَنْ مات علی بغض آل محمّد لم یشم رائحة الجنة».

والمدهش أنّه جاء فی بعض حواشی تفسیر الکشاف التی دونت من قبل بعض المتعصبین بعد نقل هذا الحدیث الشریف: وآثار الوضع علیه لائحة!.

ولکن ما الدلیل علی مجعولیته وفی أی موضع من هذا الحدیث یلوح أثر هذا الجعل؟ لم یوضّح ذلک، سوی أنّ عظمة شأن آل محمّد صلی الله علیه و آله التی تمّ بیانها فی هذا الحدیث النبوی الشریف لاتتفق والحکم المسبق للبعض، ولعلهم کانوا یرون عظمة آل محمّد صلی الله علیه و آله للمرة الاولی بهذا المستوی الراقی فی هذا الحدیث النبوی الشریف، وقد نقل ذلک الحدیث القدیم

---

(۱) یراجع هامش تفسیر مجمع البیان، ج ۷ و ۸، ص ۵۱۲ مطلع سورة المؤمن.

(۲) تفسیر الکشاف، ج ۴، ص ۲۲۰ و ۲۲۱؛ تفسیر الکبیر، ج ۲۷، ص ۱۶۵ و ۱۶۶؛ تفسیر القرطبی، ج ۸، ص ۵۸۴۳.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۷۶

ثلاثة من کبار المفسرین الذین یعتقدون به وتقبلوه بقبول حسن ولم یوردوا علیه مؤاخذه.

هذا فی الوقت الذی یقول الفخر الرازی فی ذیل هذا الحدیث: وإن کان فی معنی «آل» جدل واختلاف، ولکن «لا شک أنّ فاطمة وعلیاً والحسن والحسین کان التعلّق بینهم وبین رسول اللّه أشدّ التعلقات وهذا کالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب أن یکونوا هم الآل».

ویقیم «الفخر الرازی» أیضاً شواهد وقرائن کثیرة علی هذا المعنی بأنّ علیاً وفاطمة والحسن والحسین علیهم السلام داخلون فی هذه الآیة «۱».

یتبیّن ممّا قیل آنفاً أنّ بعض الروایات التی نقلت فی ذیل هذه الآیة والتی تقول: «إنّ المخاطب فیها هم کفار قریش، والمراد هو أن لا تنسوا قرابتی منکم ولاتؤذونی لقرابتی منکم» لایمکن قبولها، ویحتمل أنّ وُضّاع الحدیث قد نقلوا مثل هذا الأمر، للتقلیل من أهمیّة منزلة أهل البیت علیهم السلام، لأنّ مثل هذا الخطاب لکفار قریش یتعارض تماماً مع مفهوم الآیة، فمن المستحیل أن یقول النبی صلی الله علیه و آله لهم لا أسألکم أجراً سوی أن لا تنسوا قرابتی منکم وهم غیر موقنین أطلاقاً برسالة النبی صلی الله علیه و آله فضلًا عن رغبتهم فی اعطائه الأجر.

خلاصة القول، إنّ أولئک الذین تمسکوا بهذه الروایة ولکنهم یقطعون علاقة الآیة بأهل البیت علیهم السلام هم فی الحقیقة ینکرون مضمون الآیة لأنّ طلب أجر الرسالة من منکریها فارغ عن المعنی تماماً.

ونختتم هذا البحث بأبیات من الشعر حیث ذکرها الفخر الرازی والآلوسی فی «التفسیر الکبیر» و «روح المعانی» فی ذیل هذه الآیة لیکون ختاماً مبارکاً لهذا البحث ویکون «ختامه مسک».

وهذا الشعر صادر عن الإمام الشافعی المعروف باعتقاده الراسخ بأهل البیت علیهم السلام إذ یقول:

یا راکباً قف بالُمحصب من منیواهتف بساکن خیفها والناهض

سَحراً إذا فاض الحجیج إلی مِنیفیضاً کَمُلْتَطَمِ الفرات الفائضِ

---

(۱) للمزيد من الاطلاع راجعوا تفسير الكبير، ج ۲۷، ص ۱۶۶ و ۱۶۷.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۷۷ إن كان رفضاً حبُّ آل محمّدٍفليشهد الثقلان انّى رافضى «۱»

جعلنا اللّه من محبى آل محمّد صلى الله عليه و آله الذين نصلى عليهم فى صلاتنا وبدون ذلك لا تقبل صلاتنا، اللّهم اجعل هذه المحبّة مقدّمة لمعرفة «مقام ولايتهم» كى لانتصور أنّ قضية بهذه الأهميّة طرحت على أنّها مودة عادية، ثم اجعل هذه المعرفة سبيلًا لاتباع مذهبهم.

---

(۱) تفسير الكبير، ج ۲۷، ص ۱۶۶؛ و تفسير روح المعانى، ج ۲۵، ص ۳۲.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۷۹

القسم الثانى: آيات الفضائل

تمهيد:

كما أسلفنا سابقاً، أننا فى هذه البحوث لانتقصى الآيات القرآنية التى تحدثت، مباشرة عن قضية الخلافة والولاية، بل نبحث فى الآيات التى ورد فيها ذكر لفضائل على بن أبى طالب عليه السلام والتى بمجموعها توضح زوايا هذه القضية لمن فاتهم الاطلاع عليها، وجميع هذه الآيات تشير إلى أن أمر الإمام على عليه السلام مستثنىً عن الآخرين، ومع وجود على بن أبى طالب فى هذه الأمة فإنّ الإمامة والخلافة لاتناط أمورها بغيره.

بعبارة اخرى إنَّ من خلال حوار بين الإنسان وعقله يمكن استنتاج مسألة الإمامة والخلافة منها، وهى: إنّ اللّه الحكيم لا- يجعل «المفضول» حاكماً وقائداً على الأفضل، بل وحتى عقلاء الدنيا فإنّهم يوجهون اللوم والتأنيب لمن يقوم بعمل كهذا، ويعتبرون فعله هذا دليلًا على ضعف إدارته وعدم تدبيره لأنّه جعل الأفضل تابعاً لمن هو أدنى منه.

إنّ هذه الآيات من الكثرة بحيث إنّ بعض العلماء ألّفوا كتباً مستقلة بهذه المسألة، إلّاأننا اخترنا من بينها آية تضم مفاهيم واضحة، كما أنّها تنسجم واختصار الكتاب.

وهنا نتجه نحو المصادر المعروفة لدى أهل السنة ونختزل الكلام عما ورد فى مصادر أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام لئلا يتصور أحد أنّ أتباع هذا المذهب قد نطقوا بشىء بدافع التعصب.

وعلى أيّة حال فإنّ هذه الآيات كثيرة، وقد اخترنا منها ۲۴ آية.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۸۱

۱- آية المباهلة

اشارة

«فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ ابْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُم وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُم وَانْفُسَنَا وَانْفُسَكُم ثَمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلى الْكَذِبِينَ». (آل عمران/ ۶۱)

هنا ينبغى توضيح بعض الامور:

اولًا: مضمون الآية.

ثانياً: من الذين ذكرتهم الروايات التى جاءت فى المصادر الإسلامية المعروفة فى تفسير هذه الآية؟

ثالثاً: کیفیة الاستدلال بهذه الآیة علی أفضلیة علی وفاطمة والحسن والحسین علیهم السلام.

رابعاً: الرد علی بعض الشبهات فیما یتعلق بهذه الآیة.

مضمون آیة المباهلة:

تـدلُّ الآیـة أعلاه بالإضافـة إلی الآیـات التی نزلت قبلها وبعـدها أنّ النبی صـلی الله علیه و آله یُؤْمَر فی مواجهـة اصـرار النصاری علی التمسک بعقائدهم المحرفة کزعمهم بأُلوهیة عیسـی علیه السـلام مثلًا، وعدم جدوی المنطق والاسـتدلال ازاء عنادهم، فکان لابدّ للنبی علیه السـلام من التضرع وأن یسلک طریق المباهلة، ویثبت صدق کلامه من خلال هذا الطریق المعنوی، أی یباهلهم لیتبین الصّادق من الکاذب!

والمباهلـة فی الأصـل من مادة «بهلْ» علی وزن (أهلْ) وتعنی الترک، من هنا فعنـدما یترکون الحیوان لحاله ولا یلفون ثـدایاه فی کیس خاص- لمنع ولیده من الرضاعة- یقولون

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۸۲

له: «باهل»، و «الابتهال» فی الدعاء تعنی التضرع وایکال الأمر إلی اللَّه تعالی

وتارة فسـروا هـذه الکلمة بمعنی «الهلاک واللعن والطرد من اللَّه»، وذلک أیضاً بسـبب ترک العبد وایکاله إلی نفسه والخروج عن ظل لطف اللَّه سبحانه.

هـذا الرأی هو الأصل اللغوی، أمّا من ناحیـة «المفهوم المتـداول» الـذی أشیر إلیه فی الآیـة، فالمباهلـة الملاعنـة بین شخصـین، من هنا فعنـدما لاتجـدی الاسـتدلالات المنطقیـة، ویجتمع الذین یدور بینهم جدول بشأن مسألة دینیة مهمّة ویتضـرعون إلی اللَّه سائلین منه أن یفضح الکاذب ویعاقبه، وهو مافعله النبی صلی الله علیه و آله فی مواجهة نصاری نجران، حیث اشیر إلیه فی الآیة.

ومن خلال ماذکر نلقی نظرة علی تفسیر هذه الآیة:

«فَمَنْ حَاجَّکَ فِیهِ مِنْ بَعدِ مَاجَاءَکَ مِنَ العِلمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ ابنَاءَنَا وَابنَاءَکُم وَنسَاءَنَا وَنسَاءَکُم وَانْفُسَـنا وَانْفُسَکُم ثُمَّ نَبتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَی الکَذِبِینَ».

لاـ شـک أنّ هـذه الواقعـة التاریخیـة قـد حصـلت ولم یسـتطع أحـد انکارهـا، ومفادها: أنّ النبی الأکرم صـلی الله علیه و آله اختار نفراً واصطحبهم معه للمباهلة.

جاء فی الروایات الإسـلامیة التی نقلها المفسرون والمحدثون: لما نزلت الآیة أعلاه اقترح النبی صلی الله علیه و آله علی نصاری نجران المباهلة، فطلب زعماء النصاری من النبی صلی الله علیه و آله مهلة یوم واحد لیتشاوروا فی الأمر، فقال لهم حبرهم:

«انظروا محمّـداً فی غـدٍ فإن غـدا بولـده وأهله فاحذروا مباهلته، وإن غدا بأصـحابه فباهلوه فإنّه علی غیر شـیء فلما کان الغد جاء النبی صلی الله علیه و آله آخـذاً بید علی والحسن والحسـین بین یدیه یمشـیان وفاطمة تمشـی خلفه، وخرج النصاری یقدمهم أسـقفهم، فلما رأی النبی صـلی الله علیه و آله قـد أقبـل بمن معه سـأل عنهم فقیل له: هـذا ابن عمه وزوج ابنته وأحب الخلق إلیه، وهـذان ابنا بنته من علی علیه السـلام، وهذه الجاریة بنته فاطمة أعزّ الناس علیه وأقربهم إلی قلبه، وتقدم رسول اللَّه فجثا علی رکبتیه قال الأسقف جثا واللَّه کما جثا الأنبیاء للمباهلة، فرجع ولم

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۸۳

یقدم علی المباهلة، فقال الأسقف: یاأبا القاسم إنا لا نباهلک ولکن نصالحک» «۱».

وجاء هذا المضـمون أیضاً باختلافات طفیفة لا تضـر بأصل القضـیة فی الکثیر من التفاسـیر الاخری مثل تفسیر الفخر الرازی (ج ۸، ص ۱۰)؛ والقرطبی (ج ۲، ص ۱۳۴۶)؛ وروح البیان (ج ۲، ص ۴۴)؛ وروح المعانی (ج ۳، ص ۱۸۸)؛ والبحر المحیط (ج ۲، ص ۴۷۲)؛

وتفسير البيضاوى (ذيل آية البحث) وتفاسير آخرى

والآن لنرى كتب الحديث، ماذا تقول:

المباهلة فى أقوال المحدثين:

وردت روايات كثيرة تعد موثوقة ومعتبرة فى مصادر أهل السنّة ومصادر أهل البيت عليهم السلام حيث تفيد بصريح القول: إنّ آية المباهلة نزلت بحق على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. منها:

۱- روى فى صحيح مسلم فى كتاب «فضائل الصحابة» فى باب فضائل على بن أبى طالب عليه السلام عن سعد بن أبى وقاص أنّ معاوية قال لسعد: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ قال:

أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول اللّه صلى الله عليه و آله فلن أسبّهُ لئن تكون لى واحدة منها لكانت أحبّ الى من حمر النعم، ثم أخذ يذكر قصة حديث المنزلة فى (معركة تبوك) وقصة اعطاء الراية لعلى عليه السلام أبان معركة خيبر، ثم يضيف: ولما نزلت هذه الآية «قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم» دعا رسول اللّه صلى الله عليه و آله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللّهم هؤلاء أهلى «۲».

روى هذا الحديث جماعة آخرون من عظماء أهل السنّة مثل! الترمذى فى صحيحه «۳».

---

(۱) تفسير مجمع البيان، ج ۱ و ۲، ص ۴۵۲ مع شىء من الاختصار.

(۲) صحيح مسلم، ج ۴، ص ۱۸۷۱، ح ۳۲، الباب ۴.

(۳) صحيح الترمذى، ج ۵، ص ۶۳۸، ح ۳۷۳۲ (الباب ۲۱ باب مناقب على عليه السلام).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۸۴

فبعد نقله يضيف. يقول أبو عيسى إنّه حديث حسن وصحيح وغريب (لعل غرابته تكمن فى عدم اتفاقه مع حكمه المسبق الملىء بالتعصب).

وأحمد بن حنبل فى مسنده «۱».

والبيهقى فى السنن الكبرى «۲».

والسيوطى فى الدر المنثور «۳».

۲- وفى موضع آخر من صحيح الترمذى أيضاً نقل الحديث عن سعد بن أبى وقاص: إنّه لما نزلت آية المباهلة دعا النبى صلى الله عليه و آله علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وقال: اللّهم هؤلاء أهلى «۴».

والرواية نفسها نقلها الحاكم فى «مستدرك الصحيحين»، وأخيراً يقول: هذا حديث صحيح موافق لمعايير الشيخين «۵».

كما نقله البيهقى أيضاً فى السنن الكبرى «۶».

۳- يروى السيوطى فى «الدر المنثور» عن «الحاكم»، و «ابن مردويه» و «أبو نعيم» فى «الدلائل»، عن «جابر بن عبد اللّه الأنصارى»: لما عزم النبى صلى الله عليه و آله على مباهلة النصارى أخذ فى اليوم التالى بيد على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام واتى بهم إلى المباهله، لكنهم لم يباهلوا، ثم يضيف جابر: إنّ آية «تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ...» نزلت بحق هؤلاء «۷».

يقول السيوطى: هذا حديث صحيح لدى «الحاكم».

۴- ويروى عن ابن عباس فى كتاب الدر المنثور نفسه أنّ وفد نصارى نجران جاء إلى النبى صلى الله عليه و آله وبعد تفصيله لقصة المباهلة ورجوع نصارى نجران يضيف: كان هذا لما خرج النبى صلى الله عليه و آله وكان معه على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وقال لهم: إن دعوت أنا فأمنوا أنتم، فأبوا أن يلاعنوه وصالحوه على الجزية.

(۱) مسند أحمد بن حنبل، ج ۱، ص ۱۸۵.

(۲) السنن الکبری طبقاً لنقل الفضائل الخمسة، ح ۱، ص ۲۹۱.

(۳) تفسیر در المنثور، ذیل الآیة ۶۱ من سورة آل عمران.

(۴) صحیح الترمذی، ج ۵، ص ۲۲۵ (الباب ۴، ح ۲۹۹۹).

(۵) مستدرک الصحیحین، ج ۳، ص ۱۵۰.

(۶) السنن الکبری ج ۷، ص ۶۳.

(۷) تفسیر در المنثور، ج ۲ ص ۳۸ ذیل آیة البحث (مع الاختصار).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۸۵

۵- وفی نفس الکتاب یروی عن «ابن جریر» عن «العلباء بن أحمر الیشکری»، عندما «۱» نزلت آیة قل تعالوا ندعُ ابناءنا ... ودعا النبی صلی الله علیه و آله بعلی وفاطمة وابنیهما الحسن والحسین علیهم السلام واقترح علی المخالفین المباهلة فأبوا «۲».

۶- یروی العلّامة الطبری فی تفسیره وبسنده عن «زید بن علی» فی تفسیر هذه الآیة: کان النبی وعلی وفاطمة والحسن والحسین «۳».

۷- ویروی فی نفس الکتاب أیضاً بسنده عن السدیّ فی ذیل هذه الآیة: أخذ النبی بید الحسن والحسین وفاطمة وقال لعلی اتبعنا «۴».

۸- یقول العلّامة «أبو بکر الحصاص» وهو من علماء القرن الرابع الهجری فی کتاب «أحکام القرآن» فی تعبیر مفید بصدد المباهلة: أنّ رواة السیر ونَقلةَ الأثر لم یختلفوا فی أنّ النبی صلی الله علیه و آله أخذ بید الحسن والحسین وعلی وفاطمة علیهم السلام ودعا النصاری الذین حاجّوه إلی المباهلة «۵».

وعلی ضوء قول الجصاص فإنّ هذه القضیة محل إجماع واتفاق علماء الحدیث والتاریخ جمیعاً.

۹- یقول هذا العالم نفسه فی کتاب آخر تحت عنوان «معرفة علوم الحدیث» بعد ذکره لقصة المباهلة: قال الحاکم وقد تواترت الأخبار فی التفاسیر عن عبد اللّه بن عباس وغیره إنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله أخذ یوم المباهلة بید علیّ وحسنٍ وحسینٍ وجعلوا فاطمة وراءهم ثم قال:

هؤلاء أبناؤنا وأنفسنا ونساؤنا «۶».

هذا جانبٌ فقط من الروایات المتعلقة بقصة المباهلة ونزولها بحق هؤلاء، ومن الطبیعی أنّ اختلاف هذه الأحادیث فی بعض الجزئیات مثل إن کانت فاطمة مع النبی صلی الله علیه و آله أم أنّها

(۱) تفسیر در المنثور، ج ۲، ص ۳۹.

(۲) المصدر السابق.

(۳) تفسیر جامع البیان، ج ۳، ص ۱۹۲ (وفقاً لنقل احقاق الحق، ج ۳، ص ۴۷).

(۴) المصدر السابق.

(۵) أحکام القرآن للجصاص، ج ۳، ص ۱۴.

(۶) معرفة علوم الحدیث، ص ۵۰، (وفقاً لنقل احقاق الحق، ج ۳، ص ۴۸).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۸۶

جاءت خلفه، أم أنّ علیاً علیه السلام کان إلی جانب النبی صلی الله علیه و آله أم خلفه، لا- یترک أثراً علی أصل القضیة، لأنَّ ثمّة اختلاف فی نقل جزئیات وفروع ومتعلقات الکثیر من الوقائع التاریخیة المسلم بها، مثل معرکة بدر، وخیبر، والأحزاب، وفتح مکة، ومن

النادر أن نستطيع العثور على واقعةٍ تاريخية مهمّة تخلو من هذه الاختلافات فى مثل هذه الامور الثانوية.

على أيّة حال فالروايات المذكورة وبشهادة جماعة من عظماء أهل السنة كثيرةٌ ومشهورة بحيث وصلت إلى حدّ التواتر، مع هذا فإنّ من العجب أن يقول صاحب تفسير المنار فى ذيل هذه الآية: قال الاستاذ الإمام: الروايات متفقة على أنّ النبى صلى الله عليه و آله اختار للمباهلة علياً وفاطمة وولديهما ويحملون كلمة (نساءنا) على فاطمة، وكلمة (أنفسنا) على على عليه السلام فقط، ومصادر هذه الروايات الشيعة! ومقصدهم منها معروفٌ «۱».

وإنّه لمدهشٌ حقاً، فعندما تتركز قاعدة الحكم المسبق والتعصبات الطائفية يتفوه عالم معروفٌ كمؤلف كتاب المنار بكلام لا يخفى خواؤه على أحد، هل أنّ «صحيح مسلم وصحيح الترمذى ومسند أحمد من مصادر الشيعة؟ وهل أنّ علماء الشيعة كتبوا سنن البيهقى، والدر المنثور للسيوطى، وأحكام القرآن للجصاص، وتفسير الطبرى، ومستدرك الحاكم»؟

إنّ خطأً بهذا المستوى لا يحصل إلّانتيجة لحجاب التعصب.

فمن ناحية يقول الموما إليه: إنّ الروايات التى نقلت هذا الحديث «متفقٌ عليها» ومن ناحية اخرى يضعها موضع التشكيك.

فاذا كانت كتب مثل صحيح مسلم، والترمذى، ومسند أحمد، وما شابهها بحيث يستطيع الشيعة وضع روايات ودسّها فيها بحيث تغدو متواترة، فاى قيمة تبقى لهذه الكتب؟ وكيف يتسنى قبول ولو حديثٍ واحدٍ منها؟

وفى واقع الأمر أنّ مؤلف المنار بكلامه هذا أفقد اعتبار المصادر المعروفة لأهل السنّة، وسلب منها قيمتها بالكامل، نعم فهو أراد التنكر لفضيلة على وفاطمة وابنيهما عليهم السلام بَيدَ أنّه

---

(۱) تفسير المنار، ج ۳، ص ۳۲۲.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۸۷

وجَه ضربة قاصمة لأصل المذهب السنّى!.

والكلام الوحيد الذى يبقى هنا هو الشبهة التى آثارها المنار وآخرون بصدد «ضمائر الجمع» الموجودة فى الآية، وسنتطرق إليه فيما بعد بشكل مفصل.

أهميّة المباهلة:

إنَّ أول أمر يثير الاهتمام فى هذه الآية هو إمكانية طرح قضية المباهلة على أنّها دليلٌ جليٌ على حقانية وصدق النبى صلى الله عليه و آله فى مسألة ادّعائه للرسالة، لأنّه من المتعذر على الذى لا يملك إيماناً جازماً بصلته بالبارى عزوجل أن يدخل مثل هذا الميدان، أى ليدعو معارضيه أن تعالوا ندعو اللَّه أن يفضح الكاذب، وأنا اعطى عهداً على أنّ دعائى على أعدائى سيحصل بشكل عملى، وسترون نتيجة ذلك!

ومن المسلَّم به أنّ دخول مثل هذا الميدان خطير للغاية، فلو لم يُستَجب الدعاء ولا- يظهر أثرٌ من عقاب الخصوم، فلا تكون هناك نتيجة سوى فشل الداعى، وأى إنسان عاقل لا يدخل هذا الميدان مالم يطمئن إلى النتيجة.

من هنا نقرأ فى الروايات الإسلامية: لما حضر النبى صلى الله عليه و آله إلى المباهلة استمهله نصارى نجران ليفكروا فى الأمر، وعندما رأوا أنّ النبى صلى الله عليه و آله اصطحب معه الأشخاص الذين يمكن أن تستجاب دعوتهم، وحضر إلى المباهلة بعيداً عن المراسيم والضجيج، اعتبروا ذلك دليلًا آخر على صدق دعوته فانصرفوا عن المباهلة، لئلا يصيبهم العذاب الإلهى.

فعندما رأوا أنّ النبى صلى الله عليه و آله جاء بنفر قليل من خاصته وحامته وابنائه الصغار وابنته فاطمة عليها السلام، اضطربوا وذعروا وأبوا المباهلة.

ومن جهة أخرى فانَّ هذه الآية سنداً واضحٌ على المقام الشامخ لآل النبى صلى الله عليه و آله، على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، لأنّ الآية فيها ثلاث كلمات، «أنفسنا، ونساءَنا، وأبناءنا»، ولا شك فى أنّ المراد من «أبنائنا» الإمام الحسن والحسين عليه السلام ولا اعتراض فى ذلك أبداً، ولا تنطبق كلمة «نساءنا» على أحدٍ سوى فاطمة عليها السلام، وأمّا كلمة «أنفسنا» فمن

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۸۸

المتيقن بأنّها ليست إشارة إلى شخص النبى صلى الله عليه و آله، لأنَّ الآية تقول:

ندعُ ... وأنفسنا، فإن كان المراد هو النبىّ صلى الله عليه و آله، فإنّ دعوة الإنسان لنفسه لا معنى لها، بناء على ذلك فلا يبقى سبيل إلّاأنّ نقول: أنّ المراد هو على عليه السلام فحسب.

والملفت للنظر هو أنّ «الفخر الرازى» ينقل فى ذيل هذه الآية عن «محمود بن الحسن الحمصى» وهو من علماء الشيعة، أنّه يثبّت من خلال هذه الآية أنّ علياً أفضل من الأنبياء والصحابة أجمعين بعد النبىّ صلى الله عليه و آله. فيقول: ليس المراد بقوله (وأنفسنا) نفس محمّد صلى الله عليه و آله لأنّ الإنسان لا يدعو نفسه بل المراد به غيره، وأجمعوا على أنّ ذلك الغير كان علياً عليه السلام فدلّت الآية على أنّ نفس على هى نفس محمّد صلى الله عليه و آله، ولا يمكن أن يكون المراد منه أنّ هذه النفس هى عين تلك النفس، فالمراد أنّ هذه النفس مثل تلك النفس، وذلك يقتضى الاستواء فى جميع الوجوه ....

ثمّ الإجماع دل على أنّ محمداً صلى الله عليه و آله كان أفضل من سائر الأنبياء عليهم السلام فيلزم أن يكون على أفضل من سائر الأنبياء عليهم السلام فهذا وجه الاستدلال بظاهر هذه الآية، ثمّ قال: ويؤيد الاستدلال بهذه الآية الحديث المقبول عند الموافق والمخالف هو قوله عليه السلام: «مَنْ أراد أن يرى آدم فى علمه، ونوحاً فى طاعته، وإبراهيم فى خلته، وموسى فى هيبته، وعيسى فى صفوته، فلينظر إلى على بن أبى طالب عليه السلام».

ثمّ يضيف قائلًا: (وأمّا سائر الشيعة فقد كانوا قديماً وحديثاً يستدلون بهذه الآية على أنّ علياً (رضى اللَّه عنه) أفضل من سائر الصحابة، وذلك لأنّ الآية لما دلت على أنّ نفس على (رضى اللَّه عنه) مثل نفس محمّد صلى الله عليه و آله إلّافيما خصّه الدليل وكان نفس محمّد أفضل من الصحابة (رضوان اللَّه عليهم) فوجب أن يكون نفس على أفضل أيضاً من سائر الصحابة) «۱».

وبعد ايراده لهذا الدليل يمر الفخر الرازى مر الكرام ويكتفى فى الجواب قائلًا: (إنّه كما انعقد الإجماع بين المسلمين على أنّ محمّداً صلى الله عليه و آله أفضل من على، فكذلك انعقد الإجماع بينهم قبل ظهور هذا الإنسان، على أنّ النبىّ أفضل ممن ليس بنبىّ واجمعوا على أنّ علياً

---

(۱) التفسير الكبير، ج ۸، ص ۸۱.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۸۹

(رضى اللَّه عنه) ما كان نبيّاً، فلزم القطع بأنّ ظاهر الآية كما أنّه مخصوص فى حقّ محمّد صلى الله عليه و آله، فكذلك مخصوص فى حقّ سائر الأنبياء عليهم السلام) «۱».

تمعّنوا جيداً فى كلام «الفخر الرازى» تجدوا بأنّه فى واقع الأمر لا يمتلك جواباً لذلك الاستدلال القوى والمتين، وكأنّه يريد الكلام لملء الفراغ فحسب، وإلّا فالقول بأفضلية كل نبى من الأنبياء على من هو غير نبى ليس محل جدالٍ، لأنّ أفضلية جميع أنبياء اللَّه على غيرهم مسلّم بها فى الوحى فقط، وأمّا فى غير الوحى فربّما يكون هناك عظماء أفضل من الأنبياء جميعاً ما عدا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، ولو غضضنا النظر عن هذا فإنّ الكلام حول أفضلية على على سائر الامّة، وهذا الأمر لايحتاج إلى إثبات أفضليته عليه السلام على سائر الأنبياء (تأملوا جيداً).

على أيّة حال، فالفضيلة التى تستنتج من هذه الآية والروايات المتواترة التى جاءت تعقيباً عليها تستطيع توضيح قضية خلافة النبىّ صلى

الله عليه و آله لأنّ اللّه تعالى يأبى أن يكون الأفضل مأموماً وغير الأفضل إماماً، وأن يكون الذى هو كنفس النبيّ صلى الله عليه و آله تابعاً، ومن سواه الذى يليه فى المرتبة متبوعاً!!

وفى هذه القضية لا فرق فى أن نرى الإمامة مشروطة بتعيين إلهى- كما نعتقد نحن أو عن طريق انتخاب الامّة، كما يعتقد أبناء السنّة، لأنّه فى الحالة الاولى من المحال أن يقدم اللّه تعالى «المفضول» على «الأفضل»، وفى الحالة الثانية لا ينبغى للُامّة أن تقدم على فعل يخالف الحكمة، ولن يكون مقبولًا ومرضياً فيما أقدمت عليه.

مؤاخذاتهم على آية المباهلة:

المؤاخذة المعروفة التى أثارها صاحب المنار والآخرون بصدد نزول الآية بحق أهل البيت عليهم السلام، وهى: كيف يتسنى أن يكون المراد من «أبناءنا» الحسن والحسين عليهما السلام والحال إنّ كلمة «أبناء» جمعٌ ولا يطلق الجمع على المثنى؟ وأيضاً: كيف يمكن اطلاق كلمة

---

(۱) تفسير الكبير، ج ۸، ص ۸۱.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۹۰

«نساءنا» وهى تفيد الجمع، على السيدة فاطمة عليها السلام فقط؟

وكذا كيف يمكن أن يكون المراد من «أنفسنا» علياً وحده؟ إذ إنّ «انفسنا» صيغة جمع أيضاً، وعلى عليه السلام كان واحداً.

الجواب:

فى الرد على هذا السؤال نلفت انتباهكم إلى عدّة امور:

۱- كما ذكر بالتفصيل فيما سبق فقد وصلتنا روايات كثيرة فى العديد من المصادر الإسلامية المعتبرة والمعروفة سواء من الشيعة أو السنّة بصدد نزول هذه الآية بشأن أهل البيت، حيث صرّح فيها أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله لم يصطحب معه إلى المباهلة غير على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وهذا بذاته سيكون قرينة واضحة لتفسير الآية، فإننا نعلم أنّ من بين القرائن التى تفسّر آيات القرآن هى (السنّة وسبب النزول القطعى).

على هذا الأساس، فالمؤاخذة المذكورة لا تثير اهتمام الشيعة فحسب، بل يجب على علماء الإسلام جميعاً الرد عليها.

۲- إنّ اطلاق (صيغة الجمع- على «المفرد» أو «المثنى») ليس أمراً مستجداً، وكثيراً ما يشاهد هذا المعنى فى القرآن وغيره من الأدب العربى وغير العربى.

وتوضيح ذلك هو: كثيراً ما يحصل عند تفصيل قانون ما، أو تنظيم وثيقة ما، ايراد الحكم بصيغة العموم أو الجمع، فمثلًا يدوّنون فى الوثيقة أنّ: المسؤول على تنفيذها هم الموقّعون عليها وأبناؤهم، بينما ربّما يكون لأحد طرفيها ولدٌ واحدٌ أو ولَدَان، فهذا الموضوع لا يتعارض أبداً مع تنظيم القانون أو الوثيقة بصيغة «الجمع».

خلاصة الأمر لدينا مرحلتان: «مرحلة ابرام العقد»، و «مرحلة التنفيذ».

ففى مرحلة ابرام العقد تذكر الألفاظ بصيغة الجمع لكى تنطبق على كافة المصاديق، أمّا فى مرحلة التنفيذ فربّما ينحصر المصداق بشخص واحد، وهذا الحصر فى المصداق لا يتعارض وعمومية القضية.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۹۱

وبعبارة اخرى فقد كان النبيّ صلى الله عليه و آله مكلّفاً على ضوء العهد الذى كان أبرمه مع نصارى نجران أن يصطحب معه أبناءه ونساءه والذين هم بمنزلة نفسه جميعاً إلى المباهلة، ولكن لم يكن مصداقاً لهؤلاء سوى ابنين وامرأة واحدة ورجل واحد.

وفى القرآن الكريم لدينا موارد اخرى عديدة بأنّ تأتى العبارة بصيغة الجمع إلّاأنّ مصداقها يختص بشخص واحد لسبب ما، مثل الآية: «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوهُمْ». (آل عمران/ ۱۷۳)

فالمراد فى كلمة الناس فى هذه الآية وعلى ضوء تصريح فريق من المفسّرين هو «نعيم بن مسعود» الذى كان قد أخذ الأموال من «أبى سفيان» لِيُرْعِبَ المسلمين من قوّة المشركين!

كما نقرأ فى الآية: «لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ انَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحنُ أَغْنِيَآءُ».

(آل عمران/ ۱۸۱)

فالمراد من «الذين» فى الآية وبناءً على ما صرّح به بعض المفسّرين هو «حى بن اخطب» أو «الفنحاص»، وأحياناً يشاهد اطلاق كلمة الجمع على المفرد أيضاً من باب الإكبار، كما نقرأ بشأن إبراهيم: «إِنَّ إِبرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ». (النحل/ ۱۲۰)

فهنا اطلقت كلمة «امّة» وهى جمع على شخص واحد (وكان لنا بحث مفصّل أيضاً بهذا الصدد).

۳- يُستفاد من آية المباهلة أيضاً أن يقال لأبناء البنت «ابن» على العكس ممّا كان شائعاً فى الجاهلية حيث كانوا يعتبرون أبناء الابن فقط أبناءهم، وكانوا يقولون:

بنونا بنو أبنائنا، وبناتنابنوهنّ أبناء الرجال الأباعدِ

فهذا النمط من التفكير كان وليداً لتلك السنّة الخاطئة حيث إنّهم لم يكونوا يرون أنّ الانثى عضواً رئيساً فى المجتمع البشرى، ويعدونهن أوعية لحمل الأولاد فقط.

كما يقول شاعرهم:

وإنّما امهات الناس أوعيةمستودعاتٌ وللانساب آباءُ

بيدَ أنّ الإسلام قضى على هذا النمط من التفكير قضاءً مبرماً واجرى حكم الابن على

أبناء الولد والبنت على حدّ سواء.

ونقرأ فى القرآن الكريم بشأن أبناء إبراهيم: «وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيمنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهرُونَ وَكَذَلِكَ نَجزِى الُمحسِنِينَ* وَزَكَرِيَّا وَيَحيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصلِحِينَ». (الأنعام/ ۸۵- ۸۴)

ففى هذه الآية عدّ المسيح من أبناء إبراهيم والحال أنّه كان ابن من البنت.

وفى الروايات الواردة عن طرق الشيعة والسنّة بحقّ الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام كثيراً ما يلاحظ تكرار اطلاق كلمة «ابن رسول اللَّه».

ونقرأ فى الآيات المتعلقة بالنساء اللواتى يحرّم الزواج منهن: «وحلائل أبنائكم ...»، فهذه المسألة من المسلّم بها بين فقهاء الإسلام حيث إنّ زوجات الأبناء والأحفاد أولاداً كانوا أم بنات محرمات على الشخص ومشمولات بالآية أعلاه.

ومن الامور الجديرة بالاهتمام بشأن آية المباهلة ما ورد فى الرواية المشهورة أنّ المأمون العباسى سأل الإمام علياً بن موسى الرضا عليه السلام: ما الدليل على خلافة جدك على بن أبى طالب؟ قال: «آية انفسنا»، قال: «لولا نسائنا» قال: «لولا أبنائنا».

يقول العلّامة الطباطبائى فى تفسير هذه الجمل القصيرة:

«آية «أنفسنا» يريد أن اللَّه جعل نفس على عليه السلام كنفس نبيّه صلى الله عليه و آله، وقوله: لولا نسائنا.

معناه: أنّ كلمة نسائنا فى الآية دليل على أنّ المراد بالأنفس الرجال فلا فضيلة فيه حينئذٍ، وقوله: لولا أبنائنا، معناه: أنّ وجود أبنائنا فيها

يدل على خلافه، فإنّ المراد بالأنفس لو كان هو الرجال لم يكن مورداً لذكر الأبناء» «۱» (تأملوا جيداً).

ونُقلت هذه الحادثة فى بحار الأنوار بنحو آخر، والظاهر أنّ السؤال وجواب الإمام الرضا عليه السلام عنه كان فى موضع آخر، تقول هذه الرواية: قال المأمون يوماً للرضا عليه السلام: أخبرنى بأكبر فضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام يدل عليها القرآن، فقال له الرضا عليه السلام: «فضيلة فى المباهلة، قال اللَّه تعالى «فمن حاجك فيه ...» الآية، فدعا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الحسن والحسين عليهم السلام فكانا

---

(۱) تفسير الميزان، ج ۳، ص ۲۳۰- ذيل آية المباهلة.

ابنيه، ودعا فاطمة عليها السلام فكانت فى هذا الموضع نساءَه، ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فكان نفسه بحكم اللَّه عزّ وجلّ، فقد ثبت أنّه ليس أحد من خلق اللَّه تعالى أجلَّ من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأفضل فوجب أن لا يكون أحد أفضل من نفس رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بحكم اللَّه تعالى ...».

فقال له المأمون: هل بالإمكان أن يذكر الدعاء لمن هو نفسه، ويكون المراد نفسه فى الحقيقة دون غيره فلا يكون لأمير المؤمنين عليه السلام ما ذكرت من الفضل؟ قال عليه السلام: «ليس يصحّ ما ذكرت، وذلك أنّ الداعى إنّما يكون داعياً لغيره، كما أنّ الآمر آمر لغيره، لم يدع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله رجلًا فى المباهلة إلّاأمير المؤمنين عليه السلام فقد ثبت أنّه نفسه التى عناها اللَّه سبحانه فى كتابه وجعل حكمة ذلك فى تنزيله» «۱».

---

(۱) بحارالأنوار، ج ۱۰، ص ۳۵۰، مع الاختصار.

۲- آية خير البرية

«انَّ الَّذِينَ آمَنوُا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ* جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجرِى مِنْ تَحتِهَا الانهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ابَداً رَّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُ». (البيّنة/ ۷- ۸)

فى هذه الآيات وما قبلها ذكر اللَّه تعالى «خير» و «شر» مخلوقاته، فهو يصف الكفار والمشركين وأهل الكتاب الذين يفكّرون بإطفاء نور اللَّه من خلال مختلف الدسائس والمؤامرات، وهم ضالون ويجرّون الآخرين نحو الضلالة، بأنّهم شر البرية «۱»، وفى المقابل وصف المؤمنين الذين اكتشفوا طريق الحقّ فى ظل إيمانهم وكانوا ولا زالوا مصدراً للأعمال الصالحة، فبالاضافة إلى أنّهم مهتدون فهم نبراس هداية الآخرين، على أنّهم «خير البرية».

صحيح أنّ مفهوم الآية واسع وشامل، ولا يختص بشخص أو أشخاص معينين، ولكن تمت الإشارة فى العديد من الروايات الإسلامية التى جاءت فى مصادر الحديث لأهل السنّة والشيعة، إلى أشخاص يقفون فى طليعة (خير البرية) وأفضل مخلوقات اللَّه.

إنّ التمعن فى مضمون هذه الروايات بإمكانه ايضاح الكثير من الحقائق التى يلفها الغموض لحد الآن بالنسبة للبعض. وأن يكون رداً على الكثير من الأباطيل النابعة عن الجهل.

---

(۱) «البرية» من مادة «برء» وتعنى الخلق، لذا يقال للَّه تعالى «البارى» بمعنى «الخالق» والمخلوقات برية، وقال البعض، إنّ «البرية» من «البرى» وتعنى «التراب» وبما أنّ المخلوقات برئت من التراب فيقال لها «برية»، وقال البعض أيضاً، إنّ «البرية» أخذت من «بريت القلم»

ونظراً إلى أنّ المخلوقات تأتى إلى الوجود بأمر اللَّه على أشكال مختلفة من حيث الهيئة والقامة كأنّهم يشبهون الأقلام المبراة فى مصنع الخلق فيقال لها «برية» (يراجع تفسير القرطبى، ج ۱۰، ص ۷۲۳۵؛ ومفردات الراغب وسائر كتب اللغة).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۹۶

وهنا نلفت انتباه القراء إلى جانب من هذه الروايات:

۱- يروى المفسر المعروف «السيوطى» فى الدر المنثور عن «ابن عساكر» عن «جابر بن عبد اللَّه» فى ذيل هذه الآية: كنّا عند رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وإذا بعلى قادم نحونا، ولمّا وقعت عين رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عليه، قال: «والذى نفسى بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، ونزلت «إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية»، فكان أصحاب النبى صلى الله عليه و آله إذا أقبل على عليه السلام قالوا: جاءَ خَيرُ البَرِيّة» «۱».

وجاءت هذه الرواية بنفس المضمون، فى «شواهد التنزيل» للحاكم الحسكانى «۲».

۲- ونقرأ فى رواية اخرى عن ابن عباس: لما نزلت آية: «إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية»، قال النبىّ صلى الله عليه و آله لعلى عليه السلام: «هو أنت وشيعتك، تأتى أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ويأتى عدوّك غضباناً مقمحين» «۳».

۳- جاء فى رواية اخرى عن «أبو بريدة»: لمّا قرأ النبىّ صلى الله عليه و آله هذه الآية، التفت إلى على عليه السلام وقال: «هم أنت وشيعتك يا على وميعاد ما بينى وبينك الحوض» «۴».

۴- جاء فى تفسير الدر المنثور أنّ ابن مردويه يروى عن على عليه السلام أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله قال لى:

«ألم تسمع قول اللَّه إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية، أنت وشيعتك وموعدى وموعدكم الحوض إذا جِئْتُ الامَمُ للحِسابِ تُدَعَوْنَ غُراً محَجَلينَ» «۵».

۵- كما ورد فى «شواهد التنزيل»: إن «عطية الكوفى» يقول: دخلنا على «جابر بن عبد اللَّه الأنصارى» وقد سقط حاجباه على عينيه من الكبر فقلنا له: اخبرنا عن على، فرفع حاجبيه بيده ثم قال: «ذاك من خير البريَّة» «۶».

---

(۱) تفسير در المنثور، ج ۶، ص ۳۷۹.

(۲) شواهد التنزيل، ج ۲، ح ۱۱۳۹.

(۳) شواهد التنزيل، ج ۲، ص ۳۵۷، ح ۱۱۲۶؛ ونفس المضمون أورده ابن حجر فى الصواعق، ص ۹۶؛ والشبلنجى فى نور الابصار، ص ۷۰ و ۱۰۱ أيضاً.

(۴) المصدر السابق، ص ۳۵۹، ح ۱۱۳۰.

(۵) تفسير در المنثور، ج ۶، ص ۳۷۹.

(۶) شواهد التنزيل، ج ۲، ص ۳۶۴، ح ۱۱۴۲.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۹۷

۶- يروى الكنجى الشافعى فى كفاية الطالب عن عطاء: سألت عائشة عن على عليه السلام فقالت: «ذاك خير البشر لايشك فيه إلّاكافر» «۱».

ونُقل فى نفس الكتاب أيضاً عن «حذيفة» أنّه قال: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: «على خير البشر، من أبى فقد كفر» «۲».

بديهى أنّ هذه التعابير جميعها ناظرة إلى شخص على عليه السلام بعد النبىّ صلى الله عليه و آله، أى أنّه أفضل الناس بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

والملفت للانتباه أن الآلوسى المفسر السنّى المعروف الذى يمتاز بتشدد خاص فى الروايات الخاصة بفضائل على عليه السلام (وطالما أشرنا إلى نماذج من ذلك فى هذا الكتاب) وبعد بيانه لجانب مهم من الروايات الواردة عن النبىّ صلى الله عليه و آله فى ذيل هذه الآية، يقول: «ليس معنى هذه الروايات أنّ هذه الآية تخص علياً عليه السلام وشيعته، وإن كانوا داخلين فى هذه الآية ويقفون فى الصفوف الاولى بلا ريب.

ثمّ يقول: إنّ الإمامية وإن كانوا يعتبرون علياً عليه السلام أفضل من الأنبياء والملائكة، إلّاأنّهم يفضلون النبىّ صلى الله عليه و آله عليه».

وخلاصة القول: إنّ جماعة كثيرة نقلت الروايات المتعلقة ب «خير البرية» فى المصادر الإسلامية المعروفة، وهى من أجلى الأدلة على افضلية على عليه السلام على كافة المسلمين والصحابة بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

هذا فى الوقت الذى ركز أعداء على عليه السلام وبسبب عدائهم له أبان عهد بنى امية الأسود على كتمان فضائله، وَكَتَمَ شيعتُهُ فضائله بسبب خوفهم من أولئك المجرمين، إلّاأنّ هذه الفضائل العظمى قد تجاوزت جميع هذه الحقب، وبعد كل هذه القرون والاعصار وصلت إلينا بأُعجوبة، وهذا لم يتحقق إلّابااللطف الإلهىّ.

على أىّ حال، يستفاد من هذه الروايات بالإضافة إلى الآية الشريفة أمران هما:

---

(۱) ۱. كفاية الطالب، ص ۱۱۸، طبعة الغرى (على ضوء نقل احقاق الحق، ج ۳، ص ۲۸۸).

(۲) المصدر السابق.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۹۸

۱- أفضلية على عليه السلام على جميع أصحاب النبىّ صلى الله عليه و آله، وحيث إنّ تقديم غير الأفضل على الأفضل فعل قبيح وغير مقبول، فلا يمكن تقديم غيره عليه، وعليه يجب أن يكون هو أول خليفة لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله، سواء كان التنصيب من اللَّه- كما تعتقد الشيعة- أم من قبل الامّة حيث تعتقد به طائفة اخرى

۲- الأمر الآخر الذى نحصل عليه من هذه الروايات العديدة هو أن تسمية اتباع على عليه السلام ب «الشيعة» أمر ورد على لسان النبىّ صلى الله عليه و آله مراراً، والذين يعلنون عداءهم لهذه الصفة، ويتنفرون منها، وأحياناً يتخذون «الشين» فيها دليلًا على «الشؤم» و «الشر» هم فى الواقع قد انبروا إلى معارضة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ويعربون عن انزعاجهم لكلامه والعياذ باللَّه، ومن المسلّم به أنّ فعلهم صعب جدّاً فيما لو صرحوا بكلامهم هذا علانية، أليس الأفضل أن نقول:

«إنّهم كانوا يجهلون هذه الروايات الواردة عن النبىّ صلى الله عليه و آله؟».

نعم، فلقب الشيعة لا يثير الازعاج، إنّه تاج فخر وضعه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على رؤوس أتباع مذهب على عليه السلام، طبقاً للكثير من الروايات، نسأل اللَّه أن نكون أهلًا لهذا الفخر.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۱۹۹

۳- آية ليلة المبيت

نقرأ فى الآية: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشرِى نَفْسَهُ ابتغَاءَ مَرضاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالعِبَادِ». (البقرة/ ۲۰۷)

وردت روايات كثيرة فى المصادر الإسلامية المعروفة فى شأن نزول هذه الآية منها:

۱- ينقل المفسر السنّى المعروف «الثعلبى» فى تفسيره فى شأن نزول هذه الآية مايلى:

«لما عزم النبى صلى الله عليه و آله على الهجرة إلى المدينة، ترك علىّ بن أبى طالب عليه السلام فى مكّة ليؤدّى الديون التى عليه والأمانات إلى اهلها، وأمرهُ ليلة خرج إلى الغار وقد احاط المشركون بالدار، أن ينام فى فراشه صلى الله عليه و آله وقال له: اتشح

ببردی الأخضر، ونم علی فراشی فانّه لا یصل منهم إلیک مکروه إن شاء اللّه، ففعل ذلک علی علیه السلام فأوحی اللّه تعالی إلی جبرئیل ومیکائیل إنّی آخیت بینکما وجعلت عمر أحدکما أطول من الآخر، فأیّکما یؤثر صاحبه بالحیاة، فاختار کلاهما الحیاة فأوحی اللّه تعالی إلیهما: أفلا کنتما مثل علی؟ آخیت بینه وبین محمّد فبات علی فراشه یفدیه بنفسه ویؤثره بالحیاة، إهبطا إلی الأرض فاحفظاه من عدوّه، فنزلا فکان جبرائیل عند رأسه ومیکائیل عند رجلیه وجبرائیل ینادی بخ بخ من مثلک یا علی بن أبی طالب یباهی اللّه تبارک وتعالی بک الملائکة فأنزل اللّه علی رسوله صلی الله علیه و آله وهو متوجه إلی المدینة فی شأن علی علیه السلام: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ یَشرِی نَفْسَهُ ابتغَاءَ مَرضاتِ اللَّهِ»».

وقد نقل روایة الثعلبی هذه وبنفس التفصیل کل من الغزالی فی إحیاء العلوم (ج ۳، ص ۲۳۸) والکنجی فی کفایة الطالب (ص ۱۱۴) ... وابن الصباغ المالکی فی «الفصول المهمّة» (ص ۳۳) و «السبط بن الجوزی الحنفی» فی «تذکرة الخواص» (ص ۲۱) و «الشبلنجی» فی «نور الابصار» (ص ۸۲) «۱».

---

(۱) الغدیر، ج ۲، ص ۴۸.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۰۰

نفحات القرآن ج۹ ۲۴۹

۲- ویروی الحاکم الحسکانی فی «شواهد التنزیل» عن «أبو سعید الخدری» هذا المضمون بشیء من التفاوت «۱».

۳- وفی نفس الکتاب «شواهد التنزیل» یروی عن ابن عباس أنّ علیاً علیه السلام کان أول من آمن برسول اللّه صلی الله علیه و آله بعد خدیجة وارتدی رداءه وبات فی فراشه ... (لکنه لم یشر إلی الآیة الشریفة فی هذه الروایة) «۲».

۴- وفی نفس الکتاب أیضاً یروی هذا المعنی عن «عبد اللّه بن سلیمان» (وفی نسخة عن عبد اللّه بن عباس) قال: «أنام رسول اللّه صلی الله علیه و آله علیاً علی فراشه لیلة انطلق إلی الغار، فجاء أبو بکر یطلب رسول اللّه فأخبره علی أنّه قد انطلق، فأتبعه أبو بکر وباتت قریش تنظر علیاً وجعلوا یرمونه، فلما أصبحوا إذا هم بعلی، فقالوا: أین محمّد؟ قال: لا علم لی به، فقالوا: قد أنکرنا تضورک کنّا نرمی محمّداً فلا یتضور وأنت تتضور، وفیه نزلت هذه الآیة: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ یَشرِی نَفْسَهُ ابتغَاءَ مَرضاةِاللَّهِ» «۳».

۵- یروی الحاکم النیسابوری فی کتابه المعروف «مستدرک الصحیحین» عن ابن عباس أنّ علیاً علیه السلام باع نفسه للّه، وارتدی ثوب النبیّ صلی الله علیه و آله وبات فی فراشه ... وفی نهایة هذه الروایة یقول: هذا الحدیث صحیح الاسناد ولم یخرجاه «۴».

۶- فی نفس الکتاب یروی عن «حکیم بن جبیر» عن «علی بن الحسین علیه السلام: «إنّ أول من شری نفسه ابتغاء مرضاة اللّه علی بن أبی طالب علیه السلام» «۵».

ثمّ یضیف: لما أراد علی علیه السلام المبیت فی فراش رسول اللّه صلی الله علیه و آله، کان یردد هذه الأبیات:

وقیتُ بنفسی خیر منْ وطیء الحصیومن طاف بالبیت العتیق وبالحجر

رسول إله خاف أن یمکروا بهفنجاه ذو الطول الإله من المکر

---

(۱) شواهد التنزیل، ج ۱، ص ۱۹۶، ح ۱۳۳.

(۲) المصدر السابق، ص ۹۸.

(۳) شواهد التنزیل، ج ۱، ص ۱۰۰.

(۴) مستدرک الصحیحین، ج ۳، ص ۴.

(۵) المصدر السابق.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۰۱ وبات رسول اللّه فی الغار آمناًموقی وفی حفظ الإله وفی ستر

وبتُّ اراعیهم ولم یتهموننیوقد وطنت نفسی علی القتل والأسر «۱»

وجاءت هذه الأبیات التی تعبّرُ عن التضحیة والإیثار وفخر علی علیه السلام بهذا الأمر، فی کتب اخری أیضاً.

۷- یقول «الطبری» المؤرخ المعروف بشأن هجرة النبیّ صلی الله علیه و آله واحاطة المشرکین بداره صلی الله علیه و آله: ثم جعلوا یطلّعون فیرون علیاً علی الفراش متسجیاً ببرد رسول اللّه صلی الله علیه و آله فیقولون:

«واللّه إنّ هذا لمحمد نائم علیه بُردُه فلم یبرحوا کذلک حتی أصبحوا فقام علی عن الفراش فقالوا: واللّه لقد صدقنا الذی حدثنا فکان ممّا نزل فی ذلک الیوم وما کانوا أجمعوا له: «وَإِذْ یَمْکُرُ بِکَ الَّذِینَ کَفَرُوا لِیُثْبِتُوکَ أَوْ یَقْتُلُوکَ أَوْ یُخرِجُوکَ وَیَمْکُرُونَ ....»» «۲». (الانفال/ ۳۰)

۸- یروی «ابن الأثیر» فی «اسد الغابة» فی فضائل علی علیه السلام: «لما أراد النبیّ صلی الله علیه و آله الهجرة، خلَّف علیَّ بن أبی طالب بمکة لقضاء دیونه ورد الودائع التی کانت عنده، وأمره لیلة خرج من الغار وقد أحاط به المشرکون بالدار أن ینام علی فراشه وقال: إِتَّشِحْ ببردی الحضرمی- وبعدها نقل قصة لیلة المبیت وما أوحی اللّه إلی جبرائیل ومیکائیل .. ثمّ قال:

فأنزل اللّه عزّ وجلّ علی رسوله وهو متوجه إلی المدینة فی شأن علی: «وَمِنَ النَّاس مَن یَشرِی نَفْسَهُ ابتغَاءَ مَرضَاتِ اللَّهِ»» «۳».

۹- یروی «أحمد بن حنبل» أحد أئمّة أهل السنّة الأربعة فی مسنده وهو من المصادر الإسلامیة المشهورة، عن ابن عباس فی تفسیر الآیة: «وَإِذْ یَمْکُرُ بِکَ الَّذِینَ کَفَرُوا لِیُثْبِتُوکَ أَوْ یَقْتُلُوکَ أَوْ یُخرِجُوکَ وَیَمْکُرُونَ ....» قال: تشاورت قریش لیلة بمکة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأَثبتوه بالوثائق- یریدون النبیّ صلی الله علیه و آله وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أَخرجوه، فأَطلَع اللّه نبیّه صلی الله علیه و آله علی ذلک فبات علی علیه السلام علی فراش النبیّ صلی الله علیه و آله وخرج النبیّ صلی الله علیه و آله حتی لحق بالغار» «۴».

---

(۱) مستدرک الصحیحین: ج ۳، ص ۴.

(۲) تاریخ الطبری، ج ۲، ص ۱۰۰.

(۳) اسد الغابة، ج ۴، ص ۲۵.

(۴) مسند أحمد، ج ۱، ص ۳۴۸.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۰۲

ولم یشر الإمام أحمد إلی آیة: «وَمِنَ النَّاس مَن یَشرِی نَفْسَهُ ...»، إلّاأنّه یتحدث عن آیة: «وَإِذْ یَمْکُرُ بِکَ الَّذِینَ کَفَرُوا ...» التی وردت فی واقعة لیلة المبیت أیضاً.

ولا تنحصر الروایات بما قیل: بل هناک روایات کثیرة اخری رویت فی المصادر المعروفة بهذا الصدد، وللمزید من الاطلاع بإمکانکم مراجعة کتب: احقاق الحق «۱»، وشواهد التنزیل «۲»، وفضائل الخمسة «۳»، والغدیر «۴»، وتفسیر البرهان «۵».

---

(۱) شواهد التنزیل، ج ۱، ص ۹۶ وما بعدها.

(۲) فضائل الخمسة، ج ۲، ص ۳۴۵ وما بعدها.

(۳) الغدیر، ج ۲، ص ۴۹ و مابعدها.

(۴) الغدیر، ج ۲، ص ۴۹ و مابعدها.

(۵) تفسیر البرهان، ج ۱، ص ۲۰۶- ۲۰۷.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۰۳

۴- آية الحكمة

«يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً». (البقرة/ ۲۶۹)

يروى الحاكم الحسكانى فى «شواهد التنزيل» عن «الربيع بن الخيثم» أنّهم ذكروا عنده علياً، فقال: لم أرهم يجدون عليه فى حكمه واللَّه تعالى يقول: «يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً» «۱».

وفى نفس الكتاب نُقلت عدّة روايات اخرى بهذا المعنى أو ما يدانيه.

بالاضافة إلى أنّه يروى عن ابن عباس أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قال: «مَنْ أراد أن ينظر إلى إبراهيم فى حلمه، وإلى نوح فى حكمته، وإلى يوسف فى اجتماعه، فلينظر إلى على بن أبى طالب» «۲».

وفى موضع آخر يروى عن «أبى الحمراء»: كنّا عند رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فقدم على عليه السلام نحونا، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «مَنْ سرّه أن ينظر إلى آدم فى علمه، ونوح فى فهمه، وإبراهيم فى حُلمه فلينظر إلى على بن أبى طالب» «۳».

ويروى عن «ابن عباس» أيضاً، كنت عند رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فسئل عن على عليه السلام فقال:

«قُسمت الحكمة عشرة أجزاء فأُعطى على تسعة أجزاء وأُعطى الناس جزءً واحداً» «۴».

إنّ هذه العبارات تكشف بجلاء أن ليس هنالك من أحد من الامّة الإسلامية بعد

---

(۱) شواهد التنزيل، ج ۱، ص ۱۳۷، ح ۱۴۷.

(۲) المصدر السابق، ص ۱۰۶، ح ۱۴۷.

(۳) المصدر السابق، ص ۷۹، ح ۱۱۶.

(۴) المصدر السابق، ص ۱۰۵، ح ۱۴۶.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۰۴

النبيّ صلى الله عليه و آله يضاهى علياً عليه السلام فى العلم والمعرفة والحكمة، وحيث إنّ أهم أركان الإمامة، العلم والحكمة فإنّه كان أجدر الناس للإمامة والخلافة بعد النبيّ صلى الله عليه و آله.

جاء أيضاً فى «صحيح الترمذى» أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قال: «أنا دار الحكمة وعلى بابها» «۱».

و من المسلّم به أنّ من أراد دخول البيت، عليه أن يدخل من الباب كما أمر بذلك القرآن الكريم: «وَأْتُوا البُيوتَ مِنْ أَبوابها». (البقرة/ ۱۸۹)

وعليه فمن أراد الدخول إلى خزائن علم النبيّ صلى الله عليه و آله عليه المبادرة إلى على عليه السلام وطلب مفتاح هذا الكنز منه.

---

(۱) صحيح الترمذى، ج ۵، ص ۶۳۷ (المناقب، باب مناقب على بن أبى طالب، ح ۳۷۲۳).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۰۵

۵- آيات سورة هل اتى (الإنسان)

اشارة

تعتبر سورة «هل اتى سنداً آخر من الأسانيد المهمّة لفضيلة على عليه السلام وآل النبيّ صلى الله عليه و آله، وأنّ التمعن فى مضمون هذه السورة وعباراتها، وكذا شأن النزول الذى ذُكر لها يزيل الغموض عن الكثير من القضايا.

صحيح أنّ آيات هذه السورة تعرض بحثاً عاماً، إلّاأنّ سبعة عشر آية منها التى تبدء من الآية ۵: «إِنَّ الابرَارَ يَشرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كَافُورًا» وتستمر حتّى الآية ۲۲، تتحدث عن نفر على أنّهم «ابرار»، بَيدَ أنّ شأن النزول والروايات العديدة التى وردت فى المصادر الإسلامية المعروفة، تكشف أنّ أتم وأكمل مصداق للأبرار فى هذه الآية هم: على، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام.

والجدير بالاهتمام أنّ فى هذه الآيات السبعة عشر ذكرت أنواع نعم الجنّة، وأفضلها واسماها- سواءً المعنوية أو المادية- إذ أنّها تتحدث عن بساتين الجنّة، وعيون ماء الجنّة الطاهر، والملابس، والزينة، والطعام، والارائك والأسِرَّة، والوِلدان، وبالتالى النعم العظيمة والملك العظيم، والنعمة الوحيدة التى لم تجرِ الإشارة إليها فى ما بين هذه النعم هى الأزواج وحور الجنّة حيث يقول بعض العارفين بأسرار القرآن: إنّ هذا الأمر بمثابة الاحترام لسيدة الإسلام فاطمة الزهراء عليها السلام.

وقليلًا ما تجتمع نعم الجنّة هذه وفى أقصى درجاتها فى سورة من سور القرآن الكريم، وهذا يبرهن على أنّ المراد من «الأبرار» هنا ليسوا اناساً عاديين، بل أبرار ومطهرون وفى غاية العظمة والقرب من اللّه.

وهذا الأمر جدير بالذكر أيضاً حيث ذكرت علامات لهؤلاء «الأبرار» إذا أنّها تكشف عن

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۰۶

منزلتهم، يقول تعالى: «يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ويَخَافُونَ يَومًا كَانَ شَرُّهُ مُستَطِيراً* ويُطعِمُونَ الطَّعامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَاسِيراً* انَّما نُطعِمُكُم لِوَجهِ اللَّهِ لَانُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً* انَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنا يَوماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً». (الإنسان/ ۷- ۱۰)

أمّا شأن نزول هذه الآية: فيروى الزمخشرى فى تفسيره المعروف «الكشاف» عن ابن عباس: «إنّ الحسن والحسين عليهما السلام مرضا فعادهما رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى ناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن، لو نذرت على ولدك، فنذر على وفاطمة وفضة إن بَرِئا ممّا بهما: أن يصوموا ثلاثة أيّام فشفيا وما معهم شىء فاستقرض على عليه السلام ثلاثة أصوع شعير فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال: «السلام عليكم «۱» أهل بيت محمّد» مسكين من مساكين المسلمين، أطعمونى أطعمكم اللّه من موائد الجنّة، فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلّاالماء، وأصبحوا صياماً فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم سائل يتيم فآثروه، ووقف عليهم أسير فى الثالثة، ففعلوا مثل ذلك؛ فلما أصبحوا أخذ على عليه السلام بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله فلما أبصرهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع قال: ما أشد ما يسوءنى ما آرى بكم، وقام فانطلق معهم فراى فاطمة فى محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك، فنزل جبريل وقال: خذها يا محمد هنأك اللّه فى أهل بيتك فأقرأه السورة» «۲».

ويروى القرطبى هذا المعنى باختلاف قليل فى تفسيره فى ذيل آيات البحث، وينقل أيضاً شعراً عن السائلين وعن سيدة الإسلام فى هذا المجال «۳».

ونقل «الفخر الرازى» أيضاً فى تفسيره نفس هذه القصة عن الواحدى فى كتاب «الوسيط»، والزمخشرى فى الكشاف، ولكنه يضيف فى ذيلها: إنّ عبارة «إنّ الأبرار يشربون ...» جاءت بصيغة الجمع، وأنّها تشمل الأبرار جميعاً، ولا يمكن حصرها بشخص

---

(۱) جاء نذر الحسن والحسين عليهما السلام فى رواية الجعفى طبقاً لنقل تفسير القرطبى (تفسير القرطبى، ج ۱۰، ص ۶۹۲۲).

(۲) تفسير الكشاف، ج ۴، ص ۶۷۰ (ذيل آيات هذه السورة).

(۳) تفسير القرطبى، ج ۱۰، ص ۶۹۲۲.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۰۷

واحد (على بن أبى طالب عليه السلام)، وبالطبع لا يمكن انكار أنّ علياً عليه السلام داخل فى عموم هذه الآيات، لكنها لاتختص به.

إلّا أن يقال: إنّ هذه السورة نزلت أثناء أداء على عليه السلام العبادة خاصة، ولكن ثبت فى اصول الفقه أنّ المعيار عموم اللفظ، لا خصوصية السبب «۱».

على أنّ الفخر الرازى كأنّه نسى هذ الأمر وهو أنّ شأن النزول يقول: إنّ هذه الآيات نزلت بحق على، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام لا فى على بن أبى طالب خاصةً لتقع مشكلة صيغة الجمع.

أضف إلى ذلك: أنّ المراد من شأن النزول ليس إلغاء «عمومية مفهوم الآية»، بل المراد هو أنّ هذه الآيات نزلت للمرة الاولى بعد قيام هذه الاسرة بتلك العبادة والطاعة والايثار، وهذه فضيلة عظيمة ومنحة كبيرة أن تنزل هذه الآيات بعد أداء ذلك العمل.

وبتعبير آخر: إنّ علياً عليه السلام وأهل بيته المصداق السامى لهذه الآيات، بل يعدّون النموذج الكامل لها، لأنّ علة نزولها هو عملهم الطاهر، ومن أراد انكار هذه الفضيلة العظمى إنّما يخادع نفسه.

وينقل «الآلوسى» أيضاً هذه القصة بكاملها فى «روح المعانى» عن ابن عباس، ومن ثمّ يضيف: وهذا الخبر مشهور بين القوم.

ثمّ يسعى وعلى ديدنه إلى التقليل منها أو إضعافها، ومن أجل هذا الغرض يضيف بعد بيانه الامور بشأن اسناد هذه الرواية: فاحتمال أصل النزول فى الأمير «كرم اللّه وجهه» وفاطمة (رض) قائم ولا جزم بنفى ولا إثبات لتعارض الأخبار ولا يكاد يسلم المرجح عن قيل وقال ... إذ دخولهما فى الأبرار أمر جلى بل هو دخول أولى فهما هما وماذا عسى يقول امرؤ فيهما سوى أنّ علياً مولى المؤمنين ووصى النبى صلى الله عليه و آله وفاطمة البضعة الأحمدية والجزء المحمدى وأمّا الحسنان فالروح والريحان وسيدا شباب الجنان وليس هذا من

---

(۱) تفسير الكبير، ج ۳، ص ۲۴۴.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۰۸

الرفض بشىء بل ما سواه عندى هو الغى «۱».

إلّا أننا نقول: لو تغافلنا عن منقبة بهذه الشهرة فإنّ سائر الفضائل يكون مصيرها هكذا، وسيأتى اليوم الذى ستوضح أفضلية على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. فلماذا نتجاهل هذه الرواية المعروفة التى نقلها كبار المحدثين والمفسرين والتى لا معارض لها، ونسد على انفسنا طرق معرفة هؤلاء العظماء؟!

يروى «السيوطى» العالم السنى المعروف فى تفسير «الدر المنثور» عن ابن مردويه عن ابن عباس: إنّ الآية «ويطعمون الطعام على حبّه ....» نزلت بحق على وفاطمة عليهما السلام.

وأورد «الشبلنجى» أيضاً فى «نور الابصار» قصة شأن النزول بكاملها «۲»، وكذلك فريق آخر من كبار المفسّرين والمحدّثين.

هل أتى فى الشعر:

إنّ نزول هذه السورة بحق أهل البيت عليهم السلام جلى إلى الحد الذى أشار الكثير من الشعراء المعروفين إلى هذا المعنى فى شعرهم، منها هذه الأبيات التى نقلت عن إمام الشافعية «محمّد بن ادريس الشافعى» فى العديد من الكتب:

إلى مَ، إلى مَ، وحتى متىاعاتبُ فى حبِّ هذا الفتى

وهلْ زُوجتْ فاطمٌ غيرهُ؟وفى غيره هل أتى هل اتى «۳»

ينقل «ابن البطريق» وهو من علماء القرن السادس الهجرى فى كتاب «عمدة عيون صحاح

(۱) تفسير روح المعانى، ج ۲۹، ص ۱۵۸.

(۲) نور الابصار، ص ۶۲.

(۳) احقاق الحق، ج ۳، ص ۱۵۸؛ وعلى فى الكتاب والسنة، ج ۱، ص ۴۴۷. نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۰۹

الأخبار» عن تفسير ابن اسحاق الثعلبى، أنّه قال:

أنا مولى لفتىانزل فيه هل أتى «۱»

ويقول «محمّد بن طلحة الشافعى» أيضاً (من علماء القرن السابع) فى كتاب «مطالب السؤال» بحق آل النبى صلى الله عليه و آله:

هم العروة الوثقى لمعتصم بهامناقبهم جاءت بوحى وانزال

مناقبُ فى الشورى وسورة هل اتىوفى سورة الاحزاب يعرِفُها التالى «۲»

المراد من مناقب تلك العترة فى الآية: «قُلْ لَّااسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ اجْراً الَّا المَوَدَّةَ فِى القُربَى .

(الشورى/ ۲۳)

والمراد من الآية «انَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اهْلَ البَيتِ». (الأحزاب/ ۳۳) وقصة سورة هل اتى معلومة أيضاً.

كما نقلت أشعار كثيرة اخرى بهذا الصدد عن «طلائع» ابن رزيك (أبو الغارات) «۳».

المشككون وسورة هل أتى

إنَّ كل مطلع على كتب الحديث والتفسير والتاريخ للاخوة أهل السنّة يعرف جيداً حيثما يكون الحديث عن منقبة لعلى بن أبى طالب عليه السلام وآل النبىّ صلى الله عليه و آله ينبرى بعض المتعصبين من هنا وهناك ويثيرون الشبهات، ويسعون بشتى الذرائع اثارة المؤاخذات على سند ودلالة ومضمون ذلك الحديث، ويقللون من أهميّته، وإن كانت المؤاخذات ضعيفة وواهية، وكأنّهم قطعوا عهداً على أنفسهم على أنّ لا يتقبلوا أياً من هذه الفضائل، وإن تقبلوها فإنّها لا تتفق وحكمهم المسبق.

إنّ مطالعة كتب مثل تفسير «روح المعانى»، و «الفخر الرازى»، و «المنار»، ونحو ذلك شاهد على هذا الكلام بأنّ حكمهم العقائدى المسبق يقف حائلًا فى جميع الأحوال أمام

(۱) عمدة عيون صحاح الاخبار؛ ص ۳۴۹.

(۲) مطالب السؤال، ص ۸ (طبقا لنقل الغدير، ج ۳، ص ۱۰۹).

(۳) يراجع كتاب على فى الكتاب والسنة، ج ۱، ص ۴۴۷.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۱۰

الاذعان لهذه الروايات، إلى الحد الذى يصاب الإنسان بالدهشة أحياناً بسبب المؤاخذات الواهية التى أثاروها على هذه الروايات.

بينما يتقبلون مناقب الآخرين برحابة صدر، وإن بدت عليها آثار الضعف، ومع هذا فقد افلتَ الكثير من الحالات من سيف انتقاداتهم وهى تكفى لإدراك الحقيقة.

على أيّة حال من الواجب هنا الإشارة إلى جانب مهم من تلك المؤاخذات:

۱- إنّ هذه الفضيلة تصح فى حالة نزول هذه السورة فى المدينة وبعد ولادة الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام (والمشهور أنّ ولادة الإمام الحسن عليه السلام فى السنّة الثالثة للهجرة، وولادة الإمام الحسين عليه السلام فىالسنّة الرابعة للهجرة)، بينما يعتقد الكثيرون بأنَّ هذه السورة مكية، وعليه فإنّها لا تتفق وشأن النزول الآنف الذكر.

ولكن بناءً على قول المفسر السنى المعروف القرطبى، فإنّ المشهور أنّ العلماء يعتقدون بأنّ هذه السورة مدنية (وقال الجمهور مدنية) «۱».

وانضمت طائفة كثيرة إلى هذا الرأى أيضاً، منهم:

الحاكم الحسكانى إذ عدّ هذه السورة من السور المدنية حيث نزلت بعد سورة «الرحمن» وقبل سورة «الطلاق»، والجدير بالاهتمام أنّ العالم المذكور نقل ثمانية روايات بهذا الصدد جرى التصريح فيها جميعاً بأنّ سورة «هل اتى مدنية، وبعض هذه الروايات عن «ابن عباس»، وبعضها عن «عكرمة»، و «الحسن»، وبعضها عن آخرين.

وقد قال فى كلامه: إنّ بعض أعداء أهل البيت اعترضوا على سبب نزول هذه السورة، فقالوا: لقد اتفق علماء التفسير على أنّ هذه السورة مكية فى حين أن قصتها وقعت فى المدينة.

ثمّ يضيف: كيف يسوغ له دعوى الإجماع مع قول الأكثر أنّها مدنية «۲».

ونقل فى كتاب «تاريخ القرآن» لأبى عبد اللّه الزنجانى عن كتاب «نظم الدرر وتناسخ الآيات والسور»، عن جماعة من مشاهير أهل السنّة: إنّ سورة هل أتى مدنية «۳».

---

(۱) تفسير القرطبى، ج ۱۰، ص ۶۹۰۹.

(۲) شواهد التنزيل، ج ۲، ص ۳۱۰- ۳۱۵.

(۳) تاريخ القرآن، ص ۵۵.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۱۱

ويروى «السيوطى» المفسر السنّى المعروف أيضاً فى «الدر المنثور» المعنى نفسه عن ابن عباس بطرق مختلفة.

وفى «الاتقان للسيوطى» نقل أيضاً عن «البيقهى» فى «دلائل النبوة» عن عكرمة: إنّ سورة هل أتى مدنية «۱».

بالإضافة إلى أنّ كافة الذين يرون أنّ شأن نزول هذه السورة فى على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام،- وهم جماعة كثيرة جرت الإشارة إليهم آنفا- وكلّهم يشهدون على كون السورة مدنية.

فضلًا عن جميع ذلك، على فرض أنّ قسماً من هذه السورة مكى، والقسم المتعلق بنذر على وأهل بيته مدنى، فلا مانع من أن يكون قسم من السورة مكياً والآخر مدنياً.

من هنا، فإنّ مؤلف تفسير «روح البيان» (البرسوئى الحنفى) بعد ذكره عن طائفة من كبار العلماء أنّ سورة «هل اتى مدنية، إشارة إلى كلام الذين يرون أنّ بعض آياتها مكى والآخر مدنى، فيقول: على هذا الأساس يمكنك القول: (إنّ هذه السورة مكية وإن شئت قلت إنّها مدنية على أنّ الآيات المدنية فى هذه السورة أكثر من الآيات المكية، فالظاهر أنّها تسمى مدنية لا مكية ونحن لا نشك فى صحة القصة) «۲».

من بين الامور التى اتخذها هذا المفسر وغيره من الواعين دليلًا على كون هذه السورة مدنية هو مجىء كلمة «أسير» فيها، ونحن نعلم أنّ لا وجود للأسير فى مكة، وأنّ قضية الأسر والأسير كانت بعد نزول حكم الجهاد فى المدينة.

يقول صاحب «روح البيان» فى هذا المجال: «دل على ذلك أنّ الأسير إنّما كان فى المدينة بعد آية القتال والأمر بالجهاد» «۳».

والمدهش أنّ المتزمتين الذين ليسوا على استعداد للتخلّى عن حكمهم المسبق بصدد الولاية والخلافة خلقوا التبريرات ل «الأسير» هنا، حيث بالإمكان أن تكشف عن الحقائق، فقد قالوا: إنّ المراد من الاسير اسير زوجة! أو أسير الديون، ونحو ذلك ... «۴».

---

(۱) تفسير الميزان، ج ۲۰، ص ۲۲۱.

(۲) تفسير روح البيان، ج ۱۰، ص ۲۶۹.

(۳) المصدر السابق.

(۴) نقلت هذه الأقوال فى البحر المحيط، ج ۸، ص ۳۹۵ عن بعض المفسرين، إلّاأنّ صاحب هذا الكتابE

(أبو حيان الاندلسى) يرى أنّه يعنى الاسير من الكفار.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۱۲

وينبغى التساؤل: لماذا نذهب وراء المجازيات، مع إمكانية تفسير الاسير بالمعنى الحقيقى؟

۲- كيف يتسنى حصر اللفظ العام للآية بأشخاص محددين؟

ولكن كما أسلفنا مراراً أنّ عمومية مفهوم الآيات لا يتعارض مع سبب النزول الخاص، وهذا يشاهد أيضاً فى الكثير من آيات القرآن الكريم الاخرى حيث يكون مفهوم الآية عاماً وشاملًا، إلّاأنّ سبب نزولها وهو مصداقها الكامل والسامى يكون مورداً خاصاً، والمثير للدهشة أنّ أحداً لم يتخذ عمومية مفهوم الآية فى سائر الآيات الواردة فى القرآن وسبب نزولها دليلًا على معارضة سبب النزول، إلّاأنّ القضية هنا مختلفة!!

۳- المؤاخذة الاخرى التى يثيرها المشككون هى: كيف يتمكن الإنسان من البقاء طاوياً ثلاثة أيّام ويفطر بماء فقط؟

بيدَ أنّ هذه المؤاخذة عجيبة، لأننا كثيراً ما رأينا- وعلى امتداد حياتنا- أشخاصاً يمسكون عن الطعام من أجل العلاج، فبعضهم قد يمسك ثلاثة أيّام وهذا يسير، وتارة يمسكون لمدّة عشرة أيّام أو عشرين يوماً بل وحتى أربعين يوماً، أى أنّهم وعلى مدى اربعين يوماً لا يشربون سوى الماء فقط، ولا يتناولون طعاماً أبداً (حتى عصير الفواكه والشاى)، وهذا الأمر- حسب اعتقاد الأطباء الذين يعالجون المرضى عن طريق الصيام أدى إلى علاج الكثير من أمراضهم، حتى أنّ طبيباً مشهوراً غير مسلم يدعى «الكسى سوفورين» ألف كتاباً حول آثار الصيام لمدّة أربعين يوماً مع بيان دقيق لطرقه «۱».

واعتبر بعض الكتاب الصوم لأكثر من عشرين يوماً علاجاً لبعض الأمراض.

إنّ الاضراب عن الطعام ومنه «الاضراب عن الماء» متداول فى عصرنا الراهن وأحياناً يتجاوز الأربعين يوماً.

ولكن لماذا يتعجب هؤلاء المشككون من الصوم لمدّة ثلاثة أيّام والامساك عن الطعام والافطار بالماء لوحده؟ أليس هدفهم هو تعطيل هذه الفضيلة العظمى بأى وسيلة متاحة؟

---

(۱) ترجم هذا الكتاب إلى العربية واسمه «التطبيب بالصوم».

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۱۳

۶ و ۷- آيات مقدّمة سورة «البراءة» وآية «سقاية الحاجّ»

اشارة

فى سورة التوبة، وفى موضعين منها نزلت آيات تتضمن مناقب عظيمة لأمير المؤمنين عليه السلام بلحاظ سبب نزولها والروايات التى نقلها أغلب المفسرين والمؤرخين والمحدّثين.

الاولى آيات مقدّمة سورة البراءة

اشارة

الآيات التى فى مطلع هذه السورة التى نزلت بشأن اعلان الحرب على المشركين الذين ينقضون العهد، وقد اتفق كافة المفسرين والمؤرخين تقريباً على أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله وأثناء نزول هذه الآيات فى السنّة التاسعة للهجرة التى تعلن فيها عن نقص العهد مع المشركين، اختار «أبا بكر» لابلاغ هذا الأمر إلى عامة الناس فى مكة خلال الحج، ولكن لم يمض من الوقت شيء حتى استرجع الآيات منه وأعطاها لعلى عليه السلام وأمره بابلاغها إلى أهل مكة فى مراسم الحج، وهكذا فعل.

وبالرغم من وجود جدل بين المحدثين والمفسرين والمؤرخين فى تفرعاتها، نشير هنا إلى جانب من هذه الروايات:

١- يقول أحمد بن حنبل الإمام السنّى المعروف فى مسنده الذى هو أحد كتب الحديث المعروفة لدى السنةّ: إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله بعث بالبراءة إلى أهل مكة مع أبى بكر، لا يحج بالبيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلّانفس مسلمة، من كان بينه وبين رسول اللَّه صلى الله عليه و آله مدّة فأجله إلى مدّته، واللَّه برىء من المشركين ورسوله، قال: فسار بها ثلاثاً، ثم قال

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۱۴

لعلى عليه السلام: إلحقه فَرُدَّ علىَّ أبا بكر وبلغها أنت، قال: ففعل، قال: فلما قدم على النبى صلى الله عليه و آله أبو بكر بكى وقال: يارسول اللَّه حدث فىّ شيء؟ قال: «ما حدث فيك إلّاخير ولكن امرت أن لا يبلغه إلّاأنا أو رجل منّى» «۱».

وينقل الترمذى فى سننه المعروفة وهى من المصادر الرئيسة للحديث لدى أهل السنّة، هذه الرواية بتعبير آخر فى بحث تفسير القرآن عن أنس بن مالك، أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله بعث بالبراءة مع أبى بكر، ثمّ دعاه وقال: «لا ينبغى لأحد أن يبلغ هذا إلّارجلٌ من أهلى فدعا علياً فأعطاه إيّاها» «۲».

ثمّ نقل الترمذى رواية اخرى عن ابن عباس حول هذا الموضوع، ولكن أكثر تفصيلًا وبياناً «۳»، واللطيف أنّه يقول بعد نهاية الحديثين، سواء عنه أم نقلًا عن الآخرين: هذا حديث حسن غريب، إلّاأنّه لم يعبر بهذا بشأن غيرهِ من الروايات سواء قبله أو بعده، وهذا بحدّ ذاته من الامور الغريبة، وكأن كل حديث يروى منقبة استثنائية بحق على عليه السلام يعتبر غريباً بنظرهم.

٢- ينقل السيوطى فى الدر المنثور عن «عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل» و «ابن مردويه» عن على عليه السلام لما نزلت الآيات العشر الاولى من سورة التوبة على النبيّ صلى الله عليه و آله دعا أبا بكر ليأخذ هذه الآيات ويقرأها على أهل مكة؛ ثمّ دعانى النبى صلى الله عليه و آله فقال لى: أدرك أبا بكر فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه، فرجع أبو بكر إلى النبى صلى الله عليه و آله فقال: يا رسول اللَّه نزل فىّ شيء؟ قال: «لا، ولكن جبرئيل جاءنى فقال: لن يؤدّى عنك إلّاأنت أو رجل منك» «۴».

٣- وفى نفس الكتاب يروى عن «أحمد» و «الترمذى» و «ابن مردويه» أيضاً عن «انس» بأنّه صلى الله عليه و آله بعث بآيات البراءة مع أبى بكر، ثمّ دعاه وقال: «لا ينبغى لاحد أن يبلغ هذا إلّارجل

---

(۱) مسند أحمد، ج ۱، ص ۳.

(۲) سنن الترمذى، ج ۴، ص ۳۳۹، ح ۵۰۸۵.

(۳) المصدر السابق، ح ۳۰۹۱.

(۴) تفسير در المنثور، ج ۳، ص ۲۰۹.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۱۵

من أهلى، فدعا علياً فأعطاها إيّاه» «۱».

۴- ويروى أيضاً فى هذا الكتاب عن «سعد بن أبى وقاص»: إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله بعث بآيات البراءة مع أبى بكر إلى مكة حتى

إذا كان ببعض الطريق أرسل علياً عليه السلام فأخذها منه ثمّ سار بها، فوجد أبو بكر فى نفسه، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «لا يؤدّى عنى إلّاأنا أو رجل منّى» «۲».

۵- ويروى فى الكتاب نفسه عن «أبى سعيد الخدرى» الصحابى المعروف: إنّ النبىّ صلى الله عليه و آله بعث أبا بكر يؤدّى عنه براءة، فلما أرسله بعث إلى على عليه السلام فقال: يا على أنّه لا يؤدّى عنّى إلّا أنا أو أنت فحمله على ناقته العضباء فسار حتى لحق بأبى بكر فأخذ منه براءة، فأتى أبو بكر النبى صلى الله عليه و آله وقد دخله من ذلك مخافة أن يكون قد انزل فيه شىء، فلما أتاه قال: «مالى يا رسول اللَّه؟ (وساق الحديث) إلى أن ذكر قول النبىّ صلى الله عليه و آله: «لا يبلّغ عنّى غيرى أو رجل منّى» «۳».

۶- وفى هذا الكتاب أيضاً يروى عن «أبى رافع» الصحابى المعروف: إنّ النبىّ صلى الله عليه و آله بعث أبا بكر بآيات البراءة إلى الحج فنزل عليه جبرئيل وقال: «إنّه لن يؤدّيها عنك إلّاأنت أو رجل منك» «۴».

۷- ۸- روى الحاكم الحسكانى فى «شواهد التنزيل» ما يقارب من اثنتى عشرة رواية بشأن هذا الموضوع عن أنس بن مالك، وابن عباس، وسعد، وأبى سعيد الخدرى، وأبى هريرة، وغيرهم حيث يطول المقام بذكرهم جميعاً، وبمقدور الراغبين الرجوع إلى الكتاب المذكور الذى هو فى متناول الجميع من أجل المزيد من التحقيق «۵».

وروى جماعة كثيرة اخرى أيضاً هذه الرواية بطرق مختلفة، وأنّ رواة هذا الحديث كثيرون إلى الحد الذى يقول المرحوم العلّامة الأمينى: «هذا الحديث أخرجه كثير من أئمّة

---

(۱) تفسير در المنثور، ج ۳، ص ۲۰۹.

(۲) المصدر السابق.

(۳) المصدر السابق، ص ۲۳۰ (بشىء من الاختصار).

(۴) المصدر السابق.

(۵) شواهد التنزيل، ج ۱، ص ۲۳۲- ۲۴۳ (الحديث رقم ۳۰۹ و ۳۱۰ و ۳۱۱ و ۳۱۲ و ۳۱۴ و ۳۱۵ و ۳۱۶ و ۳۱۷ و ۳۱۸ و ۳۲۳ و ۳۲۴ و ۳۲۵).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۱۶

الحديث وحفاظه بعدة طرق صحيحة يتأتى التواتر بأقل منها عند جمع من القوم ثم عدد ۷۳ نفراً منهم «۱» ثم يضيف: إنّ رواة هذا الحديث ينتهى أسانيدهم إلى جمع من الصحابة الأولين منهم على عليه السلام، أبو بكر، جابر بن عبد اللَّه الأنصارى، أنس بن مالك، أبو سعيد الخدرى، سعد بن أبى وقاص، أبو هريرة، عبد اللَّه بن عمر، حبش بن جنادة، عمران بن حصين، أبو ذر الغفارى» «۲».

ونختم هذا البحث بشعر ل «شمس الدين المالكى» وهو من شعراء القرن الثامن الهجرى المعروفين، يقول:

وأرسلهُ عنهُ الرسول مبلّغاًوخصّ بهذا الأمر تخصيص مفردِ

وقال هل التبليغ عنى ينبغىلمن ليس من بيتى من القوم فاقتدى

النتيجة:

إنَّ هذه الرواية بهذه السعة فى المصادر تعتبر أحد الأدلة الواضحة على أفضلية على عليه السلام على غيره بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله واعتماده صلى الله عليه و آله عليه، وغاية قربه من اللَّه تعالى، فهو يقول بصريح القول: «أمرنى جبرئيل الامين عن اللَّه بأن يبلغ على هذه الآيات»، وقال صلى الله عليه و آله: «لن يؤدّى هذا الأمر إلّاأنا أو رجل منّى، وأنّ علياً وحده المؤهل لأداء هذا العمل».

وبالنظر إلى أنّ: إلغاء العهود مع المشركين كان أحد أكثر المراحل حساسية فى تاريخ الإسلام ويقتضى اطلاعاً وتدبيراً وشجاعة استثنائية وكان من الممكن أن يواجه ردود فعل قوية من قبل المعارضين أثناء مراسم الحج، فإنّ اختيار على عليه السلام لهذه المهمّة كان أفضل دليل على أنّه أعلم الامّة وأشجعها وأكثرها تدبيراً، ومن المسلّم به أنّ الذى يُختار لهذا الأمر أكثر أهلية وأجدر لخلافة النبىّ صلى الله عليه و آله.

والجدير بالاهتمام أنّ أبا بكر نفسه أدرك هذا الأمر أيضاً، وعند حضوره عند النبىّ صلى الله عليه و آله

---

(۱) للاطلاع على اسماء هؤلاء ال ۷۳ شخص راجعوا كتاب الغدير، ج ۶، ص ۳۴۱- ۳۸۸.

(۲) الغدير، ج ۶، ص ۳۴۱- ۳۴۸.

استفسر باضطراب: هل نزل شىء بحقى؟ فأجابه النبىّ صلى الله عليه و آله: «هذا العمل يؤدّيه شخص منّى!».

وهنا نلاحظ أنَّ المشككين- بما امتلكوه من حكم مسبق- بذلوا كل مابوسعهم من أجل التقليل من أهميّة هذه المنقبة، وتجاوزوا هذه المسألة بتحليلاتهم الواهية.

فمثلًا يقول «الآلوسى» فى «روح المعانى»: هذا الحديث يدل باختصار على افضلية على عليه السلام وقربه من الرسول صلى الله عليه و آله، وهذا ما لا ينكره مؤمن، لكنه لا يدل أبداً على أنّ علياً أليق بامر الخلافة من أبى بكر، ثمّ يضيف قائلًا: وقد ذكر بعض أهل السنّة نكتة فى نصب أبى بكر أميراً للناس فى حجهم ونصب الأمير «كرم اللّه وجهه» مبلغاً نقض العهد فى ذلك المحفل، وهى أنّ أبا بكر كان مظهراً لصفة الرحمة والجمال، وعلى عليه السلام هو أسد اللّه ومظهر جلاله ففوض إليه نقض عهد الكافرين الذى هو من آثار الجلال وصفات القهر فكانا عينين فوّارتين يفور من إحداهما صفة الجمال، ومن الاخرى صفة الجلال فى ذلك الجمع العظيم الذى كان أنموذجاً للحشر وموروداً للمسلم والكافر.

يقول الآلوسى بعد ذكره لهذا الكلام: «ولا يخفى حسنه لو لم يكن فى البين تعليل النبى صلى الله عليه و آله» «۱».

وكما قال «الآلوسى» فى كلامه الأخير فإنّ هذا التحليل «الشاعرى» لا يتفق وقول النبىّ صلى الله عليه و آله، فهو يقول بصراحة: لقد أمرنى جبرئيل عن اللّه أنّ هذا الأمر لايؤدّيه إلّاأنا أو رجل منّى، أى رجل نظير للنبى صلى الله عليه و آله ويمتلك مواصفات خاصة وأقرب الناس إليه، ونحن نعلم أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله كان جامعاً لصفات الجمال والجلال.

لماذا يصر هؤلاء الاخوة على إغفال منقبة بهذه العظمة أو يحرفونها عن منحاها الحقيقى بتبريرات شاعرية، مخافة أن يستند إليها الشيعة ويثبتوا حقانية مذهبهم؟!

وننهى كلامنا هذا بالحديث الذى روى عن أبى ذر الغفارى فى كتاب «مطالب السؤال»، فهو يقول: قال النبى صلى الله عليه و آله: «على منّى وأنا من على ولا يؤدّى إلّاأنا أو على» «۲».

---

(۱) تفسير روح المعانى، ج ۱۰، ص ۴۷.

(۲) مطالب السؤال، ص ۱۸ (على ضوء نقل الغدير، ج ۶، ص ۳۴۸).

الثانية: آية سقاية الحاج

نقرأ فى قوله تعالى «أَجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الحاجِّ وَعِمارَةَ الْمَسْجِدِ الحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ وَجاهَدَ فِى سَبيلِ اللَّهِ لَايَستَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ

وَاللَّهُ لَايَهدِى القَومَ الظَّالِمِينَ».

(التوبة/ ۱۹)

لقد أورد الحاكم الحسكانى الحنفى فى «شواهد التنزيل» ما يربو على عشر روايات من طرق مختلفة فى ذيل هذه الآية، تثبت أنّها نزلت بحق على عليه السلام.

ففى احدى هذه الروايات ينقل عن أنس بن مالك: إنّ «العباس بن عبد المطلب» و «شيبة» قعدا يفتخران، فقال له العباس: أنا أشرف منك، أنا عم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ووصى أبيه وساقى الحجيج، فقال شيبة: أنا أشرف منك، أنا أمين اللَّه على بيته وخازنه، أفلا ـ أئتمنك كما ائتمننى؟ فاطّلعَ عليهما على عليه السلام فأخبراه بما قالا، فقال على عليه السلام: أنا أشرف منكما، أنا أول من آمن وهاجر، فانطلقوا ثلاثتهم إلى النبى صلى الله عليه و آله فأخبروه فما أجابهم بشىء، فانصرفوا فنزل عليه الوحى بعد أيّام فأرسل إليهم فقرأ: «أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ ...» إلى آخر العشر «۱».

وورد هذا المضمون أيضاً بشىء من الاختلاف فى بقيّة الروايات.

وجاء فى بعضها: لما سمع العباس بنزول الآية قال ثلاثاً: «إنا قد رضينا».

وبالإضافة إلى «الحاكم الحسكانى» فقد نقل هذه الروايات أيضاً جمع غفير- بعضهم بشكل مفصل وبعضهم على نحو الاختصار- فى كتبهم، منهم:

«الطبرى» فى تفسيره عن «أنس بن مالك» «۲».

«الواحدى» فى «أسباب النزول» «۳».

«القرطبى» فى تفسيره «۴».

---

(۱) شواهد التنزيل، ج ۱، ص ۲۴۹.

(۲) تفسير جامع البيان، ج ۱۰، ص ۵۹.

(۳) أسباب النزول، ص ۱۸۲.

(۴) تفسير القرطبى، ج ۸، ص ۹۱.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۱۹

«الفخر الرازى» فى «التفسير الكبير» «۱».

«الخازن» فى تفسير «الخازن» «۲».

«أبو البركات النسفى» فى تفسيره «۳».

«ابن الصباغ المالكى» فى «الفصول المهمّة» «۴».

وفى تفسير «الدر المنثور» وهو تفسير يستند إلى أحاديث أهل السنّة نقل روايات كثيرة بشأن نزول هذه الآية بحق على عليه السلام، والقصة الآنفة «۵».

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال هو: أليس التفاخر أمر منبوذ فى الإسلام؟ فلم يُقْدِم أمير المؤمنين عليه السلام على هذا الأمر؟

تتضح الاجابة عن هذا السؤال من خلال الالتفات إلى قضية واحدة وهى: إنّ الناس ربّما يقعون بالخطأ فى تشخيص القيم، فيتركون القيمة الحقيقية ويتبعون الامور المتأخرة من ناحية القيمة، ففى مثل هذه الحالات لا ـ مانع من الافتخار والتباهى من أجل توضيح الحقيقة، بل تعتبر واجباً فى بعض الحالات، فمثلًا ربّما يفتخر شخص بنفسه فى احدى المجالس قائلًا: إننى امتلك الثروة الفلانية، وآخر يقول: إنّ القصر الفلانى يعود لى، ويقول ثالث: كفانى فخراً إننى أمير بلدى!.

وينبرى شخص قد جلس هناك فيقول من أجل ابراز القيم الحقيقية:

بالرغم من افتقارى للمال والثروة والمقام والجاه إلّاأننى افتخر بكونى حافظاً للقرآن.

فهذا الفعل لايعد قبيحاً بل هو درس بليغ.

---

(۱) تفسير الكبير، ج ۴، ص ۴۲۲.

(۲) تفسير الخازن، ج ۲، ص ۲۲۱.

(۳) تفسير أبو البركات، ج ۲، ص ۲۲۱.

(۴) الفصول المهمّة، ص ۱۲۳.

(۵) تفسير در المنثور، ج ۳، ص ۲۱۸ و ۲۱۹.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۲۱

۸- آية «صالح المؤمنين»

نقرأ فى القرآن الكريم، أنّ البارى جل وعلا- خاطب بعض نساء النبيّ صلى الله عليه و آله اللواتى ارتكبن مخالفة، قائلًا: «وَانْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَانَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلَكَ ظَهِيرٌ». (التحريم/ ۴)

إِنَّ عبارة «صالح المؤمنين» تشمل المؤمنين والصالحين والصادقين من أصحاب النبيّ صلى الله عليه و آله، وليس الصحابة والأنصار الذين عاصروه فحسب، بل هى تشمل المؤمنين والصالحين فى سائر الدهور والأعصار أيضاً، أولئك الذين يتصدون لنصرة الإسلام والنبيّ صلى الله عليه و آله ورسالته بمختلف السبل.

بيدَ أنّ المهم هنا أنّ «صالح المؤمنين» فسرت فى روايات عديدة بعلى عليه السلام، وتؤكد على أنّه أفضل واكمل مصداق لهذه الآية، ونظراً لمجيئه جنباً إلى جنب جبرئيل تتجلى عظمة منزلته وأهميّة هذه الفضيلة جيداً.

نعم فقد كان على عليه السلام أفضل نصير لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله مدى حياته بعد اللَّه وجبرئيل الأمين، وعليه فمن يستحق أن يخلف النبيّ صلى الله عليه و آله غيره؟ ألا تدل هذه الروايات على أنّه كان أفضل الامّة، وأفضل الخلق بعد النبى صلى الله عليه و آله؟

والآن لننظر فى اسناد هذه الروايات ونتطرق إلى جانب منها الذى اقتطف بشكل عام من مصادر أهل السنّة:

ينقل «الحاكم الحسكانى» ثمانية عشر حديثاً! فى ذيل هذه الآية من مختلف الطرق، بأنّ المراد من «صالح المؤمنين» على بن أبى طالب عليه السلام، منها: إنّه يروى عن «أسماء بنت

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۲۲

عميس» تقول: سمعت النبيّ صلى الله عليه و آله يقول: «صالح المؤمنين على بن أبى طالب» «۱».

وروى فى الكتاب نفسه عن «ابن عباس» أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال بحق على بن أبى طالب عليه السلام: «هو صالح المؤمنين» «۲».

ويروى عن «عمار بن ياسر» قوله: سمعت علياً عليه السلام يقول: دعانى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وقال:

«ألا- أُبشرك: قلت: بلى يا رسول اللَّه ومازلت مبشراً بالخير، قال: قد أنزل اللَّه فيك قرآناً، قلت: وما هو يا رسول اللَّه؟ قال: قُرنت بجبرئيل، ثم قرأَ: وجبريل وصالح المؤمنين» «۳».

وينقل هذا المعنى أيضاً فى رواية أُخرى عن «حذيفة».

وفى رواية ينقل عن «ابن سيرين»، وفى اخرى عن «على بن أبى طالب» نفسه، أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قال: «صالح المؤمنين، على

بن أبی طالب» «۴».

کما نقل الکثیر من المفسرین هذا الحدیث فی تفاسیرهم، منهم السیوطی فی «الدر المنثور» فی ذیل الآیة عن «ابن عباس» و «أسماء بنت عمیس».

ویقول «البرسوئی» فی تفسیر «روح البیان» بعد نقله لهذه الأقوال فی ذیل هذه الآیة:

منها قول مجاهد فی أنّ المراد من صالح المؤمنین، علی علیه السلام ویؤیده قوله صلی الله علیه و آله: «یا علی أنت منّی بمنزلة هارون من موسی ، ثمّ ینقل آیات عدیدة حیث اطلق الباری تعالی کلمة الصالحین فی القرآن الکریم علی کبار الأنبیاء، ویستنتج بأنّه لمّا کان علی علیه السلام بمنزلة نبی اللَّه «هارون»، فهو جدیر بصفة الصالحین «۵».

بالإضافة إلی أنّ هذه الروایة نقلت من قبل جماعة آخرین مثل «العسقلانی» فی «فتح‌الباری»، و «ابن حجر» فی «الصواعق»، و «علاء الدین المتقی» فی «کنز العمال».

وخلاصة القول: إنّها منقبة عظیمة لا نظیر لها إذ قرن اللَّه تعالی صالح المؤمنین بجبرئیل،

---

(۱) شواهد التنزیل، ج ۲، ص ۲۵۶، ح ۹۸۲.

(۲) المصدر السابق، ص ۲۵۸، ح ۹۸۷.

(۳) المصدر السابق، ص ۲۵۹، ح ۹۸۹.

(۴) المصدر السابق، ص ۲۵۵- ۲۶۳.

(۵) تفسیر روح البیان، ج ۱۰، ص ۵۳.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۲۳

ومصداقها التام والکامل علی ضوء هذه الروایات علی بن أبی طالب علیه السلام.

نعم، فقد کان جنباً إلی جنب النبیّ صلی الله علیه و آله فی جمیع مراحل حیاته، وکان یعد نصیراً وظهیراً له فی الأحوال جمیعاً، وهو اجدر الجمیع بخلافته صلی الله علیه و آله.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۲۵

۹- آیة الوزارة

اشارة

نقرأ فی القرآن الکریم علی لسان موسی علیه السلام: «وَاجْعَلْ لِیّ وَزِیرًا مِنْ أَهْلِی* هارُونَ أَخِی* أُشْدُدْ بِهِ ازْرِی* وَاشْرِکْهُ فِی أَمْرِی». (طه/ ۲۹- ۳۲)

فهذه الآیات تبین طلبات موسی علیه السلام فی بدایة بعثته.

فی ذیل هذه الآیات نشاهد روایات عدیدة أیضاً فی مصادر أهل السنّة، مَفادُها أنّ النبیّ صلی الله علیه و آله قد سأل اللَّه ذلک من أجل تحقیق أهداف رسالته، مع فارق أنّه جعل اسم علی علیه السلام بدل اسم هارون، وفیما یلی تطالعون بعضاً من هذه الروایات:

۱- روی فی «شواهد التنزیل» عن «حذیفة بن اسید» أنّ النبیّ صلی الله علیه و آله أمسک بید علی بن أبی طالب علیه السلام وقال: «ابشرْ، وأبشر، أنّ موسی دعا ربّه أن یجعل له وزیراً من أهله هارون، وإنّی أدعو ربّی أن یجعل لی وزیراً من أهلی علیّاً أخی، أُشْدُدْ به ظهری واشرکه فی أمری» «۱».

۲- فی روایة اخری یروی عن «أسماء بنت عمیس» تقول: سمعت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله یقول: «اللّهم إنّی أقول کما قال أخی موسی اللّهم اجعل لی وزیراً من أهلی، علیاً أخی، أشدد به أزری، واشرکه فی أمری، کی نسبحک کثیراً، ونذکرک کثیراً، إنّک کنت بنا بصیراً» «۲».

بدیهی أنّ المراد من الاشتراک فی عمل النبیّ صلی الله علیه و آله لا تعنی الشرکة فی النبوة، بل الشرکة فی أمر قیادة الامّة.

۳- وفی روایة اخری ینقل حدیثاً عن «أنس بن مالک» لیس فیه إشارة إلی قصة

---

(۱) شواهد التنزیل، ج ۱، ص ۳۶۸، ح ۵۱۰.

(۲) المصدر السابق، ص ۳۷۰، ح ۵۱۱.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۲۶

موسی علیه السلام، بل مطروح فیه مسألة الخلافة والوزارة، فیقول: قال رسول اللَّه علیه السلام: «إنّ خلیلی ووزیری وخلیفتی فی أهلی، وخیر من أترک بعدی، ینجز موعدی ویقضی دینی، علی بن أبی طالب» «۱».

۴- روی هذا الحدیث باختلاف بسیط أیضاً عن سلمان الفارسی «۲».

۵- ویروی الحافظ أبو نعیم الاصفهانی وهو من علماء القرن الخامس الهجری فی کتاب «مانزل من القرآن فی علی» ماتضمنهُ حدیث «أسماء بنت عمیس» عن «ابن عباس»، وفی نهایته یقول ابن عباس: بعد دعاء النبی صلی الله علیه و آله هذا سمعت منادیاً ینادی: «یا أحمد قد اوتیت ما سألت» «۳».

۶- وینقل «الفخر الرازی» فی تفسیره الکبیر هذه الروایة بمزید من التفصیل عن «أبی ذر الغفاری» عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله إلی أن یقول: لما تصدق علی علیه السلام بخاتمه ... فأقبل السائل حتی أخذ الخاتم بمرأی النبی صلی الله علیه و آله فقال: «اللّهم إنّ أخی موسی علیه السلام سألک فقال: ربّ اشرح لی صدری (إلی قوله) وأشرکه فی أمری فانزلت قرآناً ناطقاً، سنشد عضدک بأخیک ونجعل لکما سلطاناً، اللّهم وأنا محمد نبیّک وصفیک فاشرح لی صدری ویسر لی أمری واجعل لی وزیراً من أهلی علیاً اشدد به ظهری»، قال أبو ذر: فواللَّه ما أتمّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله هذه الکلمة حتی نزل جبرئیل فقال: یامحمد اقرأ: «انَّمَا وَلِیُّکُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ...» إلی آخرها «۴».

إنّ إسناد وطرق هذه الروایة والکتب التی رویت فیها من الکثرة بحیث لا یستوعبها هذا الموجز وقد أُشیر إلی جانب منها فقط.

مضمون آیة وروایات «الوزارة»:

تقول هذه الروایات بجلاء: إنّ النبیّ صلی الله علیه و آله دعا واستجاب له اللَّه تعالی کما استجاب

---

(۱) شواهد التنزیل، ج ۱، ص ۳۷۴، ح ۵۱۶.

(۲) المصدر السابق، ج ۱، ص ۷۷، ح ۱۱۵.

(۳) ملحقات احقاق الحق، ج ۲۰، ص ۱۲۸.

(۴) تفسیر الکبیر، ج ۱۲، ص ۲۶ (ذیل الآیة ۵۵ من سورة المائدة).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۲۷

لموسی وکان دعاؤه أن یجعل له وزیراً من أهله یشارکه فی أمره، ویشدَّ به أزره، کما هو هارون لموسی علیه السلام تماماً.

وکما جرت الإشارة فإنّ من المسلَّم به لیس المراد من الشرکة الاشتراک فی أمر النبوة، إذ لا نبی بعد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله

الـذى كان خاتم النبيين، ومعلوم أيضاً ليس المراد المشاركـة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإرشاد، وتبليغ الرسالـة فحسب، لأنّهـا تكليف المسـلمين جميعـاً، فيجب على الجميع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وعلى الجميع كل حسب وسـعه نشـر الإسـلام وهداية الآخرين.

على هـذه الأسـاس، فـالمراد مقـام خاص غير النبوّة والتكليف العام بالأمر بالمعروف، وهل يمكن أن تكون هـذه القضـية سوى القيادة والوزارة من قبل البارى عزّ وجلّ؟ والنتيجة المباشرة لهذا الأمر هى أنّه عليه السلام سيكون خليفة النبى صلى الله عليه و آله.

وبعبارة اخرى، ثمّـة تكاليف لا تمثل واجب جميع الناس، وهى صيانة الرسالـة الإلهيّة من كل تحريف وانحراف، وكذلك توضـيح ما ليس يـدركه الناس فى مضـمون الـدين، وقيادة الامّـة أثناء غياب النبى صـلى الله عليه و آله وبعد رحيله، والمساعدة المؤثرة فى تحقيق أهدافه، حيث تختصر جميعها فى كلمة وزير «۱».

وهذا ما سأله النبىّ صلى الله عليه و آله من اللَّه بحق على عليه السلام، واستجاب اللَّه دعاءه.

وهنا يتضح الرد على وساوس بعض المفسرين الذين لايطيقون الاذعان لمثل هذه المناقب بحق على عليه السلام.

فهم يحاولون تفسـير «الشـركة فى أمر النبىّ صـلى الله عليه و آله» بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر «۲»، والحال أنّنا نعلم أنّها واجب المسلمين جميعاً، ولا تحتاج إلى تعيين وزير من قبل اللَّه تعالى.

---

(۱) «الوزير» من مادة «وزر»، حيث إنّ الوزير يتحمل ثقل المسؤوليات المختلفة على عاتقه، فقد اطلقت هذه الكلمة عليه.

(۲) تفسير روح المعانى، ج ۱۶، ص ۱۸۵.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۲۹

۱۰ و ۱۱- آيات سورة الاحزاب

اشارة

هنالك آيات فى سورة الأحزاب نزلت بحق على عليه السـلام على ضوء قول طائفة من المفسـرين، أو أنّها ناظرة إلى تضـحياته الفريدة من نوعها.

فنقرأ فى قوله تعالى «مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَاعَاهَدوُا اللَّهَ عَلَيهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا». (الاحزاب/ ۲۳)

ويقـول تعـالى (أى بعـد آيـتين): «وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِيـنَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِـمْ لَـمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُـؤْمِنِينَ الْقِتَـالَ وَكَـانَ اللَّهُ قَـوِيًّا عَزِيزاً». (الاحزاب/ ۲۵)

نحن نعلم أنّ معركة الأحزاب كانت من أهم الغزوات فى الإسـلام، فهى كما يتضح من اسـمها تعتبر صـراع جميع أعداء الإسـلام ضـد المسـلمين، وتظافرت كافـة الفرق التى تعرضت مصالحها للخطر نتيجة لانتشار الدين الإسـلامى، من أجل القضاء على الإسـلام ورسول اللَّه صلى الله عليه و آله، ولتطمئن قلوبهم إلى الأبد!.

فهناك سبع عشـرة آية من سورة الأحزاب شرحت أحوال هذه المعركة، وقد توضحت فيها دقائق الامور وخفاياها، وقد فصلت أحوال مختلف فرق المسلمين فى هذا المضمار بدقة وظرافة.

لقـد مرّت على المسـلمين لحظات حرجـة وخطيرة للغايـة فى هـذه المعركـة، فحشود العـدو، وقلة الجيش الإسـلامى فى مقابلهم (ذكر المؤرخون عـدد جيش الأحـزاب بعشـرة الآـف رجل، والجيش الإسـلامى بثلاثـة الآف رجل) بالإضافـة إلى اسـتعداد العـدو من حيث

المعدات الحربية وقلة عدّة المسلمين.

فالآيتان من ضمن هذه الآيات السبع عشرة.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۳۰

ويروى صاحب «شواهد التنزيل» فى ذيل الآية الاولى بسنده عن على عليه السلام قوله: «فينا نزلت رجال صدقوا ما عاهدوا اللَّه عليه، ثمّ قال: فأنا واللَّه المنتظر» «۱».

ويروى عن «عبد اللَّه بن عباس» أيضاً: إنّ الآية «مِّنَ الْمُؤمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيهِ» ناظرة إلى على عليه السلام والحمزة وجعفر، وعبارة «وَمِنْهُم مَّن يَنْتَظِرُ» إشارة إلى على عليه السلام الذى كان ينتظر الشهادة فى سبيل اللَّه، «فواللَّه لقد رُزق الشهادة» «۲».

وروى هذا المعنى أيضاً فى كل من «الصواعق المحرقة» لابن حجر، و «الفصول المهمّة» لابن الصباغ المالكى، و «الكشف والبيان» للنيسابورى «۳».

البحث فيما يتعلق بالآية الثانية أكثر اتساعاً من هذا، فقد قال الكثير من المحدثين والمفسرين: إنّ «كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ القِتَالَ ...» إشارة إلى على عليه السلام وضربته المؤثرة التى وجهها لعمر بن عبد ود وكفى المؤمنين قتال الكفار.

ومن بين الذين رووا هذا المعنى هو «عبد اللَّه بن مسعود»، فعندما كان يقرأ هذه الآية كان يقول فى تفسيرها: «و كفى اللَّه المؤمنين القتال، بعلى بن أبى طالب» «۴».

ويروى «الحاكم الحسكانى» عدّة أحاديث بهذا المضمون عن عبد اللَّه بن مسعود «۵».

ويروى عن ابن عباس أيضاً أنّه لمّا قرأ آية «وكفى اللَّه المؤمنين القتال» قال: «كفاهم اللَّه القتال يوم الخندق بعلى بن أبى طالب، حين قتل عمرو بن عبد ود» «۶».

كما روى عن حذيفة الصحابى المعروف حديثاً مفصّلًا حول نزال على عليه السلام لعمرو بن عبد ود وقتله، ثمّ يقول: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «أبشر يا على! فلو وزن اليوم عملك بعمل امّة

---

(۱) شواهد التنزيل، ج ۲، ص ۱ و ۲، ح ۶۲۷.

(۲) المصدر السابق.

(۳) على فى الكتاب والسنّة، ص ۲۱۸.

(۴) شواهد التنزيل، ج ۲، ص ۳، ح ۶۲۹.

(۵) المصدر السابق، ح ۶۳۰ و ۶۳۱ و ۶۳۲.

(۶) المصدر السابق، ص ۵، ح ۶۳۳.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۳۱

محمد لرجح عملك بعملهم وذلك أنّه لم يبق بيت من بيوت المسلمين إلّاوقد دخله عزٌ بقتل عمرو» «۱».

وينقل نفس المعنى عن «ابن حكيم» عن جده عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

ينقل «السيوطى» فى الدر المنثور عن «ابن أبى حاتم»، و «ابن مردويه»، و «ابن عساكر» عن «ابن مسعود» أنّه لما كان يقرأ هذه الآية، يقول (فى شرحها): «وكفى اللَّه المؤمنين القتال بعلى بن أبى طالب» «۲».

ونقل هذا المعنى العلّامة «الشيخ سليمان القندوزى» فى «ينابيع المودة» «۳».

ونقل فريق آخر يطول المقام بذكر أسمائهم، هذا الحديث أيضاً.

والجدير بالاهتمام أنّ مضمون هذه الآيات ومن خلال الشرح المذكور هو أنّ علياً عليه السلام كان السبب فى انتصار المسلمين بإذن

اللَّه فى ذلك الميدان الخطير للغاية، حيث كانت معركة الأحزاب السهم الأخير بيد العدو، وهى أصعب مؤامرات المشركين ضد الإسلام، نعم، فقد كان مجريا للإرادة الإلهيّة، واحد الأسباب المهمّة لانتصار المسلمين فى هذه المعركة، فلا تشاهد هذه المنقبة لأىأحد من امّة محمد صلى الله عليه و آله سوى على عليه السلام.

ألا يستحق من يفوق عمله هذا عمل كافة امّة محمد صلى الله عليه و آله، خلافة النبيّ صلى الله عليه و آله؟!

سؤال:

ربّما يقال هنا: إنّه قد جاء فى الآية التى تشير بالإجمال إلى قصة معركة الأحزاب:

«يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ اذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيراً». (الاحزاب/ ۹)

طبقاً لهذه الآية، فأحد أسباب هزيمة الاحزاب كانت الريح العاصفة التى هبت عليهم، والسبب الآخر الجنود غير المرئيين (الملائكة)، وعليه فكيف يمكن القول: إنّ علياً عليه السلام كان سبب الانتصار؟

---

(۱) شواهد التنزيل، ج ۲، ص ۷، ح ۶۳۴.

(۲) تفسير در المنثور، ج ۵، ص ۱۹۲.

(۳) ينابيع المودة، ص ۹۴.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۳۲

الجواب: هو أنّ الانتصار فى معركة ما، ربّما تكون له عوامل متعددة كالعامل العسكرى، والطبيعى، والمعنوى، وغيرها، وممّا لا شك فيه أنّ ثلاثة عوامل قد تظافرت فى هذه المعركة بحيث لا يتسنّى انكار أى منها أبداً، وهى: مصرع عمربن عبد ود فارس الأحزاب على يد على عليه السلام، وهبوب الرياح، وجيش الملائكة، ففى جميع الحالات التى تتظافر فيها عوامل عديدة فى صنع حادث ما، يمكن نسبة ذلك الحادث إلى واحد منها أو إليها جميعاً.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۳۳

۱۲- آية البينة والشاهد

«أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحمَةً أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ». (هود/ ۱۷)

لقد أورد «الحاكم الحسكانى» فى «شواهد التنزيل» روايات عديدة تناهز ال ۱۶ رواية فى ذيل هذه الآية تشهد بأنّ المراد من الشاهد فى الآية أعلاه على عليه السلام «۱»، من ضمنها ما نقله عن «أنس بن مالك» فى أنّ المراد من عبارة «أَفَمَن كَان عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ...»، محمد صلى الله عليه و آله، والمراد من عبارة «وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ...»، على بن أبى طالب. فهو كان لسان حال النبيّ صلى الله عليه و آله لأهل مكة فى نقض العهد معهم».

وينقل فى رواية اخرى عن «ابن عباس» أنّه قال فى تفسير: « «وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنهُ ...»: هو على خاصّة» «۲».

وينقل عن زإذان (أحد أصحاب على عليه السلام) عن على عليه السلام أنّه قال: «لو ثنيت لى الوسادة فجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الانجيل بانجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم بقضاء يزهر يصعد إلى اللَّه، واللَّه مانزلت آية فى ليل أو نهار ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر إلّاوقد عرفت أى ساعة نزلت وفيمن نزلت، وما من قريش رجل جرى عليه المواسى إلّاقد نزلت فيه آية من كتاب اللَّه تسوقه إلىجنة أو تقوده إلى نار، فقال قائل: فما نزل فيك يا أمير المؤمنين؟ قال: «افَمَن

كَان عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتلُوُه شَاهِدٌ مِّنهُ» محمد صلى الله عليه و آله على بيّنة من ربّه وأنا الشاهد منه أتلو آثاره» «۳».

---

(۱) شواهد التنزيل، ج ۱، ص ۲۸۰، ح ۳۸۳.

(۲) المصدر السابق، ص ۳۶۹، ح ۳۸۷.

(۳) شواهد التنزيل، ج ۱، ص ۲۸۰، ح ۳۸۴.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۳۴

وأورد السيوطى فى تفسير «الدر المنثور» أيضاً روايات عديدة فى هذا الصدد، منها أنّه ينقل عن «ابن أبى حاتم»، و «ابن مردويه»، و «أبى نعيم» عن على بن أبى طالب، أنّه قال: «ما من رجل من قريش إلّانزل فيه طائفة من القرآن».

فسأله رجل: مانزل فيك؟ قال عليه السلام: أما تقرأ سورة هود: «أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه» رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على بيّنة من ربّه، وأنا شاهد منه «۱».

ثمّ أورد عدّة أحاديث بهذا المعنى «۲».

وفى تفسير «روح المعانى» وبعد نقله لرواية «ابن أبى حاتم»، و «ابن مردويه»، عن على عليه السلام فى أن نزول هذه الآية بحقه عليه السلام، ويروى هذا المعنى أيضاً فى حديث آخر عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قال: «أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ»، أنا، «وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنهُ» على يقول:

لقد استدل بعض الشيعة أَنَّ علياً (كرم اللَّه وجهه) هو خليفة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لأنّ اللَّه تعالى سمّاه شاهداً فى قوله: «انَّا أَرْسَلنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً». (الفتح/ ۸)

فينبغى أن يكون مقام على كمقامه صلى الله عليه و آله، وحيث أخبر أنّه يتلوهُ أى يعقبه ويكون بعده دلّ على أنّه خليفته.

ثمّ يقول: هذا الخبر لا يكاد يصح، وبعد ذلك ينقل رواية تفيد أنّ المراد من «الشاهد» زمان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله «۳».

وقد توسل مفسّر المنار الذى لا يقل تعصباً عن الآلوسى فى روح المعانى ازاء الشيعة والقضايا المتعلقة بإمامة على عليه السلام بكل ما لديه فى تفسير الآية وأوقع نفسه فى عناء عجيب، فمن جملة مايقول: ويجوز أن تكون البيّنة على هذا علمه اليقينى الضرورى بنبوّته كما تقدم، ويكون الشاهد الذى يتلوه منه القرآن وهو الأظهر عندى وروى عن .... (سعيد بن جبير): إنّ البيّنة القرآن والشاهد جبريل عليه السلام ... ويتلوه من تلاوة القرآن لا من التلو والتبعية

---

(۱) تفسير در المنثور، ج ۳، ص ۳۲۴، (ذيل آية مورد البحث).

(۲) المصدر السابق.

(۳) تفسير روح المعانى، ج ۱۲، ص ۲۸.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۳۵

فهو الذى كان يقرأه على النبىّ صلى الله عليه و آله عند نزوله به وفى الشاهد روايات اخرى ضعيفة ومنها أنّه على عليه السلام يرويه الشيعة ويفسرونه بالإمامة. «۱».

ويالأسف، فقد كانت الأحكام والفرضيات المسبقة أهم حائل دون فهم آيات القرآن والروايات الإسلامية المشهورة، وهنا ثمّة مسائل تحظى بالأهميّة، منها:

۱- المدهش أن يقال حول الرواية التى تتمتع بهذه الطرق المختلفة فى الكتب المشهورة لدى أهل السنّة إنّها رواية ينقلها الشيعة، ألم يشاهد مفسّر المنار هذه الروايات الواردة فى «الدر المنثور» و «شواهد التنزيل» بل حتى «روح المعانى» بشأن تفسير الشاهد بعلى عليه

السلام، ویدعی: إنّ هذه الروایة نقلها الشیعة فقط، أم یجب القول أنّ کل روایة تصب فی صالح مذهب التشیع هی روایة شیعیة، وإن رواها العشرات من رواة أهل السنّة؟!

۲- هناک طائفة من مفسری السنّة یؤمنون بأنّ المراد من الشاهد «لسان» النبیّ صلی الله علیه و آله (المعنی الذی لا یشاهد فی أی موضع من القرآن).

بینما یعتبر صاحب المنار أنّها روایة ضعیفة، لعله التفت إلی هذه الحقیقة وهی أنّ تفسیر «الشاهد» ب «لسان» النبی صلی الله علیه و آله، وکذا «یتلوه» ب «تلاوة القرآن» ملیء بالتکلف.

فیصبح المعنی الإجمالی للآیة: «أفمن کان یمتلک الدلیل الواضح من ربّه وهو القرآن، ویتلوه لسانه ویشهد علی ذلک ... کمن لیس کذلک»، فمفهوم هذا القول هو: إنّ النبیّ صلی الله علیه و آله شاهد علی نفسه، فهل یمکن للمدعی أن یکون شاهداً علی نفسه؟ أم یجب أن یکون الشاهد شخصاً آخر؟ ألم یأت النبیّ صلی الله علیه و آله بالقرآن، فکیف یکون لسان النبی صلی الله علیه و آله شاهد علی القرآن؟

وهل أنّ لسان النبیّ صلی الله علیه و آله لیس منه؟ فکیف نجعلُ جزءً منه شاهداً علیه؟ إنّ الذی لا یرید الاعتراف بهذه الحقائق سیقع فی هذه المتاهات.

۳- ما قیل من أنّ المراد من «الشاهد» هو «جبرئیل»، والحال أنّ أیّا من الناس لم یره ویجهل وجوده، فکیف یتفق ومفهوم الشهادة؟

فهل نحن مجبورون علی إنشاد شعر نتورط فی قافیته؟

۴- الأعجب ما یقوله الآلوسی فی روح المعانی: المراد من «البیّنة» القرآن و «الشاهد» صفته الاعجازیة.

---

(۱) تفسیر المنار، ج ۱۲، ص ۵۳.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۳۶

والحال أنّ کون القرآن «بیّنة» یکون من خلال اعجازه فحسب، ولا یعد القرآن «بیّنة» بدون صفاته الاعجازیة، علی هذا الأساس ستکون «البیّنة» و «الشاهد» واحداً، وهذا لا یتفق ومضمون الآیة.

۵- إنّ تفسیر «البیّنة» ب «العلم الیقینی الباطنی لرسول اللّه صلی الله علیه و آله» بنبوته، ومن ثمّ تفسیر «الشاهد» بالقرآن الکریم من الغرائب أیضاً، فلابدّ أولًا من البحث عن معنی «البیّنة» فی القرآن نفسه، فقد استعملت «البیّنة» فی القرآن الکریم ۱۹ مرة، و «البینات» وهی جمعها ۵۲ مرة، وعادة ماجاءت بمعنی «المعجزة» أو «الکتب السماویة والقرآن الکریم» لا بمعنی العلم الباطنی الفطری اللازم.

وعلیه فلو أردنا تجاوز التکلفات، فالبیّنة فی الآیة المذکورة تعنی القرآن الذی هو المعجزة الخالدة لنبی الإسلام صلی الله علیه و آله، والشاهد شخص غیر النبیّ صلی الله علیه و آله حیث یشهد علی حقانیته صلی الله علیه و آله، أمّا الذین لا یرغبون فی أن یفضی هذا التفسیر إلی حقانیة مذهب التشیع فهم علی استعداد للخوض فی کل أشکال التکلف من أجل نبذ هذا التفسیر، لئلا یعاکس حکمهم المسبق الخط الصحیح.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۳۷

۱۳- آیة الصدّیقون

«وَالَّذِینَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولئِکَ هُمُ الصِّدِّیقُونَ وَالشُّهَداءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ اجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ». (الحدید/ ۱۹)

نقل فی «شواهد التنزیل» عن «ابن أَبی لیلی عن أبیه: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «الصدیقون ثلاثة: حبیب النجار مؤمن آل یاسین، وحزبیل (حزقیل) مؤمن آل فرعون، وعلی بن أبی طالب الثالث وهو أفضلهم» «۱».

وورد هذا الحديث أيضاً فى كتاب «الفضائل» لأحمد بن حنبل، و «معرفة الصحابة» لأبى نعيم، و «المناقب» لابن المغازلى «۲».

وفى نفس كتاب «شواهد التنزيل» نقل اربعة أحاديث اخرى بهذا المعنى عن طرق اخرى «۳».

ونقل الحديث الآنف الذكر فى كتاب «ينابيع المودة» للشيخ سليمان القندوزى عن مسند أحمد، وأبى نعيم، وابن المغازلى، والموفق الخوارزمى، عن «أبى ليلى» و «أبى ايوب الأنصارى»، أنّهما قالا: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «الصديقون ثلاثة، حبيب النجار، وحزقيل مؤمن آل فرعون ... وعلى بن أبى طالب وهو أفضلهم» «۴».

ونقل هذا المعنى أيضاً فى «كنز العمال» عن ابن عباس «۵».

---

(۱) شواهد التنزيل، ج ۲، ص ۲۲۳، ح ۹۳۸.

(۲) تعليقات- وحواشى- المحمودى على شواهد التنزيل، ج ۲، ص ۲۲۴.

(۳) المصدر السابق، ح ۹۳۹ و ۹۴۰ و ۹۴۱ و ۹۴۲.

(۴) ينابيع المودة، ص ۱۲۴، الباب ۴۲.

(۵) كنز العمال، ج ۱۱، ص ۶۰۱، ح ۳۲۸۹۷.

كما نقل «احقاق الحق» هذا الحديث عن كتب وطرق مختلفة «۱».

وبالرغم من أنّ هذه الروايات لا تتناول قضية الخلافة بصورة مباشرة، إلّاأنّ إثبات صفة صديق الامّة لعلى عليه السلام ترجح كفة ميزانه فيما لو قيس مع غيره، حيث تكشف عن أهليته للخلافة أكثر ممّن سواه.

والمدهش أنّه واستناداً إلى هذه الروايات الكثيرة أنّ علياً عليه السلام صديق هذه الامّة، إلّاأنّ البعض منحوا هذا اللقب إلى الآخرين، حيث نقلوا فى ذيل هذه الآية أنّ الصديقين ثمانية، منهم أبو بكر وعلى عليه السلام، بَيدَ أنّ هذه الرواية ليست عن النبىّ صلى الله عليه و آله، فالروايات التى نقلت عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله تصف علياً عليه السلام بأنّه صديق هذه الامّة.

ويجدر ذكر هذا الأمر وهو أنّ عمومية مفهوم الآية لا تتعارض وهذه الروايات، فقد قلنا مراراً: إنّ مثل هذه الروايات ناظرة إلى الأكمل، أى أنّها تقول: إنّ أكمل مصداق ل «الصديق» فى الامّة الإسلامية، هو على عليه السلام الذى كان صادقاً إلى أبعد الحدود، وقد سبق رجال هذه الامّة إيماناً، وصدّق برسول اللّه صلى الله عليه و آله، واطلق عليه النبى صلى الله عليه و آله لقب «الصديق».

وستطالعون اموراً كثيرة فى هذا المضمار أيضاً فى تفسير الآية اللاحقة.

---

(۱) احقاق الحق، ج ۳، ص ۲۴۳.

۱۴- آية النور

«يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ». (الحديد/ ۲۸)

يروى فى «شواهد التنزيل» عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية، أنّ المراد من عبارة «يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ»، الحسن والحسين عليهما السلام الذين وهبهما اللّه تعالى لعلى عليه السلام، والمراد من «وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ»، على بن أبى طالب عليه السلام (حيث إنّه نبراس الامّة الإسلامية ووسيلة هدايتها) «۱».

إنّ «ابن عباس» لم يقل هذا اجتهاداً منه، ففي رواية اخرى يروى في الكتاب نفسه بسنده عن «جابر بن عبد اللّه» عن النبيّ صلى الله عليه و آله أنّه قال في تفسير «يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَّحْمَتِهِ ...»: «الحسن والحسين عليهما السلام»، وقال في تفسير «وَيَجْعَلْ لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ ...»: «علي بن أبي طالب عليه السلام» «۲».

ويروى في الكتاب نفسه عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال في تفسير هذه الآية: «من تمسك بولاية علي فله نور» «۳». (تأملوا جيداً).

وفي تأييده لهذا المعنى يروى عن «أبي سعيد الخدري» أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال: «أما واللّه لا يحب أهل بيتي عبد إلّاأعطاه اللّه عزّ وجلّ نوراً حتى يرد عليَّ الحوض» «۴».

ونقل في «كنز العمال» عن علي عليه السلام أنّه قال: «أنا عبد اللّه وأخو رسوله وأنا الصديق

---

(۱) شواهد التنزيل، ج ۲، ص ۲۲۷، ح ۹۴۳.

(۲) المصدر السابق، ص ۲۲۸، ح ۹۴۴.

(۳) شواهد التنزيل، ج ۲، ص ۲۲۸، ح ۹۴۶.

(۴) المصدر السابق، ج ۲، ص ۲۲۸، ح ۹۴۷.

الأكبر لا يقولها بعدي إلّاكذّاب مفترٍ، ولقد صليت قبل الناس سبع سنين» «۱».

مشيرا إلى أنَّهُ أول من آمن برسول اللّه صلى الله عليه و آله من الرجال، وعليه فإنّه الجدير بحمل لقب «الصديق الأكبر».

وفي نفس الكتاب، نقل عن «معاذ بن عدوية» قوله: سمع علياً عليه السلام يقول على المنبر في البصرة: «أنا الصديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر وأسلمت قبل أن يسلم» «۲».

على أيّة حال، فهذه منقبة من أفضل المناقب، وصاحبها أجدر من غيره بخلافة النبي الأكرم صلى الله عليه و آله.

لقد أورد العلّامة الأميني رحمه الله في الجزء الثالث من الغدير بحثاً مطولًا بشأن إيمان علي عليه السلام بالنبي صلى الله عليه و آله على أنّه أول من آمن من الرجال، وذكر مصادر كثيرة عن أشهر كتب علماء أهل السنة، حتى أنّه ذكر كثيرا من الشعر لشعراء الإسلام أيضاً كشاهد على ذلك «۳».

وسنخصص فصلًا كاملًا تحت عنوان «المسلم الأول»، وسيجرى البحث عن الكثير من القضايا هناك «إن شاء اللّه».

---

(۱) كنزل العمال، ج ۱۳، ص ۱۲۲، ح ۳۶۳۸۹.

(۲) المصدر السابق، ص ۱۶۴، ح ۳۶۴۹۷.

(۳) الغدير، ج ۳، ص ۲۱۱- ۲۴۱.

۱۵- آية الانذار

«وَانْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقرِبينَ* وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ».

(الشعراء/ ۲۱۴- ۲۱۵)

إنَّ هذه الآيات لها قصة معروفة حيث ذكرها جميع مؤرخي الإسلام تقريبا.

وفى تفسير هذه الآية، تشاهد رواية معروفة لدى الخاص والعام كما يقول «الطبرسى» فى «مجمع البيان»، وكذا قول «الحاكم الحسكانى» فى «شواهد التنزيل»، يقول «البراء بن عازب»: لمّا نزلت آية «وَانْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرِبِينَ» جمع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بنى عبد المطلب وهم يومئذٍ أربعون رجلًا، الرجل منهم يأكل المسنة، ويشرب العس، فأمر علياً عليه السلام برجل شاة فأدمها ثمّ قال: ادنوا بسم اللَّه فدنا القوم عشرة عشرة فأكلوا حتى صدروا، ثم دعا بقعب من لبن فجرع، منه جرعة ثم قال لهم: اشربوا بسم اللَّه فشربوا حتى رووا، فبدرهم أبو لهب فقال: هذا ما سحركم به الرجل. فسكت صلى الله عليه و آله يومئذٍ ولم يتكلّم، ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب ثم أنذرهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال: يا بنى عبد المطلب إنّى أنا النذير إليكم من اللَّه عزّ وجلّ والبشير فأسلموا وأطيعونى تهتدوا، ثم قال: من يؤاخينى (منكم) ويؤازرنى ويكون وليى ووصيى بعدى وخليفتى فى اهلى ويقضى دينى. فسكت القوم.

فأعادها ثلاثاً، كل ذلك يسكت القوم ويقول على عليه السلام: أنا، فقال فى المرة الثالثة: أنت، فقام القوم وهم يقولون لأبى طالب: أطع ابنك فقد أُمِّرَ عليك «۱»، نقل هذا الحديث فى هوامش شواهد التنزيل عن «عبد اللَّه بن عباس» وكذلك عن «أبى رافع».

وينقل عن «خصائص النسائى» أنّ «ربيعة بن ناجذ» يقول: إنّ رجلًا قال لعلى عليه السلام:

---

(۱) شواهد التنزيل، ج ۱، ص ۴۲۰ (مع الاختصار)؛ وتفسير مجمع البيان، ج ۷ و ۸، ص ۲۰۶.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۴۲

يا أمير المؤمنين بم ورثت ابنَ عمك دون أعمامك؟ قال: جمع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بنى عبدالمطلب فصنع لهم مداً من الطعام فأكلوا حتى شبعوا، وبقى الطعام كما هو كأنّه لم يُمس، ثم دعا بغمر فشربوا حتى رووا، وبقى الشراب كأنّه لم يُمس، أو لم يُشرب، فقال: «يا بنى عبد المطلب إنّى بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة وقد رأيتم من هذه الآية ما قد رأيتم، أيّكم يبايعنى على أنّ يكون أخى وصاحبى ووارثى؟» فلم يقم إليه أحد فقمت إليه وكنت أصغر القوم فقال: اجلس، حتى كان فى الثالثة ضرب بيده على يدى، ثم قال على عليه السلام: بذلك ورثت ابن عمى دون عمى «۱».

وقد نقل «الطبرى» المؤرخ الشهير هذا الحديث أيضاً بالتفصيل، ويقول تعقيباً عليه: إنّ النبىّ صلى الله عليه و آله، أومأ إلى على عليه السلام وقال: «إنّ هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا». فقام القوم يضحكون ويقولون لأبى طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع «۲».

ثمّ نقل الطبرى هذا المعنى بطرق اخرى

من الامور الظريفة أنّ الطبرى المؤرخ والمفسر السنّى الكبير، الذى نقل قصة يوم الانذار فى «تاريخه» بهذا النحو، عندما يأتى إلى «التفسير» (التفتوا إلى أنّ للطبرى تفسيراً مفصلًا فى ۳۰ جزء، عدا التاريخ) ويصل إلى هذه الآية ويروى الحادثة المذكورة، يقول: إنّ النبىّ عليه السلام قال: «أيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أنّ يكون اخى وكذا وكذا ...، قال على عليه السلام: أنا يا نبىَّ اللَّه أكون وزيرك ... فقال النبىّ صلى الله عليه و آله: إنّ هذا أخى وكذا وكذا» «۳».

فكما تلاحظون فإنّ هذا المفسّر المعروف يعبّر «بكذا وكذا» بدلًا عن وصيى وخليفتى فيكم، وكرر هذا الأمر مرّتين لئلا يقع تعبير «الوصى والخليفة» بأيدى اتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام ويقدمونه وثيقة على خلافة على عليه السلام، ويصاب حكم الطبرى وأمثاله المسبق الملىء بالتعصب!.

فهل هذا هو معنى المحافظة على الأمانة فى تدوين ونقل أحاديث رسول اللَّه صلى الله عليه و آله؟ ألم

---

(۱) تعليقات شواهد التنزيل، ج ۱، ص ۴۲۳.

(۲) تاريخ الطبرى، ج ۲، ص ۶۳.

(۳) تفسير جامع البيان، ج ۱۹، ص ۷۵، ذيل الآية ۲۱۴ من سورة الشعراء.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۴۳

يكن يفكر بأن تعبيره التاريخى سيوضع يوماً أمام تعبيره التفسيرى ويقام القياس بينهما، وتجرى محاكمتهما؟ ويجدر الانتباه إلى أنّ الطبرى ليس فريداً فى القيام بهذا الفعل، فهنالك الكثير ممن مارسوا ويمارسون هذه الأفعال.

فقد نقل الآلوسى هذه الرواية أيضاً فى روح البيان بشكل ناقص ومعيب، ثمّ يضيف:

«ومن الروايات ما يتمسك به الشيعة فيما يدعونه من أمر الخلافة وهو مؤول أو ضعيف أو موضوع» «۱».

إنّ الأحكام المسبقة لهذا المفسر المعروف عجيبة حقاً، فهو يقول: بما إنّ هذه الرواية تصب فى صالح الشيعة فأمّا يجب أن توجه، أو تضعف، أو تعتبر مزورة، أى أنّ أساس الحكم لايستند إلى الحقائق التاريخية والقرآن والسنّة، بل إلى الأحكام المسبقة وكل ما يخالفها يجب غض الطرف عنه وتبريره وتضعيفه.

ومن البديهى أنّه لو اجتمع جميع الأنبياء والكتب السماوية لعجزوا عن النفوذ إلى عقلية من يمتلك مثل هذا النمط من التفكير، وتغييره.

لقد ذكر «أحمد بن حنبل» أحد أئمّة مذاهب السنّة فى كتابه المعروف ب «مسند أحمد» قصة يوم الانذار إلى أن يقول: قال على عليه السلام قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: لما نزلت هذه الآية «وانذر عشيرتك الاقربين ...» قال: جمع النبى صلى الله عليه و آله من أهل بيته فاجتمع ثلاثون فأكلوا وشربوا فقال صلى الله عليه و آله: من يضمن عنى دينى ومواعيدى ويكون معى فى الجنّة ويكون خليفتى فى أهلى ... فقلت: أنا «۲».

يقول ابن أبى الحديد المعتزلى: أمّا خبر الوزارة (إشارة إلى الحديث الذى يثبت وزارة على عليه السلام) فقد نقله الطبرى فى تاريخه عن عبد اللَّه بن عباس عن على بن أبى طالب عليه السلام قال:

لما انزلت هذه الآية «وانذر عشيرتك الاقربين ...» على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله دعانى ... ثمّ نقل القصة إلى أن ذكر قول الرسول صلى الله عليه و آله «وقد أمرنى اللَّه أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرنى على

---

(۱) تفسير روح المعانى، ج ۱۹، ص ۱۳۵ ذيل آية البحث.

(۲) مسند أحمد، ج ۱، ص ۱۱۱ (مع شىء من الاختصار).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۴۴

هذا الأمر على أنّ يكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم؟ فقال على عليه السلام: أنا يارسول اللَّه أكون وزيرك عليه، فقال الرسول صلى الله عليه و آله: هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم» «۱».

انتبهوا إلى أنّه قد جاء فى هذه الرواية وبعض الروايات المتقدمة التعبير بخليفتى فيكم، ويتضح من ذلك أنّ التعبير بالاهل فى الروايات الاخرى يفيد هذا المعنى أيضاً (تأملوا جيداً).

ذكر «ابن الاثير» «۲» هذه الحادثة أيضاً بالتفصيل فى كتابه «الكامل»- بل وأكثر تفصيلًا من أغلب المحدثين والمؤرخين إلى أن يقول: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «أيّكم يؤازرنى على هذا الأمر على أنّ يكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم؟ فأحجم القوم عنها جميعاً»، فقال على عليه السلام: «أنا يارسول اللَّه أكون وزيرك عليه ... فقال الرسول صلى الله عليه و آله: إنّ هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا» «۳».

واللطيف أنّه قد عبر ب «خليفتى فيكم» فى هذا الحديث أيضاً، وفى الحقيقة أنّها احدى معجزات النبى صلى الله عليه و آله إذ أنّه قال

هذه العبارة بحزم لعلى عليه السلام فى ذلك الحين، ولم يكن له من العمر سوى ثلاثة عشرة سنة، فمن يستطيع التنبؤ بأنّ هذا الصبى ذا الثلاث عشر عاماً سيصبح من أعظم رجال البشرية فى المستقبل، ويستحق خلافة النبى صلى الله عليه و آله، والكل يسمعون له ويطيعونه؟

واللطيف أيضاً: إنّ النبىّ صلى الله عليه و آله قال هذا فى الأيّام الاولى لدعوته، يوم الانذار، وكذلك فى الأشهر الأخيرة من حياته المباركة، أليس هذا الكلام أفضل دليل على إمامة على عليه السلام؟

---

(۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۳، ص ۲۱۰.

(۲) «ابن الاثير» من أشهر المؤرخين حيث عاش فى القرن السابع، و تاريخه يقع فى ۱۳ جزء.

(۳) الكامل، ج ۲، ص ۶۳.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۴۵

۱۶- آية مرج البحرين

«مَرَجَ البَحرَينِ يَلتَقِيَانِ* بَيْنَهُمَا بَرزَخٌ لَّايَبْغِيَانِ* فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ* يَخْرُجُ مِنْهُما اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرجَانُ». (الرحمن/ ۱۹- ۲۲)

لقد وردت أقوالٌ كثيرة فى تفسير هذه الآية، وقد ذكرنا أبحاثاً كثيرة بهذا المضمار فى التفسير الأمثل، فتارة قيل: المراد من البحرين بحران ذواتا ماء عذب ومالح، حيث يتجاوران فى الكثير من المناطق دون أن يختلطا مع بعضهما، ويلاحظ هذا المشهد جيداً فى جميع المناطق التى تصب فيها الأنهار بالبحار.

والتفسير الآخر اللطيف لهذين البحرين، تيار «غولف استريم» والأنهار البحرية العملاقة التى تتحرك فى الكثير من محيطات العالم وتأخذ المياه الدافئة من المناطق الاستوائية نحو المناطق القطبية، وربّما يختلف لونها عن لون المياة المحيطة بها، والمدهش أنّ عرضها يبلغ أحياناً مائة وخمسين كيلو متراً وعمقها عدّة مئات من الأمتار، وقد تصل سرعتها إلى ۱۶۰ كم فى اليوم! وتختلف درجة حرارتها عن المياه المجاورة ب ۱۰- ۱۵ درجة!.

إنّ هذا التيار من المياه الدافئة يخلق رياحاً دافئة ويمنح قسماً من حرارته إلى المناطق المجاورة، ويعمل على تلطيف الجو فى المناطق الشمالية للكرة الأرضية التى يمر بها، ويجعلها ملائمة، ولولا هذه التيارات البحرية لتعسرت الحياة فى تلك البلدان، وربّما لا يمكن تجرعها.

وطبعاً فإنّ «غولف استريم» اسم لأحد التيارات والأنهار البحرية، ويشاهد شبيه ذلك فى مياه القارات الخمس، وأنّ السبب الرئيس لهذه الحركة هو الاختلاف بين درجة حرارة مياه المناطق الاستوائية ومياه المناطق القطبية. «۱»

---

(۱) للمزيد من التفصيل فى هذا الصدد وبشأن هذه الآيات راجعوا الى التفسير الأمثل ذيل الآيات مورد البحث.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۴۶

وحيث إنّ آيات القرآن ذوات ظاهر وباطن، فقد تفسر تفسيراً مادياً ومعنوياً، ففى الروايات الإسلامية فسر هذان البحران بعلى وفاطمة عليهما السلام، وفسر اللؤلؤ والمرجان معنوياً بالحسن والحسين عليهما السلام.

فقد روى فى «شواهد التنزيل» عن «سلمان الفارسى» فى تفسير آية «مرج البحرين يلتقيان» أنّ «المراد هو على وفاطمة عليهما السلام» ثمّ يضيف: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، يعنى الحسن والحسين» «۱»، ونقل هذا المعنى بطريق آخر عن «ابن عباس» و «الضحاك» «۲».

وجاء فی روایة اخری عن «سعید بن جبیر» عن «ابن عباس» أنّ المراد من «مرج البحرین یلتقیان» علی وفاطمة علیهما السلام، والمراد من «بینهما برزخ لا یبغیان» حب دائم لا ینقطع ولا ینفد، والمراد من «یخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» الحسن والحسین علیهما السلام «۳».

وورد فی روایة اخری تعبیر أکثر وضوحاًا عن «ابن عباس» بشأن «بینهما برزخ لایبغیان» وهو أنّ المراد «ود لا یتباغضان» «۴».

وفی الحقیقة أنّ البرزخ یعنی «الحائل بین شیئین» فالمحبة هنا تحول دون البغی والتجاوز.

وبعد أن یذکر «السیوطی» أیضاً فی تفسیره الروائی «الدر المنثور» الروایات المتعلقة بالتفسیر الظاهری لهذه الآیة، نقل مضمون الأحادیث المتقدمة عن «ابن عباس» وعن النبیّ صلی الله علیه و آله، فیقول: روی «ابن مردویه» عن «ابن عباس» فی تفسیر آیة «مرج البحرین یلتقیان»، أنّ المراد علی وفاطمة علیهما السلام.

ثمّ یضیف: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «یخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، یعنی الحسن والحسین علیهما السلام» «۵».

---

(۱) شواهد التنزیل، ج ۲، ص ۲۰۹ (ح ۹۱۹.

(۲) المصدر السابق، ص ۲۰۸.

(۳) شواهد التنزیل، ج ۲، ص ۲۱۰.

(۴) المصدر السابق، ص ۲۳۰.

(۵) تفسیر در المنثور، ج ۶، ص ۱۴۳.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۴۷

وروی هذا المعنی عن «انس بن مالک» أیضاً «۱».

واللطیف أنّ المفسر المعروف «الآلوسی» بعد أن ینقل الروایة الآنفة فی تفسیر «روح المعانی» عن «ابن عباس» و «انس بن مالک»، وکذا عن طریق الطبرسی عن «سلمان الفارسی» و «سعید بن جبیر» و «سفیان الثوری» یضیف قائلًا: «والذی اراه أنّ هذا إن صح لیس من التفسیر فی شیء بل هو تأویل کتأویل المتصوفة لکثیر من الآیات، وکل من علی وفاطمة رضی اللَّه تعالی عنهما عندی أعظم من البحر المحیط علماً وفضلًا وکذا کل من الحسنین رضی اللَّه تعالی عنهما أبهی وأبهج من اللؤلؤ والمرجان بمراتب جاوزت حد الحسبان» «۲».

إنّ اعترافه الصادق بمنزلة هؤلاء العظماء امر حسن فی ذاته، علی شرط أن لا یکون غرضه سلب قیمة هذه الروایات!

ولعل الآلوسی تناسی أنّ هذا الحدیث روی عن النبیّ صلی الله علیه و آله، بطرق عدیدة، وأنّ النبیّ صلی الله علیه و آله له کامل الصلاحیة فی تأویل الآیات، وأنّ مقارنته بتأویلات الصوفیین الموضوعة والمنحرفة التی تفتقد للسند مقارنة مجحفة لا تتناسب وشأن العالِم.

علی أیّة حال، فهذه الآیة من الآیات التی تدلل علی الفضل العظیم والمقام الرفیع لعلی وزوجته وولدیهما الحسن والحسین علیهم السلام، لأنّها شبهت علیاً وفاطمة علیها السلام ببحرین عظیمین، البحر الذی یکشف عن عظمة الباری جلّ وعلا، والذی یعتبر مصدراً للبرکات، ومنطلقاً للعلوم والمعارف الزاخرة، ومظهراً بارزاً لفضائل الأخلاق کالجود والسخاء والطهارة والعصمة، وتشبه ولدیهما باللؤلؤ النفیس الذی لانظیر له، الذی ینمو فی أعماق البحر، ثمّ یبرز إلی الخارج، تکامل فیه الحسن والجمال، ظاهریاً وباطنیاً، والعلم والتقوی والفضیلة والطهارة والعصمة.

فأی شخص تشاهد فیه کل هذه المناقب؟ ومن أکثر جدارة بخلافة النبیّ صلی الله علیه و آله غیر علی وأولاده علیهم السلام، وکم مروا من هذه المناقب مرور الکرام!

(۱) المصدر السابق.

(۲) تفسیر روح المعانی، ج ۳۷، ص ۹۳ (ذیل آیات البحث).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۴۹

۱۷- آیة النجوی

اشارة

«یَا ایُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اذَا نَاجَیْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَیْنَ یَدَی نَجْوَاکُم صَدَقَةً ذَلِکَ خَیْرٌ لَّکُم وَاطْهَرُ فَانْ لَّمْ تَجِدُوا فَانَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِیمٌ* ءَاشْفَقْتُمْ انْ تُقَدِّمُوا بَیْنَ یَدَی نَجْوَاکُمْ صَدَقَاتٍ فَاذ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَیْکُمْ فَاقِیمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّکَاةَ وَاطِیعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِیرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ». (المجادلة/ ۱۲- ۱۳)

من القرائن المتوفرة فی هاتین الآیتین، وکذلک من شأن النزول الذی أورده الکثیر من المفسرین من بینهم المرحوم «الطبرسی» فی «مجمع البیان»، و «الفخر الرازی» فی «التفسیر الکبیر»، و «القرطبی» فی تفسیر «الجامع لأحکام القرآن»، و «الآلوسی» فی «روح المعانی»، وغیرهم یستفاد أن نفراً من المسلمین وکما یقول بعض المفسرین أنّهم جماعة من الأغنیاء والأثریاء کانوا یناجون رسول اللّه صلی الله علیه و آله فی أبسط الامور من أجل الحصول علی مکانة لهم لدی الناس، غافلین عن حقیقة أنّ وقت النبی صلی الله علیه و آله اثمن من أن یضیّعها شخص من أجل قضایا بسیطة أو لا أهمیّة لها، اضف إلی ذلک أنّ هذا الأمر کان یؤدّی إلی انزعاج المستضعفین، وتمییز الأغنیاء، وأحیاناً کان یبعث علی التشاؤم.

فنزلت أول آیة من الآیتین أعلاه تأمر المسلمین أنّ: «اذَا نَاجَیْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَینَ یَدَی نَجوَاکُم صَدَقَةً»، فخلق هذا الایعاز اختباراً لطیفاً، وکان محکاً للذین یزعمون قربهم من النبی صلی الله علیه و آله، فقد أبی الجمیع اعطاء الصدقة والنجوی سوی شخص واحد وهو أمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام، هنا تبیّن ما کان یجب أن یوضّح ویفهمه المسلمون ویعتبروا به، وأخذوا منه الدرس البلیغ.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۵۰

نفحات القرآن ج۹ ۳۰۲

وبعد مدّة وجیزة نزلت الآیة الثانیة، ونقضت هذا الحکم واصبح معلوماً استحکام حب المال فی قلوب البعض من الرغبة فی نجوی النبی الأکرم صلی الله علیه و آله، وان هذه النجوی غالباً ما کانت بشأن الامور غیر الضروریة، وکان القصد منها الحصول علی الوجاهة الاجتماعیة.

وقد وردت هنا روایات عدیدة مفادها أنّ علیاً هو الرجل الوحید الذی عمل بهذه الآیة.

روی فی شواهد التنزیل عن مجاهد، عن علی علیه السلام أنّه قال: «انَّ فی القرآن لآیة ما عمل بها أحد قبلی ولا بعدی وهی آیة النجوی قال: کان لی دینارٌ فبعته بعشرة دراهم فکلما اردت أن أناجی النبی صلی الله علیه و آله تصدقت بدرهم منه ثم نُسختْ» «۱».

ونقل فی روایة اخری عن أبی أیوب الأنصاری قال: نزلت هذه الآیة فی علی: «یَا ایُّهَا الَّذِینَ ... صدقة»، أنّ علیاً ناجی النبیّ صلی الله علیه و آله عشر نجوات، یتصدق فی کل نجوة بدینار «۲».

وجاء فی نفس الکتاب أیضاً فی روایةٍ اخری عن مجاهد انَّ فی القرآن آیة لم یعمل بها أحد غیر علی بن أبی طالب علیه السلام حتی نُسختْ، وهی: «یَا ایَّهَا الَّذِین آمَنُوا اذَا نَاجَیْتُمُ الرَّسُولَ ...»، فهو قد ناجی رسول اللّه صلی الله علیه و آله وتصدق بدینار «۳».

ونُقلت فى هذا الكتاب روايات اخرى عديدة بهذا الصدد تُناهز عشر روايات!.

وذكر السيوطى فى تفسيره الروائى «الدر المنثور» هذه الرواية أيضاً بطرق عديدة (أكثر من سبع طرق)، لا سيّما أنّه ينقل عن «الحاكم النيشابورى» باقراره أنّ هذا الحديث صحيحٌ، عن على عليه السلام: «إنّ فى كتاب اللَّه لآية ما عمل بها أحد قبلى ولا أحد بعدى»، ثم ذكر بقية الحديث كما ذكرنا أعلاه عن شواهد التنزيل «۴».

وفى الكتاب نفسه ينقل عن الكثير من الرواة عن على عليه السلام: «إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله استشار علياً بشأن تحديد مقدار هذه الصدقة قائلا: ما ترى ديناراً، قلت: لا يطيقونه، قال: فنصف دينار قلت: لا يطيقونه، قال: فكم، قلت: قلت: شعيرة قال: إنّك لزهيد، قال: فنزلت

---

(۱) شواهد التنزيل، ج ۲، ص ۲۳۱، ح ۹۵۱.

(۲) المصدر السابق، ص ۲۴۰، ح ۹۴۶.

(۳) المصدر السابق.

(۴) تفسير در المنثور، ج ۶، ص ۱۸۵.

ءَأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات، قال: فبى خفف اللَّه عن هذه الامّة» «۱».

وهنالك رواية لطيفة بهذا الصدد ينقلها «البرسونى» فى تفسير «روح البيان» عن «عبد اللَّه بن عمر» حيث كان يقول:» كان لعلى عليه السلام ثلاث لو كانت لى واحدة منهن كان أحبّ إلىَّ من حمر النعم، تزويجه فاطمة عليها السلام، واعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى «۲».

وأورد الزمخشرى ذلك أيضاً فى «الكشاف» «۳».

وكذلك القرطبى فى تفسير «الجامع لأحكام القرآن» «۴».

والطبرسى فى «مجمع البيان» «۵».

وفى الحقيقة أنَّ «عبد اللَّه بن عمر» أشار إلى ثلاث قضايا مهمّة وهى: إنَّ فاطمة عليها السلام وكما يعبّر النبىّ صلى الله عليه و آله «سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين»، لم يكن لها كفوٌ سوى على عليه السلام إذ كان رجل التاريخ بعد النبىّ صلى الله عليه و آله.

وقضية اعطائه الراية يوم خيبر، واحرازه للقب «كرار غير فرار»، بعد أن تقدم الآخرون وقفلوا خائبين، والظفر الذى تحقق من خلال ذلك يعدُّ منقبة اخرى لا نظير لها، وكذلك وجود آية فى القرآن ما عمل بها إلّاعلى عليه السلام.

والمدهش أنّ البعض يصرّون على التقليل من أهميّة هذه المنقبة، بل انكار كونها منقبة بشكل تام! وكالمعتاد فإنّهم يتوسلون بمختلف المبررات والعلل الواهية، والتى لا أساس لها.

فتارةً يدَّعون أنَّ كبار الصحابة لما لم يقوموا بهذا العمل فلأنّهم لم يروا حاجة إليها! واخرى يقولون: لم يكن لديهم متسع من الوقت لأنّ الآية سرعان ما نُسختْ! وحيناً يقولون: إنَّ الآخرين كانوا يظنون أنّ اعطاء الصدقة والنجوى يؤدى إلى انزعاج الفقراء وذعر

---

(۱) تفسير در المنثور، ج ۶، ص ۱۸۵.

(۲) تفسير روح البيان، ج ۹، ص ۴۰۶.

(۳) الكشاف، ج ۴، ص ۴۹۴ (ذيل آيات البحث).

(۴) تفسير القرطبى، ج ۹، ص ۶۴۷۲.

(۵) تفسير مجمع البيان، ج ۹ و ۱۰، ص ۲۵۲.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۵۲

الأغنياء، والفقراء عاجزون عن القيام بمثل ذلك، والأغنياء القادرون على ذلك يخشون التعرض للتأنيب إذا تركوه، وعلى هذا الأساس فانَّ عدم عمل الآخرين بهذه الآية لا يسلب الفضل عنهم «۱».

ولكن، يبدو أنَّ هؤلاء المفسرين الكبار! قد نسوا الآية الثانية خلال اختلاقهم لهذه المبررات، إذ وجّه القرآن الكريم اللَّومَ لمن تناجوا آنفاً وتركوا ذلك بعد نزول حكم الصدقة، فيقول تعالى «ءَاشْفَقْتُم انْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَى نَجوَاكُم صَدَقَاتٍ».

ثم يعدُّ القرآن هذا الفعل وكأنّه معصية، ويعتبرهم إجمالًا مشمولين بالتوبة «وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُم»، ومن أجل تلافى هذا العمل القبيح أمرهم بإقامة الصلاة وايتاء الزكاة واطاعة اللَّه ورسوله.

فلو كان الوقت ضيقاً لما كان هناك ما يدعو للتأنيب واللوم، ولا- حاجة للتوبة، وإذا كان هدفهم استقطاب قلوب الفقراء وازالة الاضطراب عن قلوب الأغنياء فهو عمل يستحق التشجيع والتكريم، فلماذا يوجه البارى تعالى اللوم لهم ويتحدث عن التوبة؟ إذن من خلال التأمل فى هذه الآية يتبيّن جيداً أنّ عملهم كان قبيحاً.

فالواقع أنّ القضايا الواقعة لا تتفق والحكم المسبق لهؤلاء الاخوة، فإنّ كل شىء وحتى آيات القرآن الكريم يلفّها النسيان، والحال أنّها شاخصة أمامهم.

وهنا يقول البعض من أجل التقليل من أهمية هذه الفضيلة: لقد كان الفاصل الزمنى بين نزول آية النجوى ونسخها ساعة واحدة فقط، لهذا لم يفلح كبار الصحابة بالعمل بها، فهؤلاء من الناسين أيضاً، حيث لم ينتبهوا إلى لحن آية النسخ، الآية التى توجهت إلى بعض الصحابة باللوم لتركهم الصدقة خشية الاملاق، وتغاضوا عن النجوى والآن فإنّ اللَّه تعالى يقبل توبتهم.

فاذا كان الفاصل الزمنى بينهما ساعة واحدة فقط لن يبق مجال لهذه الجدالات، وعليه فمن المناسب أن تكون هناك رواية تقول: إنّ الفاصل الزمنى بينهما كان عشرة أيّام «۲».

---

(۱) التفسير الكبير، ج ۲۹، ص ۲۷۲؛ وتفسير روح المعانى، ج ۲۸، ص ۲۸.

(۲) فى تفسير روح المعانى، نقل هذا القول عن مقاتل الذى كان معاصراً للمنصور الدوانيقى، ومن تلامذة التابعين.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۵۳

سؤال:

السؤال الوحيد الذى يبقى ههنا هو: كيف يعد هذا العمل فضيلة؟ وهل الأمر كما يقول بعض المتعصبين من المفسرين: أن لا العمل بها يعد فضيلة ولا تركها منقصة؟

أم أنّ الأمر كما جاء فى الروايات الإسلامية من أنّ علياً عليه السلام كان يعتبرها منقبة عظيمة بالنسبة له، وأنّ عبد اللَّه بن عمر كان يعدُّ الزواج من فاطمة عليها السلام سيدة النساء وفتح خيبر منقبة؟

لقد تبيّن الجواب عن هذا السؤال خلال البحوث المتقدمة، ونضيف: إنَّ أفضل طريق للحصول على جواب هذا السؤال هو الرجوع إلى القرآن الكريم والتمعن فى الآية الناسخة (الثانية)، فهذه الآية تثبت أنّ اللَّه تعالى كان يريد بهذا الحكم اختبار المسلمين، هل أنّهم على استعداد لدفع شىء ما من أجل النجوى مع النبى صلى الله عليه و آله- حيث كانوا يزعمون أنّها تجرى من أجل مصالح المسلمين، وأن يتصدقوا فى سبيل اللَّه؟

وهنا يخرج شخص واحد ظافراً من هذا الاختبار، وهو على بن أبى طالب عليه السلام، أليس هذا هوالفخر بعينه؟

وبعبارة اخرى فإنّ جميع الناس شملهم التأنيب والتوبيخ والتوبة الواردة فى هذه الآية، والوحيد الذى لم يشمله هذا التوبيخ هو على عليه السلام، فلماذا ياترى يُنكر بعض العلماء حقائقَ بهذا الجلاء والوضوح؟ اجيبوا أنتم؟!

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۵۵

۱۸- آية السابقون

اشارة

«وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ* اولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ* فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ* ثُلَّةٌ مِّنَ الاوَّلِينَ* وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ». (الواقعة/ ۱۰- ۱۴)

روى فى تفسير «شواهد التنزيل» ل «الحاكم الحسكانى» عن «ابن عباس»: «السُّباق ثلاثة: سَبقَ يوشع بن نون إلى موسى وسَبقَ صاحب ياسين إلى عيسى وسَبقَ على إلى النبى صلى الله عليه و آله» «۱».

وروى فى الكتاب نفسه عن «ابن عباس» قوله: سألت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عن تفسير هذه الآية، فقال: «حدثنى جبرئيل بتفسيرها، قال ذاك على وشيعتُه إلى الجنّة» «۲».

هذان التفسيران لا يتعارضان مع بعضهما، لأنّ علياً عليه السلام كان سبَّاقاً إلى الإيمان بالنبى صلى الله عليه و آله وكذلك فهو سبّاقٌ إلى الجنّة، وفى الحقيقة أنّ بينهما ارتباط والتحام لا ينفك أبداً.

وفى الكتاب نفسه نُقلت عدّة أحاديث اخرى فى هذا الصدد.

وفى تفسير «الدر المنثور» أيضاً نُقلت روايتان عن «ابن عباس» فى هذا المجال، فى احداهما ينقل «ابن أبى حاتم»، و «ابن مردويه» عن «ابن عباس» فى تفسير هذه الآية، قال:

«يوشع بن نون سبق إلى موسى ومؤمن آل ياسين سبق إلى عيسى وعلى بن أبى طالب سبق إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله» «۳».

وفى الكتاب نفسه ينقل حديثاً آخر بنفس المضمون «۴».

---

(۱) شواهد التنزيل، ج ۲، ص ۲۱۳، ح ۹۲۴.

(۲) المصدر السابق، ص ۲۱۵ و ۲۱۶، ح ۹۲۷.

(۳) تفسير در المنثور، ج ۶، ص ۱۵۴.

(۴) المصدر السابق.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۵۶

ومن الذين نقلوا هذه الرواية هو «ابن المغازلى» (على ضوء نقل ابن البطريق) فى كتاب «العمدة»، و «سبط ابن الجوزى» فى «التذكرة»، و «ابن كثير» فى «تفسيره»، و «ابن حجر» فى «الصواعق»، و «العلّامة الشوكانى» فى «فتح القدير»، و «الشيخ سليمان القندوزى» فى «ينابيع المودة» «۱».

والمسألة الجديرة بالاهتمام أيضاً هى أنّ «القاضى روز بهان» الذى يتّصف بتعصب خاص فى القضايا المتعلقة بالإمامة والخلافة، وكتابه المسمى «ابطال نهج الحق» شاهد على هذا المعنى يقول فى معرض اجابته للعلّامة الحلّى بشأن هذه الآية (حيث ينقل العلّامة الحلّى فى كتابه، عن طريق أهل السنّة عن ابن عباس سابقُ هذه الامّة على بن أبى طالب) فى كتابه «ابطال نهج الحق»: هذا الحديث جاء فى روايات أهل السنّة ولكن بهذه العبارة:

«سبّاق الامّة ثلاثة: مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار، وعلى بن أبى طالب» ثم يضيف: ولا شك أنّ علياً عليه السلام سابق فى الإسلام، وصاحب السابقة والفضائل التى لا تحصى ولكن لا تدل الآية على نص بإمامته «۲».

ولكن ينبغى الالتفات إلى عدم قول أىأحد بأنّ هذه الأحاديث لوحدها تعنى النصّ على إمامة على بن أبى طالب عليه السلام، بل الغرض أنّنا عندما نستجمع هذه الآيات والروايات مع بعضها نرى أنّ علياً عليه السلام ابرز شخص فى الأمّة الإسلامية كان لائقاً لهذا المقام، ولا يلحقه أحد فى هذا المجال.

فهل من المناسب أن نقدّم غيره عليه مع كل هذه المناقب التى لا تقبل الانكار، ونتبع غيره مع وجوده؟!

---

(۱) احقاق الحق، ج ۳، ص ۱۱۴- ۱۲۰.

(۲) المصدر السابق، ص ۱۲۱.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۵۷

نستأنف هذا البحث بذكر أمرين:

۱- مَن المقصود من: «قليلٌ من الآخرين»؟

فى سياق الآيات المتقدمة، وبعد ذكر القرآن الكريم لمنزلة السابقين الرفيعة على أنّهم المقربون لدى اللَّه تعالى وأنّ منزلتهم فى جنات النعيم، يضيف: «ثُلَّةٌ مِّنَ الاوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ».

ينقل الحاكم الحسكانى فى «شواهد التنزيل» عدّة روايات عن «محمد بن فرات»، و «محمد بن سهل»، و «على بن عباس» عن «جعفر بن محمد عليه السلام» انّه قال فى تفسير آية:

«وقليل من الآخرين» هو على بن أبى طالب عليه السلام «۱».

ومن البديهى أن ليس مفهوم الآية أنّ جنّة هذه الامة مختصة به، بل إنّ مقام السبق فى الإيمان يستدعى مقامات سامية فى الجنّة والقرب من اللَّه تعالى حيث يختص بعلى بن أبى طالب عليه السلام (بعد النبى صلى الله عليه و آله).

من هنا ففى الآيات اللاحقة من هذه السورة التى توضّح منازل ومزايا طائفة اخرى من أهل الجنّة (أصحاب اليمين)، يقول تعالى فى آخر المطاف: «ثُلَّةٌ مِّنَ الاوَّلِينَ* وثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ». (الواقعة/ ۳۹- ۴۰)

واضح أنّ أصحاب اليمين وإن كانوا من أهل الجنّة إلّاأنّهم يُدانون «المقربين من السابقين».

۲- مَنْ هو أول مسلم؟

اشارة

هذا بحث مهم «مَنْ هو أول مَن آمن»؟ والبحث حوله لا تخفى أهميّته؟

فقد اتفقت الامّة الإسلامية جميعها على أنّ خديجة الكبرى عليها السلام كانت أوّل مَنْ آمن من النساء، أمّا من الرجال فبالرغم من اصرار البعض على تعقيد المسألة وتعريضها للبحث

---

(۱) شواهد التنزيل، ج ۲، ص ۲۹۸- ۲۹۹، الأحاديث ۹۳۲- ۹۳۵.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۵۸

والجدال، فمن خلال تفحص الأحاديث والتواريخ لا- يبقى شك لكل مراقب محايد، بأنّ عليَّ بن أبى طالب عليه السلام كان أول مؤمن، فهو كان أول مصدّق برسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأول مَن بايعه، وأول مَن صلّى معه.

إنّ القرائن والأدلة على هذه القضية متوفرة فى جميع المصادر الإسلامية حيث نشير فيما يأتى إلى جانب منها:

لقد روى ما لا يقل عن ثمانية عشر من الصحابة وبطرق مختلفة- هذا الحديث عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بأنّ علياً عليه السلام كان أول مَن آمن من الرجال وصلّى مع النبى صلى الله عليه و آله:

۱- يقول أبو سعيد الخدرى وهو من كبار الصحابة: أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ضرب على كتف على عليه السلام وقال: «يا على لك سبع خصال لا يحاجك فيهن أحد يوم القيامة أنت أول المؤمنين إيماناً باللَّه ...» «۱».

۲- تقول عائشة: نقلت فاطمة عليها السلام هذا الحديث عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قال لها:

«زَوَّجتُكِ أعلمَ المؤمنين علماً واقدمَهمْ سلماً وافضلهم حلماً» «۲».

۳- يقول ابن عباس: سمعت «عمر بن الخطاب» يقول:

كفوا عن ذكر على بن أبى طالب فقد رأيت من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فيه خصالًا لئن تكون لى واحدة فهى فى آل الخطاب أحب الىَّ مما طلعت عليه الشمس، كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة فى نفر من أصحاب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فانتهيت إلى باب أم سلمة، وعلى قائم على الباب فقلنا:

أردنا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فقال: يخرج إليكم، فخرج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فصرنا إليه فاتكأ على على بن أبى طالب ثم ضرب بيده منكبه، ثم قال: «إنّك مخاصم تخاصم، أنت أول المؤمنين إيماناً، وأعلمهم بأيّام اللَّه، وأوفاهم بعهده، وأقسمهم بالسوية، وأرأفهم بالرعية وأعظمهم رزية» «۳».

إنّ هذا الحديث يكشف عن قضايا كثيرة لا يستوعبها هذا البحث.

---

(۱) أورد هذا الحديث «أبو نعيم الاصفهانى» فى «حُلية الاولياء»، ج ۱، ص ۶۶.

(۲) ينقل هذا الحديث «ابن عساكر» فى «تاريخ دمشق» فى ترجمة الإمام على عليه السلام ج ۱، ص ۲۴۴.

(۳) كنز العمال، ج ۱۳، ص ۱۱۷.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۵۹

۴- يروى «معاذ بن جبل» عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قال لعلى عليه السلام: «تخصمُ الناس بسبع لا يحاجك فيه أحد من قريش أنت أولهم إيماناً باللَّه» «۱».

۵- تروى «أسماء بنت عميس» زوجة جعفر بن أبى طالب، أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال لفاطمة: «زوجتُك أقدمهم سلماً وأعظمهم حلماً وأكثرهم علماً» «۲».

۶- يقول «سلمان الفارسى»: إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: «أولكم وروداً على الحوض، أولكم إسلاماً على بن أبى طالب» «۳».

۷- يقول «أبو سخيلة» حججت مع سلمان فنزلنا بأبى ذر فكنا عنده ما شاء اللَّه، فلما حان منا خفوف قلت: يا أبا ذر انى ارى أموراً قد حدثت وانى خائف أن يكون فى الناس اختلاف فإن كان ذلك فما تأمرنى؟ قال: «إلزم كتاب اللَّه عزّ وجلّ وعلى بن أبى طالب فأشهد أنّى سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: على أول من آمن بى، وأول من يصافحنى يوم القيامة، وهو الصديق الأكبر وهو الفاروق يفرق بين الحق والباطل» «۴».

۸- يقول «عبد الرحمن بن عوف» فى حديث فى ذيل آية «السابقون الاولون»، كانوا عشرة انفار من قريش: «كان أولهم إسلاماً على بن أبى طالب» «۵».

۹- ينقل جمال الدين أبو الحجاج فى كتاب «تهذيب الكمال» عن «أبو رافع» من أصحاب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «أول مَنْ أسلم من الرجال على» «۶».

۱۰- يروى أنس بن مالك خادم رسول اللَّه أنّه صلى الله عليه و آله قال: «أول هذه الامّة وروداً على

---

(۱) أورد هذا الحديث شهاب الدين الحسينى الشافعى فى كتاب «توضيح الدلائل»، ص ۱۷۱ (حسب نقل احقاق الحق، ج ۲۰، ص ۴۵۵.

(۲) تاريخ ابن عساكر، ج ۱، ص ۲۴۵.

(۳) أورد هذه الرواية محمد بن أبى بكر فى كتاب «الجوهرة»، ص ۸، ونقلها صاحب كتاب كنز العمال أيضاً دون ذكر سندها، ج ۱۱ ص ۶۱۶.

(۴) مختصر تاريخ دمشق، ج ۱۷، ص ۳۰۶، حسب نقل احقاق الحق، ج ۲۰، ص ۴۷۲، وأورد هذا الحديث كنزُ العمال من عبارة (إنّ هذا أول من آمن بى إلى الأخير) فى ج ۱۱، ص ۶۱۶، ح ۳۲۹۹۰.

(۵) مختصر تاريخ دمشق، ج ۱۷، ص ۳۰۷، تأليف الإمام محمد بن مكرم المعروف بابن منظور).

(۶) تهذيب الكمال، ج ۳، ص ۸۵ (طبقاً لنقل احقاق الحق، ج ۲۰، ص ۳۶۷).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۶۰

الحوض أولها إسلاماً، على بن أبى طالب» «۱».

۱۱- يقول ابن عباس يمتاز على عليه السلام بأربع خصائص لمْنَ فى احد غيره: هو اول عربى وعجمى صلّى مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله «۲».

ويقول فى موضع آخر: «أول مَنْ أسلم بعد خديجة، على بن أبى طالب» «۳».

۱۲- ينقل المحدّث المعروف النسائى فى كتاب «السنن» عن زيد بن أرقم أنّه قال: «اول مَن أسلم مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على بن أبى طالب» «۴».

۱۳- ينقل أبو أحمد الجرجانى الشافعى فى كتاب «الكامل فى الرجال» عن مالك بن الحوريث» أنّه قال: «كان على أول مَن اسلم من الرجال وخديجة أول مَن أسلم من النساء» «۵».

۱۴- تقول ليلى الغفارية، وهى امرأة كانت تداوى جرحى الحرب فى عصر الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله: خرجت مع على عليه السلام بالبصرة فلما رأيت عائشة واقفة دخلنى شىء من الشك فأتيتها، فقلت: هل سمعت من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فضيلة فى على؟ قالت: نعم، دخل على على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهو على فِراش لى وعليه جرد قطيفة فجلس بينهما فقلت له: أما وجدت مكاناً هو أوسع لك من هذا؟ فقال النبىّ صلى الله عليه و آله: «يا عائشة دعى لى أخى فإنّه أول الناس بى إسلاماً وآخر الناس بى عهداً عند الموت وأولى الناس بى يوم القيامة» «۶».

۱۵- ينقل أحمد بن حنبل أحد الأئمّة الأربعة لأهل السنّة فى مسنده- حديثاً عن الصحابى المعروف «معقل بن يسار»: إنّى كنت ذات يوم جالساً عند الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله

---

(۱) أورد هذا الحديث ابن عديم الحلبى وهو من علماء القرن السابع الهجرى، فى كتابه تاريخ حلب ص ۲۹۵.

(۲) المختار فی مناقب الابرار، ص ۱۶، طبقاً لنقل احقاق الحق، ج ۲۰ ص ۴۵۷).

(۳) ورد هذا الحدیث فی کتاب آل محمد، ص ۱۷۴، عن حسام الدین الحنفی.

(۴) احقاق الحق، ج ۲۰، ص ۴۷۵.

(۵) الکامل فی الرجال، ج ۶، ص ۲۳۷۸.

(۶) نقل هذا الحدیث محمد بن مکرم الأنصاری فی کتاب مختصر تاریخ دمشق، ج ۱۷، ص ۳۰۸.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۶۱

فقال: هل لک فی فاطمة علیها السلام تعودها؟ فقلت: نعم، فقام متوکئاً علیَّ، فقال: أمّا أنّه سیحمل ثقلها غیرک ویکون أجرها لک، قال: فکأنّه لم یکن علی شیء حتی دخلنا علی فاطمة علیها السلام، فقال لها: کیف تجدینک؟ قالت: واللّه لقد اشتد حزنی، واشتدت فاقتی وطال سقمی .... قال:

«أوما ترضین أنّی زوجتُک أقدم امتی سلماً وأکثرهم علماً وأعظمهم حلماً» «۱».

تجدر الإشارة إلی أنّ هذا الحدیث أورده ابن أبی الحدید فی «شرح نهج البلاغة ج ۳ ص ۲۵۷»، وابن عساکر فی «تاریخ دمشق، ج ۱، ص ۲۳۲»، والهیثمی فی «مجمع الزوائد، ج ۹، ص ۱۰۱»، والمتقی الهندی فی «کنز العمال، ج ۱۲، ص ۲۰۵»، وأورده جمع آخر من علماء السنّة فی کتبهم.

۱۶- یقول «عبد اللّه بن صامت» (ثابت) وهو من صحابة الرسول صلی الله علیه و آله: دخلنا یوماً علی رسول اللّه فقلنا: «من أحب أصحابک إلیک؟ فإن کان أمر کنّا معه، وإن کان ناسئة کنا دونه، قال هذا علی أقدمکم سلماً وإسلاماً» «۲».

ویظهر جلیاً من هذا الحدیث بأنّ «عبد اللّه بن ثابت» وأصحابه کانوا یبحثون عن رجل أفضل الناس جمیعاً بعد النبی صلی الله علیه و آله للإمامة والولایة، فأشار النبی صلی الله علیه و آله إلی الإمام علی علیه السلام معرّفاً إیّاه لتحمل هذا الأمر.

۱۷- وینقل «بریدة» وهو صحابی من صحابة النبی صلی الله علیه و آله قصةً مشابهة لقصة «معقل بن یسار»، حیث نقرأ فی نهایة تلک القصة أنّ الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله واسی فاطمة الزهراء علیها السلام وقال: «أما ترضین أنّ اللّه زوجک من أقدم امتی إسلاماً وأغزرهم علماً وأفضلهم حلماً»؟ ثم یضیف: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: واللّه «إنّ أبنیک سیدا شباب أهل الجنّة» «۳».

۱۸- الإمام علی بن أبی طالب علیه السلام نقل بنفسه هذا المعنی فی حدیثه المقبول من قبل الجمیع، وقد ورد فی کتاب «الجوهرة» تألیف محمد بن أبی بکر الأنصاری: إنّ الإمام

---

(۱) مسند أحمد، ج ۵، ص ۲۶.

(۲) نقل هذا الحدیث أحمد بن مردویه فی کتاب المناقب، احقاق الحق، ج ۱۵، ص ۳۳۶.

(۳) أورد هذا الحدیث «ابن عساکر» فی «تاریخ دمشق» فی کتاب «ارجح المطالب» تألیف العلّامة التستری، ص ۱۰۷ و ۳۹۶ فقط.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۶۲

علی علیه السلام قال علی منبر البصرة: «أنا الصدیق الأکبر، آمنت قبل أن یؤمن أبو بکر، وأسلمت قبل أن یسلم» «۱».

کذلک ینقل «الشیخ محمد بن مکرم الأنصاری» فی کتابه «مختصر تاریخ دمشق» عن الإمام أنّه قال: «أنا أوّلّ مَنْ أسلم» «۲».

وهناک موارد متعددة فی «نهج البلاغة» تستند علی هذا المعنی منها أنّ الإمام یقول فی الجملة رقم ۱۳۱: «اللّهم إنّی أول مَن أناب وسمع وأجاب، لم یسبقنی إلّارسول اللّه صلی الله علیه و آله بالصلاة» «۳».

تجدر الإشارة إلی أننا خرجنا بعض الشیء فی هذا البحث عن اسلوبنا فی هذا التفسیر واسهبنا فی الحدیث، إلّاأنّ أهمیّة المسألة أوجبت علینا التوسّع فی البحث أکثر مما ینبغی.

على أيّة حال نختم هذه الروايات والروايات التى أوردها «ابن هشام» فى تاريخه المعروف «السيرة النبوية» مع الاعتراف بهذه الحقيقة، أنّ المواضيع غير المطروقة كثيرة فى هذا الباب.

إنّه ينقل أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله فى أوائل أيّام الإسلام كان يذهب إلى بعض مفاوز مكة عند دخول وقت الصلاة لأداء الصلاة، ويرافقه على بن أبى طالب- خفية- فقط ... وذات يوم قال له أبوه أبو طالب: يا ولدى ما هذا الدين الذى أنت عليه؟ قال: يا أبت! آمنت باللَّه وبرسول اللَّه، وصدّقته بما جاء به، وصليت معه للَّهواتبعته، فقال له: أمّا أنّه لم يدعك إلّاإلى خير فالزمه «۴».

---

(۱) الجوهرة، ص ۸، وقد نقل هذا المعنى طائفة اخرى مثل «أبو أحمد الجرجانى» فى كتاب الكامل فى الرجال، ج ۳، ص ۱۱۲۳، وتوضيح الدلائل، ص ۱۷۱، و مختصر تاريخ دمشق وغيرها.

(۲) مختصر تاريخ دمشق، ج ۱۷، ص ۱۱۸.

(۳) ورد هذا المعنى فى الخطبتين ۷۱ و ۱۹۲ أيضاً.

(۴) سيرة ابن هشام، ج ۱، ص ۲۶۳.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۶۳

إنّ أسبقية إيمان على عليه السلام من الوضوح والجلاء بحيث إنّ جمعاً من الشعراء المعروفين ذكروه فى أشعارهم كواحدٍ من مناقب الإمام على عليه السلام ومفاخره.

يقول أحدهم فى هذا المجال:

أليس أول مَنْ صلّى لقبلتكُمْوأعلم الناس بالقرآن والسنن؟

ويقول آخر:

فهذا وفى الإسلام أوَّلُ مسلمواوَّل مَنْ صلّى وصام وهلّلا

وينقل المرحوم «العلّامة الأمينى» فى «الغدير» بعد ذكره لعشرة شعراء أنّهم انشدوا هذا المعنى فى طيات أشعارهم «۱».

وجدير بالذكر أيضاً أنّ العلّامة الأمينى ينقل فى ذلك الكتاب أكثر من مائة حديث آخر عن «الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله»، و «أمير المؤمنين عليه السلام»، و «الصحابة»، و «التابعين»، و «المؤرّخين»، و «المحدثين»، كلها تنصّ على أنّ علياً عليه السلام أول مَن آمن برسول الإسلام صلى الله عليه و آله من الرجال.

سؤال واحد فقط!

بقى هنا سؤال معروف كان مطروحاً بين بعض «المرجفين» منذ القرون الاولى لظهور الإسلام، وهو «صحيحٌ أنّ علياً عليه السلام أول مَن اسلم من الرجال، ولكن: هل يصح إسلامُ غلامٍ فى العاشرة من عمره؟» ولو سلّمنا بجعل زمان بلوغه معياراً فإنّ جمعاً آخر آمنوا بالإسلام قبله على هذا الأساس.

الجواب:

من المناسب أن نورد هنا المحاججة التى جرت بين «المأمون» الخليفة العباسى، مع أحد علماء أهل السنّة المعروفين فى عصره ويُدعى «اسحاق»، وقد أورد هذا الحديث «ابن عبد ربه»، فى «العقد الفريد».

(۱) الغدير، ج ۳، ص ۲۳۱- ۲۳۳.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۶۴

إذ قال له «المأمون»: يا اسحاق أى الأعمال كان أفضل يوم بعث اللَّه رسوله؟

قال اسحاق: الإخلاص بالشهادة، قال المأمون: أليس السبق إلى الإسلام؟ قال اسحاق: نعم، قال المأمون: فهل علمت أحداً سبق علياً إلى الإسلام؟ قال اسحاق: إنّ علياً أسلم وهو حديث السن لا يجوز عليه الحكم، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم ... فقال المأمون: أخبرنى عن إسلام على حين أسلم؟ فهل يخلو رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر اللَّه أو تكلف ذلك من نفسه؟ ثم قال: يا اسحاق لا- تنسب رسول اللَّه إلى التكلف فإنّ اللَّه يقول: «وما أنا من المتكلفين»، قال اسحاق:

دعاه بأمر اللَّه، قال المأمون: فهل من صفة الجبار جلّ ذكره أن يكلّف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم قد تكلّف رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من دعاء الصبيان ما لا يطيقون ... أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله؟ قال اسحاق: أعوذ باللَّه «۱».

ويضيف المرحوم العلّامة الأمينى رحمه الله) بعد نقله هذا الحديث من «العقد الفريد»: قال أبو جعفر الاسكافى المعتزلى المتوفى سنة ۲۴۰ فى رسالته: قد روى الناس كافة افتخار على عليه السلام بالسبق إلى الإسلام وأنّ النبى صلى الله عليه و آله استنبئ يوم الاثنين وأسلم على يوم الثلاثاء، وأنّه كان يقول: صليت قبل الناس سبع سنين وأنّه مازال يقول: أنا أول مَن أسلم ويفتخر بذلك ويفتخر له به أولياؤه، وما دحوه، وشيعته فى عصره، وبعد وفاته، والأمر فى ذلك أشهر من كل شهير، وقد قدمنا منه طرفاً وما علمنا أحداً من الناس فيما خلا استخف بإسلام على عليه السلام، ولا تهاون به، ولا زعم أنّه أسلم إسلام حدث غرير وطفل صغير، ومن العجب أن يكون مثل العباس وحمزة ينتظران أبا طالب وفعله ليصدوا عن رأيه، ثم يخالفه على ابنه لغير رغبة ولا رهبة يؤثر القلة على الكثرة «۲».

وخلاصة الحديث توضح من خلال النقاط التالية:

أولًا: إنّ رسول الإسلام صلى الله عليه و آله قَبِل إسلام على عليه السلام، ومَن لم يقرّ بإسلامه فى ذلك السن،

(۱) العقد الفريد، ج ۳، ص ۴۳، بشكل مختصر.

(۲) الغدير، ج ۳، ص ۲۳۷.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۶۵

فانه فى الواقع إنّما يُشكل على الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله.

ثانياً: من خلال الروايات المشهورة التى تمت الإشارة إليها آنفاً ورد فى قصة يوم الدار أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله اعدَّ طعاماً ودعا عشيرته الأقربين من قريش لتناول الطعام ودعاهم للاسلام وأنَّ: أول من يلبى دعوته صلى الله عليه و آله فى الدفاع عن الإسلام سيكون أخاه ووصيه، فلم يلب أحد دعوته صلى الله عليه و آله سوى على بن أبى طالب، حيث قال عليه السلام: «أنا أعينك وابايعك» فقال صلى الله عليه و آله: «أنت أخى ووصى وخليفتى من بعدى» «۱».

فهل يصدّق احد أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله يتخذ- من لم يبلغ فى ذلك اليوم سن البلوغ، ولم يكن إسلامه مقبولًا أيضاً حسب قول المرجفين- أخاً ووصياً وخليفة له من بعده ويدعو الآخرين لمؤازرته إلى أن يصل الأمر ليقول رؤوس الشرك لابى طالب مستهزئين: يجب أن تسمع لابنك وتؤازره.

إنّ سن البلوغ ليس شرطاً فى صحة الإسلام بدون أدنى شك، فكل صبى مميز عاقل بما فيه الكفاية يؤمن بالإسلام على فرض عدم

إسلام أبيه، يفصل عن أبيه ويحتسب فى زمرة المسلمين.

ثالثاً: يستفاد من القرآن الكريم أنّ البلوغ ليس شرطاً حتى فى النبوة، وأنّ بعض الأنبياء بلغوا هذا المقام فى سن الطفولة، كما يقول تعالى بخصوص النبى يحيى «وَآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيّاً». (مريم/ ١٢)

وقد جاء كذلك فى قصة عيسى عليه السلام أنّه قال بصريح الكلام حين طفولته: «انّي عَبدُ اللَّهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً». (مريم/ ٣٠)

وأكثر من هذه الامور جميعاً أنّ رسول الإسلام صلى الله عليه و آله قَبِلَ علياً عليه السلام حتى أنّه اتخذه فى يوم الدار أخاً ووصياً ووزيراً وخليفة له من بعده.

وعلى أيّة حال فإنّ الروايات التى تقول إنّ علياً عليه السلام هو أول مَن قَبِلَ دعوة الرسول صلى الله عليه و آله تعد فضيلة لا مثيل لها للإمام لا يساويه فيها أحد، ولهذا السبب فإنّه أفضل الامّة لخلافة الرسول صلى الله عليه و آله.

---

(١) تفسير در المنثور، ج ۶، ص ۲۶۰.

١٩- آية «اذُنٌ واعِيَة»

اشارة

«لِنَجعَلَهَا لَكُمْ تَذكِرَةً وَتَعِيَهَا اذُنٌ وَاعِيَةٌ». (الحاقة/ ١٢)

لقد كان الهدف هو أن نجعل من نجاة المؤمنين بواسطة سفينة نوح واغراق الكافرين بواسطة الطوفان تذكرةً (لكم) لتعيها (والحوادث المشابهة لها) اذُنٌ واعية (كى تنقلوها للآخرين فيتّعظوا).

ينقل «السيوطى» فى «الدر المنثور» من ستة طرق عن «بريدة» الصحابى المعروف، عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قال لعلى عليه السلام: «إنّ اللَّه أمرنى أن ادنيَكَ ولا اقصيَكَ، وأن اعَلّمَكَ وَأنْ تَعِيَ، وَحَقٌ لَكَ أنْ تَعِيَ، فنزلت هذهِ الآيَةَ: وَتَعِيهَا اذُنٌ واعِيَةٌ» «١».

وينقل فى نفس ذلك الكتاب عن «أبو نعيم الاصفهانى» فى «حلية الاولياء» عن على عليه السلام أنّ الرسول صلى الله عليه و آله قال له ... ثم يذكر نفس مضمون حديث «بريدة»، ويضيف فى النهاية: «فَأنْتَ اذُنٌ واعَيَةٌ لِعِلْمى» «٢».

وينقل أيضاً فى نفس ذلك الكتاب من خمسة طرق عن «مكحول» وهو احد خدّام النبى صلى الله عليه و آله، عندما نزلت آية «وتعيها اذُنٌ واعية» قال الرسول صلى الله عليه و آله: «سألت ربى أن يجعلها اذن على، قال محكول: فكان على يقول ما سمعت من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله شيئاً فنسيته» «٣».

---

(١) تفسير در المنثور، ج ۶، ص ۲۶۰.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

ونقل «الزمخشرى» الحديث الأخير فى «الكشاف» أيضاً دون أن يشكل عليه «١».

ونقل جمعٌ آخر من المفسرين مثل «الفخر الرازى» فى «التفسير الكبير» «٢»، و «الآلوسى» فى «روح المعانى» «٣»، و «البرسونى» فى

«روح البيان» «۴»، و «القرطبى» فى «التفسير الجامع» «۵»، نقلوا جميعاً نهاية الآية بخصوص الحديث الأخير.

وأورد «الطبرى» أيضاً فى تفسيره هذا الحديث وطائفة اخرى من الأحاديث بصدد هذا الموضوع. «۶»

وقد ذكر «الحاكم الحسكانى» فى «شواهد التنزيل» ثلاثة عشر حديثاً فى نهاية هذه الآية حيث نقلها من عدّة رواة، وتنتهى سلسلة سندها إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، وبعض هذه الأحاديث مروية عن «مكحول» خادم النبى صلى الله عليه و آله، وبعض منها عن «بريدة»، وبعضها عن شخص «على بن أبى طالب عليه السلام»، والبعض الآخر عن «جابر بن عبد اللَّه الأنصارى»، حيث ستطالعون نماذج من تلك الأحاديث أدناه:

نقرأ فى حديث عن «أبو الدنيا» عن على عليه السلام أنّه عندما نزلت الآية «وَتَعْيِهَا اذُنٌ وَاعِيَةٌ»، قال لى الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله: «سألت اللَّه أن يجعلها اذنك يا على» «۷».

ونقرأ فى حديث آخر عن «مكحول» أنّه عندما تلا الرسول صلى الله عليه و آله آية «وَتَعِيَهَا اذُنٌ وَاعِيَةٌ»، التفت إلى على عليه السلام وقال: «سألت اللَّه أن يجعلها اذُنك» «۸».

وفى حديث آخر عن «بريدة» أورد مضمون الحديث الذى نقلناه بادىء الأمر نصاً «۹» واخيراً ينقل عن «جابر بن عبد اللَّه الأنصارى» أنّه عندما نزلت الآية الآنفة الذكر، سأل

---

(۱) تفسير الكشاف، ج ۴، ص ۶۰۰.

(۲) تفسير الكبير، ج ۳۰، ص ۱۰۷.

(۳) تفسير روح المعانى، ج ۲۹، ص ۴۳.

(۴) تفسير روح البيان، ج ۱۰، ص ۱۳۶.

(۵) تفسير القرطبى، ج ۱۰، ص ۶۷۴۳.

(۶) تفسير جامع البيان، ج ۲۹، ص ۳۵.

(۷) شواهد التنزيل، ج ۲، ص ۲۷۱.

(۸) المصدر السابق، ص ۲۷۷ ح ۱۰۱۵.

(۹) المصدر السابق، ص ۲۸۲، ح ۱۰۲۲.

الرسول اللَّه تعالى أن يجعل اذن على عليه السلام (مصداقها الأتم) وتحقق مراد النبى هذا «۱».

ونقل مؤلف كتاب «الفضائل الخمسة» هذا الحديث أيضاً، اضافة لما ذكر من «كنز العمال»، و «نور الابصار»، و «مجمع الزوائد» للهيثمى، و «أسباب النزول» للواحدى «۲».

النتيجة:

مع الأخذ بنظر الاعتبار ما نقلناه سابقاً بخصوص شروط الإمامة والولاية وخلافة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله والتى تنص على ضرورة تمتع الأئمّة الإلهيين بالمقدار الكافى والسهم الأعظم من العلم والمعرفة لكى يتمكنوا تحمل مسؤولية قيادة الامّة، وهداية الخلق فى أمر الدين والدنيا، ويحفظوا تعاليم الإسلام وقوانين اللَّه تعالى ويحرسوا القرآن والسنّة، ومع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ علياً عليه السلام كان الشخص الوحيد من الامّة الذى يمتاز بمثل هذه المكانة والموهبة بما يطابق الروايات الآنفة الواردة فى تفسير الآية المذكورة، فقد ثبت لنا دون أدنى شك بأنّه لم يكن اليق منه لاحراز مقام الإمامة والخلافة أحد.

(۱) شواهد التنزیل، ج ۲، ص ۲۸۰، ح ۱۰۱۹.

(۲) الفضائل الخمسة، ج ۱، ص ۳۲۰ و ۳۲۱.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۷۱

۲۰- آیة المحبة

«انَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَیَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحمنُ وُدّاً». (مریم/ ۹۶)

لهذه الآیة دلالة واضحة علی أنّ الإیمان والعمل الصالح هما مصدر المحبة بین فئات المجتمع.

أجل، للإیمان والعمل الصالح جاذبیة عجیبة، ذلک أنّها تجذب القلوب نحو بعضها کما یجذب المغناطیس الحدید نحوه، وحتی الأفراد الملوثون والنجسون یستأنسون بالطاهرین والصالحین من الأفراد.

ونقلت روایات کثیرة فی تفسیر هذه الآیة الشریفة فی المصادر المعروفة لأهل السنّة بواسطة عدّة رواة عن شخص الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله تنص علی أنّ هذه الآیة نزلت فی علی بن أبی طالب علیه السلام، وقد قلنا مراراً بأنّ نزول الآیة فی أحد الأفراد، یراد منه بأنّ ذلک الشخص هو المصداق الأتم لتلک الآیة، ولا یتنافی مع شمولیة معنی الآیة.

ونتوجه هنا نحو المنابع الإسلامیة متناولین جوانب من هذه الروایات بالبحث والدراسة:

فی «شواهد التنزیل» ینقل روایات متعددة عن «البراء بن عازب»، و «أبو رافع»، و «جابر بن عبد اللَّه الأنصاری»، و «ابن عباس»، و «أبو سعید الخدری»، و «محمد بن الحنفیة»، وبطرق متعددة علی أنّ هذه الآیة نزلت فی علی بن أبی طالب علیه السلام بأنّ جعل اللَّه محبته فی قلب کل مؤمن.

وجاء فی حدیث عن أبی سعید الخدری أنّ الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله قال لعلی علیه السلام «یا أبا

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۷۲

الحسن! قل اللّهم اجعل لی عندک عهداً واجعل لی فی صدور المؤمنین مودةً» «۱».

فنزلت الآیة الکریمة: «انَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَیَجعَلُ لَهُمُ الرَّحمَنُ وُدّاً»، ثم أردف قائلًا: «لا تلقی مؤمناً إلّافی قلبه حبٌّ لعلی بن أبی طالب» «۲».

ویلاحظ هذا المعنی فی حدیث آخر عن «جابر بن عبد اللَّه الأنصاری» باختلاف قلیل جدّاً «۳».

ونقل هذا المضمون أیضاً عن «البراء بن عازب» عن الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله «۴».

وکذلک نقل هذا المعنی عن «محمدبن الحنفیة» (بعدة طرق) مع هذا الفارق أنّه فی هذه الروایات وردت محبّة ذریة وأهل بیت علی علیه السلام إلی جانب محبّته «۵».

وقد وردت فی هذا الکتاب عشرون روایة تقریباً وکلها تتناول هذا المعنی بطرق متعددة.

ونقل «السیوطی» هذا الحدیث أیضاً فی «الدر المنثور» بطرقه المختلفة عن «البراء بن عازب»، وعن «ابن عباس» «۶».

ونقل «الزمخشری» فی تفسیر «الکشاف» هذه الروایة فی نهایة الآیة الشریفة أنّ الرسول صلی الله علیه و آله قال لعلی علیه السلام:

«یا علی قل اللهم اجعل لی عندک عهداً واجعل لی فی صدور المؤمنین مودة فأنزل اللَّه هذه الآیة» «۷».

وأورد المفسر المعروف «القرطبی» عین هذا المضمون فی تفسیره، ولم یشکل علیه أیضاً مثل الکشاف «۸».

(۱) هذا التعبیر إشارة للآیة ۸۷ من هذه السورة التی تقول حول مسألة الشفاعة أنّهم لایملکون الشفاعة إلّامن اتخذ عند الرحمن عهداً.

(۲) شواهد التنزیل، ج ۱ ص ۳۶۵، ح ۵۰۴.

(۳) المصدر السابق.

(۴) المصدر السابق، ص ۳۵۹، ح ۴۸۹ و ۴۹۰.

(۵) شواهد التنزیل، ج ۱، ص ۳۶۶ و ۳۶۷ الأحادیث ۵۰۵ و ۵۰۶ و ۵۰۷ و ۵۰۸ و ۵۰۹.

(۶) تفسیر در المنثور، ج ۴، ص ۲۸۷.

(۷) تفسیر الکشاف، ج ۳، ص ۴۷.

(۸) تفسیر القرطبی، ج ۶ ص ۴۲۰ (ذیل آیة مورد البحث).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۷۳

ومن الشخصیات المعروفة التی نقلت هذا الحدیث فی نهایة الآیة «سبط ابن الجوزی» فی «التذکرة» «۱»، و «محب الدین الطبری» «۲»، و «ابن الصباغ المالکی» فی «الفصول المهمّة»، «۳» و «الهیثمی» فی «الصواعق» «۴»، و «ابن صبان» فی «اسعاف الراغبین» «۵»، وقد وردت اسماؤهم فی الکتب المبسوطة حول الإمامة والولایة.

والمفسر الوحید الذی اتخذ موقفاً سلبیاً ازاء هذا الحدیث بین المفسرین المعروفین «هو الالوسی» فی «روح المعانی»، حیث إنّه ینقل الحدیث طبقاً لما هو معمول به ثم یسعی إلی التقلیل من شأنه أو اهماله بالکامل.

إنّه وبعد أن ینقل الحدیث عن «البراء بن عازب» ویؤیده مع حدیث «محمد بن الحنفیة» یقول: «المعیار فی تفسیر الآیة عموم اللفظ دون خصوص سبب النزول» «۶».

قلنا مراراً ونعود فنقول مرة اخری لا یدعی أحد أنّ سبب النزول یحدد المفهوم الشامل للایات، بل إنّ سبب النزول هو الاتم والاکمل للایة.

وبتعبیر آخر: إنّ ما جاء فی هذه الروایات بشأن علی علیه السلام علی أنّ اللّه تعالی جعل محبته فی قلوب المؤمنین جمیعاً، لم یأت بشأن أی فرد آخر من امة محمد صلی الله علیه و آله، وهذه فضیلة کبری لأمیر المؤمنین علی علیه السلام حیث لا یجاریه احد فی هذه الفضیلة.

یا تری ألیس من جعل اللّه تعالی قلوب المؤمنین جمیعاً تطفح بمودته ومحبته، أجدر من الجمیع لمنصب الإمامة الإلهی، وخلافة الرسول صلی الله علیه و آله؟

---

(۱) التذکرة، ص ۲۰.

(۲) ذخائر اعقبی، ص ۸۹.

(۳) الفصول المهمة، ص ۱۰۶.

(۴) الصواعق المحرقة، ص ۱۷۰.

(۵) اسعاف الراغبین المدون فی حاشیة نور الابصار، ص ۱۱۸.

(۶) تفسیر روح المعانی، ج ۱۶، ص ۱۳۰.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۷۵

۲۱- آیة المنافقین

«وَلَوْ نَشَاءُ لَاَرَیْنَاکَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِیَماهُم وَلَتَعْرِفَنَّهُم فِی لَحْنِ القَوْلِ». (محمد/ ۳۰)

تعدُّ هذه الآية- فى الحقيقة- نقطة مقابل شىء ما ورد فى الآية السابقة.

فقد نزلت هذه الآية بشأن المنافقين وصفاتهم، يقول تعالى ولو نشاء لأريناكهم بل ونضع العلامات فى وجوههم لتعرفهم بها.

ثم يضيف بعد ذلك: ولتعرفنّهم أيضاً فى طريقة حديثهم، لاسيما وأنّه كلما ورد الحديث عن الجهاد، تراهم يسعون للتنصل واضعاف معنويات الناس، وعندما يدور الحديث عن الصالحين والطاهرين والسابقين فى الإسلام، يسعون لخدش سمعتهم ومكانتهم.

ومن هنا حيث نقرأ فى حديث مشهور عن «أبى سعيد الخدرى» أنّه يقوله فى تفسير جملة «وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ القَوْلِ»: «ببغضهم على بن أبى طالب!» نقل هذا الحديث «الحاكم الحسكانى» فى «شواهد التنزيل» من ثلاثة طرق «۱».

ونقل «السيوطى» أيضاً فى تفسير «الدر المنثور» هذا الحديث عن «ابن مردويه» و «ابن عساكر» عن «أبى سعيد الخدرى» «۲».

وينقل فى رواية اخرى عن «ابن مسعود» أنّه كان يقول: «ماكنا نعرف المنافقين على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلّابببغضهم على بن أبى طالب عليه السلام» «۳».

ولا يقتصر رواة هذا الحديث والكتب التى نقل فيها على ما ذكره فقط، ذلك أنّ «جابر بن

---

(۱) شواهد التنزيل، ج ۲، ص ۱۷۸ (ح ۸۸۳ إلى ۸۸۵).

(۲) تفسير در المنثور، ج ۶، ص ۶۶.

(۳) المصدر السابق.

عبد اللَّه الأنصارى»، و «أبوذر الغفارى» نقلا هذا الحديث أيضاً.

ومنهم أنّ «ابن عبد البر» ينقل هذا الحديث عن جابر فى «الاستيعاب» «۱»، وأنّ «محب الدين الطبرى» ينقل عن «أبو ذر» فى «الرياض النضرة» بهذا النحو: «ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلّابثلاث: بتكذيبهم اللَّه ورسوله والتخلف عن الصلاة وبغضهم علىَّ بن أبى طالب» عليه السلام «۲».

ونقل هذا الحديث أيضاً فى «صحيح الترمذى» وهو من المصادر الرئيسة لدى أهل السنة من طريقين عن «أبى سعيد الخدرى» و «أم سلمة»، وهناك فارق بسيط فى حديث «أم سلمة» عن الحديث السابق «۳».

ونقل ابن عساكر أيضاً فى تاريخ دمشق، نفس هذا المضمون أو نظيره مرة عن «أبى سعيد الخدرى»، ومرة عن «جابر بن عبد اللَّه»، واخرى عن «عبادة بن الصامت»، ومرة عن «محبوب بن أبى الزناد» «۴».

جاء فى حديث «عبادة بن الصامت» أنّه قال «كنّا نبور أولادنا بحب على بن أبى طالب عليه السلام، فاذا رأينا أحداً لا يحب على بن أبى طالب علمنا أنّه ليس منّا، وأنّه لغير رُشده»، وفى حديث «محبوب بن أبى الزناد»، أنّه ورد على لسان طائفة من الأنصار قولهم: «إنّ كنّا لنعرف الرجل إلى غير أبيه ببغضه على بن أبى طالب عليه السلام» «۵».

وننهى حديثنا بنقل هذه الرواية التى تمتاز بسعة مفهومها وشموليتها مع حديث منقول عن شخص الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله.

تحدث الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله يوم خيبر بحديث مفصل بشأن على عليه السلام، ومن جملة ماقاله:

«يا أيّها الناس امتحنوا أولادكم بحبه، فإنّ علياً لايدعو إلى ضلالة ولا يبعدعن هدى فمن

---

(۱) الاستيعاب، ج ۲، ص ۴۶۴.

(۲) الرياض النضرة، ص ۲۱۴.

(۳) صحيح الترمذى، ج ۵، ص ۶۳۵، ح ۳۷۱۷.

(۴) تاريخ مدينة دمشق، ج ۴۲، ص ۲۸۷.

(۵) المصدر السابق.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۷۷

أحبه فهو منكم ومن أبغضه فليس منكم!» «۱».

يتضح لنا بشكل جلى أنّ الإنسان عندما يتأمل بشكل دقيق فى هذه الروايات والرواية السابقة المذكورة فى نهاية الآيتين الشريفتين من القرآن بانه يواجه شخصية يعد حبه ومودته علامة الإيمان، ومخالفته ومعاداته علامة الكفر والنفاق، هذا فى الوقت الذى تمكنت فيه هذه الروايات أن تمر عبر الممرات الزمنية السابقة، حيث قامت الحكومات السابقة مثل حكومة بنى امية بمضايقة ومحاصرة أصحاب ومحبى على عليه السلام باشد ما يكون، وحيث كان أعداؤه يمسكون زمام الامور فى كل مكان، بل وحتى أنّ سب ولعن على فى المجالس العامة كان ممّا يتقرب به للحكومة ومراكز السلطة، حقاً أنّ الإنسان ليتعجب من أنّ كل هذه الفضائل الفريدة والنادرة التى ملأت الآفاق شرقاً وغرباً، وملأت صفحات كتب الرواية والتفسير والتاريخ، كيف تمكنت أن تفلت من قبضة هؤلاء الأعداء الألداء وتصل اليوم إلى أيدينا.

لا- يمكن أن ننظر إلى هذا الأمر سوى أنّه من مشيئة اللَّه وامداده من أجل بقاء نور الحق مضيئاً على مر القرون والأعصار، ولإتمام الحجة فى خلافة وولاية على عليه السلام على جميع الاجيال.

---

(۱) مختصر تاريخ ابن عساكر، ج ۱۷، ص ۳۷۱.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۷۹

۲۲- آية الإيذاء

«انَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِى الدُّنيَا وَالآخِرَةِ وَاعَدَّ لَهُمْ عَذابَاً مُّهِيناً».

(الأحزاب/ ۵۷)

من البديهى أنّه ليس بوسع احد أن يلحق الاذى والضرر بالذات المقدسة للَّه‌تعالى وبناءً على ذلك فإنّ المراد من ايذاء اللَّه- كما أكّد على ذلك المفسرون أيضاً- أنّ الكفر والالحاد هما اللذأن يغضبان اللَّه تعالى وقد أكدت الآية على معاقبة الذين يؤذون الرسول والمؤمنين، ذلك أنّ ايذائهم يعد بمنزلة ايذاء اللَّه تعالى

ونقرأ هنا فى الروايات المتعددة التى وصلت عن طرق الاخوة من أهل السنّة، وعن طرق أهل البيت عليهم السلام أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله قال: «ياعلى! من آذاك فقد آذانى»، وعلى هذا النحو فإنّ ايذاءه يعد ايذاءً للرسول صلى الله عليه و آله.

ينقل «الحاكم الحسكانى» فى «شواهد التنزيل» عن «جابر بن عبد اللَّه الأنصارى» أنّه قال: سمعت من الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، أنّه قال لعلى «من آذاك فقد آذانى» «۱».

وينقل فى حديث آخر عن «ابن أبى سلمة» عن أم سلمة زوج الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، أنّها قالت: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول لعلى بن أبى طالب عليه السلام: «أنت أخى وحبيبى، من آذاك فقد آذانى» «۲».

ثم يضيف قائلًا: ونقل نفس هذا المعنى عن طائفة اخرى مثل «عمر»، و «سعد بن أبى وقاص»، و «أبو هريرة»، و «ابن عباس»، و «أبو سعيد الخدرى» «۳».

---

(۱) شواهد التنزيل، ج ۲، ص ۸۹، ح ۷۷۷.

(۲) المصدر السابق، ص ۹۸، ح ۷۷۸.

(۳) المصدر السابق، ص ۹۹.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۸۰

ونقل فی حدیث آخر عن علی بن أبی طالب علیه السلام أنّه قال وقد اشار إلی شعره ومسکه بیده: حدثنی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وقد أشار إلی شعره وقبض علیه بیده ثم قال: «من آذی شعرةً منک فقد آذانی، ومن آذانی فقد آذی اللَّه، ومن آذی اللَّه فعلیه لعنة اللَّه» «۱».

إنّ الأحادیث التی ذکرت تشیر فقط إلی أنّ ایذاء علی علیه السلام یعد ایذاءً للرسول صلی الله علیه و آله، إلّاأنّه لم یستند فیها إلی الآیة السابقة، بینما ورد هذا الاستناد بشکل صریح فی بعض الروایات، منها ماقاله الحاکم النیسابوری فی «مستدرک الصحیحین» فی حدیث صحیح معتبر عن «ابن عباس» أنّه قال: إنّ رجلًا من أهل الشام سب علیاً علیه السلام أمامه، فقال ابن عباس: «یاعدو اللَّه آذیت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله «انَّ الَّذِینَ یُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِی الدُّنیا وَالآخِرَةِ وَاعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِیناً» لو کان رسول اللَّه صلی الله علیه و آله حیاً لآذیته» «۲».

ونقل «الذهبی» هذا الحدیث أیضاً فی «تلخیص المستدرک» ویصرح أنّه حدیث صحیح «۳».

ونقل السیوطی فی «الدر المنثور» روایة ابن عباس واستناده إلی الآیة الشریفة السابقة أیضاً «۴».

وینقل أیضاً فی کتاب «مستدرک الصحیحین» عن «عمرو بن شاس» حدیثاً مفصلًا جاء فی آخره: «یقول عمرو بن شاس الاسلمی وکان من أصحاب الحدیبیة قال: خرجنا مع علی علیه السلام إلی الیمن فجفانی فی سفره ذلک حتی وجدت فی نفسی، فلما قدمت اظهرت شکایته فی المسجد حتی بلغ ذلک رسول اللَّه صلی الله علیه و آله قال: فدخلت المسجد ذات غداة، ورسول اللَّه صلی الله علیه و آله فی ناس من أصحابه فلما رآنی أبدنی عینیه، قال: یقول حدد إلیّ النظر حتی إذا جلست قال: یاعمرو أما واللَّه لقد آذیتنی، فقلت: أعوذ باللَّه أن أوذیک یارسول اللَّه، قال: بلی من آذی علیاً فقد آذانی».

---

(۱) شواهد التنزیل، ج ۲، ص ۹۷، ح ۷۷۶.

(۲) مستدرک الصحیحین، ج ۳، ص ۱۲۱.

(۳) تلخیص المستدرک المطبوع نهایة مستدرک الصحیحین، ج ۳، ص ۱۲۲.

(۴) تفسیر در المنثور، ج ۵، ص ۲۲۰.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۸۱

ویقول الحاکم النیسابوری بعد ذکره هذا الحدیث: إنّه حدیث صحیح معتبر «۱».

تجدر الإشارة إلی أنّ: مؤلف «مختصر تاریخ دمشق» أورد هذا الحدیث فی کتابه مع عدّة أحادیث اخری عن «جابر»، و «سعد بن أبی وقاص»، و «عمرو بن شاس»، وکلها تُجمع علی أنّ ایذاء علی علیه السلام یعد ایذاءً للرسول صلی الله علیه و آله «۲».

إنّ هذه الأحادیث «متظافرة» وکثیرة، وأنّ الکثیر منها یعدّ من الأحادیث التی قال بصحة سندها علماء أهل السنّة، وهی تدل بشکل واضح علی أنّ علیاً علیه السلام هو نفس الرسول صلی الله علیه و آله، ومودته مودة للرسول صلی الله علیه و آله ومحبته محبة لرسول اللَّه صلی الله علیه و آله وایذاؤه ایذاء لرسول اللَّه صلی الله علیه و آله.

وبناءً علی ما تقدم، هل من شک فی أنّ علیاً علیه السلام أفضل الامّة بعد رسول اللَّه، وأنّه أنیق فرد فی الامّة لتولی منصب الإمامة والولایة وخلافة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله؟

---

(۱) مستدرک الصحيحين، ج ۳، ص ۱۲۲، وقد ورد هذا ورد هذا الحديث نصاً فی تلخيص الذهبی.

(۲) مختصر تاريخ دمشق، ج ۱۷، ص ۳۴۲.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۸۳

۲۳- آية الانفاق

«الَّذِينَ يُنْفِقُونَ امْوَالَهُمْ بَاللَّيلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً فَلَهُم اجْرُهُم عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ». (البقرة/ ۲۷۴)

لاشک أنّ مفهوم الآية مفهوم عام وشامل، إذ إنّ الترغيب بالانفاق فی سبيل اللَّه يتخذ اشكالًا مختلفة، فی السر والعلن وفی الليل والنهار، وتبشر المنفقين بشارة عظيمة: «فَلَهُمْ اجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِم وَلَا خَوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحزَنُونَ» ممّا قد سلف أو ممّا هو آت، ولكن يستفاد من الروايات الإسلامية أنّ مصداق هذه الآية الأكمل هو علی عليه السلام.

لاسيما أنّه وردت روايات كثيرة فی سبب نزول هذه الآية، تؤكد علی أنّها نزلت أول مرّة فی حق علی عليه السلام.

يقول ابن عباس: نزلت هذه الآية فی علی بن أبی طالب عليه السلام وكانت عنده أربعة دراهم فقط، أنفقهن فی سبيل اللَّه، درهماً فی الليل، ودرهماً فی النهار، ودرهماً فی العلن، ودرهماً فی السر، فقال رسول اللَّه صلی الله عليه و آله «ما حملك علی هذا؟ قال: حملنی عليها رجاء أنّ استوجب علی اللَّه ما وعدنی».

فقال رسول اللَّه صلی الله عليه و آله: «ألا ذلك لك»، فنزلت الآية السابقة فی هذه الأثناء.

أورد هذا الحديث «الحاكم الحسكانی» فی «شواهد التنزيل» مع سبعة أحاديث اخری بنفس هذا المضمون بطرق مختلفة «۱».

وينقل «السيوطی» هذا المضمون نفسه فی «الدر المنثور» بطرق متعددة منها: عن ابن عباس، أنّ هذه الآية نزلت فی علی بن أبی طالب عليه السلام وعنده أربعة دراهم، انفق منها درهماً

---

(۱) شواهد التنزيل، ج ۱، ص ۱۰۹- ۱۱۵.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۸۴

فی الليل، ودرهماً فی النهار، ودرهماً فی السر ودرهماً فی العلن، ونزلت هذه الآية «۱».

معنی هذا الحديث أنّ علياً عليه السلام كان يسلك مختلف السبل من أجل الحصول علی رضا اللَّه تعالی فقد انفق كل ما تحت بساطه فی سبيل اللَّه، وكذلك فإنّه اعطی ليلًا وانفق فی حالتين مختلفتين سراً وعلناً، وفی النهار أيضاً انفق فی كلا الحالتين سراً وعلانية، إنّ هذا الإيثار والإخلاص المقرون بالشوق العظيم لكسب رضا اللَّه تعالی وبكل وسيلة ممكنة، نال قبول اللَّه تعالی فنزلت تلك الآية الشريفة.

ومن الذين نقلوا هذه الرواية، «محب الدين الطبری» فی «ذخائر العقبی «۲»، و «سبط ابن الجوزی» فی «التذكرة» «۳»، و «العلّامة الكنجی» فی «كفاية الطالب» «۴»، والمفسر المعروف «القرطبی» فی تفسيره «۵»، وأورد هذا الحديث- بنفس تلك العبارة أو باختلاف بسيط- جمع آخر فی كتبهم.

وكذلك ذكره «الشبلنجی» فی «نور الأبصار» «۶»، و «الشيخ سليمان القندوزی» فی «ينابيع المودة» «۷».

وينقل مؤلف «الفضائل الخمسة» هذا الحديث أيضاً فی كتابه عن جمع آخر منهم «ابن الاثير» فی «اسد الغابة» «۸»، و «ابن حجر» فی «الصواعق المحرقة» «۹»، و «الواحدی» فی «أسباب النزول» «۱۰».

ونختم هذه الأحاديث بجملة عن ابن أبی الحديد المعتزلی: إنّه وبعد الإشارة إلی

---

(۱) تفسیر در المنثور، ج ۱، ص ۳۶۳.

(۲) ذخائر العقبی ص ۸۸.

(۳) تذکرة الخواص، ص ۱۷.

(۴) کفایة الطالب، ص ۱۰۸.

(۵) تفسیر القرطبی، ج ۲، ص ۱۱۱۵، (ذیل الآیة مورد البحث).

(۶) نور الابصار، ص ۱۰۵.

(۷) ینابیع المودة، ص ۹۲.

(۸) اسد الغابة، ج ۴، ص ۲۵.

(۹) الصواعق المحرقة، ص ۷۸.

(۱۰) أسباب النزول، ص ۶۴ (استناداً لنقل الفضائل الخمسة)، ج ۱، ص ۳۲۱ و ۳۲۲.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۸۵

الصفات السامیة لعلی علیه السلام، وعندما یصل إلی مسألة الجود والسخاء یقول بعد الإشارة لآیات سورة هل أتی: وروی المفسرون أنّه لم یملک إلّاأربعة دراهم، فتصدق بدرهم لیلًا، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً، وبدرهم علانیة، فأنزل فیه «الذین ینفقون أموالهم ...» «۱».

یبین هذا التعبیر أنّ هذه المسألة متفق علیها بین المفسرین أو علی الأقل مشهورة.

---

(۱) شرح ابن أبی الحدید، ج ۱، ص ۲۱ (أورده ضمن مقدمة فی وصف المولی علی علیه السلام).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۸۷

۲۴- آیة المحبة

«یَا اَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا مَنْ یَرْتَدَّ مِنْکُمْ عَنْ دِینِهِ فَسَوْفَ یَأْتِی اللَّهُ بِقَوْمٍ یُحِبُّهُمْ وَیُحِبُّونَهُ اذِلَّةٍ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ اعِزَّةٍ عَلَی الْکَافِرِینَ یُجَاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَلَایَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِکَ فَضْلُ اللَّهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِیمٌ». (المائدة/ ۵۴)

تصرح هذه الآیة بوضوح: بأنّ ارتداد المسلمین الداخلین توّاً إلی الإسلام لا یشکل ضرراً علیه، فإنّ اللَّه تعالی قد أوکل أمر الدفاع عن هذا الدین المقدس إلی طائفة من المؤمنین ذوی الخصال المتمیزة، من الذین یحبون اللَّه ویحبهم.

والذین یمتازون بالتواضع والتخضع أمام المؤمنین، وبالشدة والشجاعة أمام الکافرین، الذین یحاربون ویجاهدون دون کلل فی سبیل اللَّه، ولا یخافون لومة لائم أبداً.

أجل، إنّ اجتماع هذه الصفات فی فرد أو مجموعة من الأفراد، یعد فضلًا إلهیاً لا یلیق بکائن من کان.

ولاـ شک فی أنّ مفهوم هذه الآیة واسع وشامل کما هو الحال فی کثیر من الآیات السابقة، ولکن یستفاد من الروایات المنقولة عن طرق الشیعة والسنة وبشکل واضح أنّ علیاً علیه السلام أفضل واکمل مصداق لهذه الآیة.

وعندما یصل الفخر الرازی إلی تفسیر هذه الآیة، وینقل اقوالًا عن المفسرین حول تطبیق هذه الآیة، یقول فی نهایة البحث:

قال جمع إنّ هذه الآیة نزلت فی علی علیه السلام، ثم یستدل بدلیلین لدعم هذا القول، أولًا عندما اعطی الرسول صلی الله علیه و آله الرایة بید علی علیه السلام یوم خیبر، قال «لأدفعن الرایة غداً إلی رجل یحبُّ اللَّه ورسوله ویحبه اللَّه ورسوله». نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۸۸

ثم يقول: وهى عين الصفة التى اشير إليها فى الآية الآنفة، والدليل الآخر أنّ الآية التالية لها هى آية: «انَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ...» إذ نزلت بحق على عليه السلام لذا من الأجدر القول أنّ الآية السابقة هى الاخرى نزلت بحقه أيضاً (نهاية كلام الفخر الرازى) «۱».

إنّ استدلال الفخر الرازى بكلام الرسول صلى الله عليه و آله يوم فتح خيبر إشارة إلى حديث معروف نقل فى الكثير من الكتب المشهورة على أنّه قيل بحق على عليه السلام، ويعد من أعظم فضائله عليه السلام، سيما وأنّه طبقاً لهذا الحديث، وبعد أن فشل نفر من قادة جيش الإسلام فى فتح خيبر، فإنّ الرسول صلى الله عليه و آله وقف فى ليل ذلك اليوم وسط الجيش وخاطبهم قائلًا: «لأعطين الراية غداً رجلًا يحب اللَّه ورسوله ويحبه اللَّه ورسوله كراراً غير فرار، لا يرجع حتى يفتح اللَّه على يده!».

ثم قال: اين على؟ قالوا: إنّه مريض، وعينه تؤلمه (ولا يقوى على الحرب) فقال: علىّ به، فجاء على ونفخ الرسول صلى الله عليه و آله فى عينه (أو مسح من ريق فمه على عينه) فبرأت عينه المباركة، فأعطاه الراية، وفى اليوم التالى فتح خيبر فى هجوم خاطف (فتحقق هذا التنبوء العجيب للرسول صلى الله عليه و آله بشأنه).

وقد أورد هذا الحديث- إضافة للفخر الرازى- كثير من المحدثين والمؤرخين (باختلاف بسيط فى التعابير) فى كتبهم، ومنهم الحاكم النيسابورى فى كتاب مستدرك الصحيحين: وقد أشار إليه فى ثلاثة مواضع: أولًا نقل فى حديث عن «ابن عباس» أنّ جماعة تحدثوا عنده بألفاظ غير مناسبة بشأن على عليه السلام فانزعج بشدّة وقال: «اف وتف، وقعوا فى رجل له بضع عشرة فضائل ليس لأحد غيره وقعوا فى رجل قال له النبى صلى الله عليه و آله لأبعثن رجلًا لا يخزيه اللَّه أبداً يحب اللَّه ورسوله ويحبه اللَّه ورسوله» «۲».

وينقل فى حديث آخر عن «عامربن سعدبن أبىوقاص» أنّ معاوية قال لأبى «سعد» ذات يوم: ما يمنعك أن تسب ابن أبى طالب؟ فقال: لا أسبه ماذكرت ثلاثاً قالهن له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لأنّ تكون لى واحدة منهن احب الى من حمر النعم، قال معاوية: وما هن؟ قال: «حين أنزل

---

(۱) التفسير الكبير، ج ۱۲، ص ۲۰.

(۲) المستدرك، ج ۳، ص ۱۳۲.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۸۹

عليه «انَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجسَ اهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» فأخذ علياً وفاطمة وابنيها فادخلهم تحت ثوبه وقال: «ربّ إنّ هؤلاء أهل بيتى»، ولا أسبه ما ذكرت حين خلفه فى غزوة تبوك، فقال له: خلفتنى مع الصبيان والنساء، قال:

«إلّا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلّاأنّه لا نبوة بعدى»، ولا اسبه ماذكرت يوم خيبر، وقال: «لأعطين الراية غداً رجلًا يحب اللَّه ورسوله ويفتح اللَّه على يديه» فتطاولنا لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال: أين على، قالوا: هو أرمد، قال: ادعوه، فدعوه فبصق فى وجهه ثم أعطاه الراية ففتح اللَّه عليه، قال: فلا واللَّه ماذكره معاوية بحرف حتى خرج من المدينة «۱».

وينقل فى الحديث الثالث عن «عبد اللَّه بن بريدة الأسلمى» أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله قال الجملة التالية فى خيبر ... ثم ينقل القصة مع بعض الإضافات علاوة على ماذكر آنفاً «۲».

ومن الذين صرحوا بأنّ الآية السابقة نزلت بحق على عليه السلام، «الثعلبى» فى تفسيره (استناداً إلى ما ورد فى مناقب عبد اللَّه الشافعى) إذ يقول فى نهاية الآية السابقة: «إنّها نزلت فى على عليه السلام» «۳».

ويصرح العلّامة «الثعلبى» فى نهاية هذه الآية أيضاً (بناءً على نقل ابن بطريق فى كتاب العمدة): أنّها نزلت فى على بن أبى طالب عليه السلام «۴».

وينقل ذلك أيضاً مؤلف «كنز العمال» فى كتابه عن «سعد بن أبى وقاص»، وفى حديث آخر عن «عامر بن سعد» أورد نفس هذا المعنى مع بعض الإضافات «۵».

إنّ هذه الأحاديث وما يشابهها التى وردت فى الكتب المعروفة للسنة واتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام تحكى عن فضيلة لا مثيل لها على قول سعد بن أبى وقاص، التى إن وجدت فى أحد الأفراد تكفيه فخراً وفضلًا.

---

(۱) تلخيص المستدرك المطبوع فى حاشية المستدرك، ج ۳، ص ۱۰۸ و ۱۰۹.

(۲) المستدرك، ج ۳، ص ۴۳۷.

(۳) المناقب، ص ۱۶۰ مخطوطة (بناءً على نقل احقاق الحق، ج ۱۴، ص ۲۴۸).

(۴) العمدة، ص ۱۵۱، (طبقاً لنقل احقاق الحق، ج ۳ ص ۱۹۸).

(۵) كنز العمال، ج ۱۳، ص ۱۶۲ و ۱۶۳ (الحديث رقم ۳۶۴۹۵ و ۳۶۴۹۶) (طبع مؤسسة الرسالة- بيروت).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۹۰

وبوجود مثل هذه الشخصية وسط الامّة، هل يجدر بنا أن نتصور أنّه بالإمكان تسليم خلافة الرسول صلى الله عليه و آله لغير شخصه؟!

ولهذه الملاحظة أيضاً أهميّة بالغة فى تأكيد مفهوم آية المودّة، أنّه يستفاد من الروايات الواردة فى الكتب المعروفة والمشهورة أنّ علياً عليه السلام لم يحظ برعاية الرسول صلى الله عليه و آله ولطف اللَّه تعالى به فحسب، بل إنّه كان أحبّ المخلوقات عند اللّه ورسوله أيضاً.

والشاهد على هذا الكلام حديث «الطير» المعروف.

نقرأ فى كتاب «المستدرك على الصحيحين» إنّ «أنساً» خادم الرسول صلى الله عليه و آله مرض بعد أن عمَّر طويلًا بعد النبى صلى الله عليه و آله فأتاه محمد بن الحجاج يعوده فى أصحاب له، فجرى الحديث حتى ذكروا علياً عليه السلام فتنقصه محمد بن الحجاج، فقال أنس: من هذا أقعدونى فأقعدوه، فقال: يا ابن الحجاج، إلّاأراك تنقص على بن أبى طالب، والذى بعث محمداً صلى الله عليه و آله بالحق، لقد كنت خادم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بين يديه وكان كل يوم يخدم بين يدى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله غلام من أبناء الأنصار، فكان ذلك اليوم يومى، فجاءت ام أيمن مولاة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بطير فوضعته بين يدى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: يا ام أيمن ما هذا الطائر؟ قالت: هذا طائر أصبته فصنعته لك، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «اللّهم جئنى بأحبّ خلقك إليك وإلىَّ يأكل معى من هذا الطائر»، وضرب الباب، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: ياأنس انظر من على الباب، قلت: اللّهم اجعله رجلًا من الأنصار، فذهبت فاذا على بالباب، قلت: إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على حاجة فجئت حتى قمت مقامى فلم ألبث أن ضرب الباب، فقال: يا أنس انظر من على الباب، فقلت: اللّهم اجعله رجلًا من الأنصار فذهبت فاذا على بالباب، قلت: إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على حاجة فجئت حتى قمت مقامى فلم ألبث أن ضرب الباب، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يا أنس اذهب فأدخله فلست بأول رجل أحبّ قومه ليس هو من الأنصار فذهبت فأدخلته، فقال: يا أنس قرب إليه الطير، قال: فوضعته بين يدى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فأكلا جميعاً، قال محمد بن

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۹۱

الحجاج: يا أنس كان هذا بمحضر منك؟ قال: نعم، قال: اعطى باللَّه عهداً أن لا انتقص علياً بعد مقامى هذا ولا أعلم أحد ينتقصه إلّاأشنت له وجهه «۱».

وأورد «الذهبى» هذا الحديث أيضاً فى «تلخيص المستدرك» المطبوع فى حاشية «المستدرك».

وإضافة لما قلناه، فإنّ الحديث المعروف ب «حديث الطير» فى مختلف المصادر الإسلامية، ورد فى كتب كثيرة، بحيث إنّ العلّامة الأمينى رحمه الله يقول بشأنه: حديث الطير حديث متواتر وصحيح سلّم أئمّة الحديث بتواتره وصحته.

وأورد هذا الحديث «موفق بن أحمد» وهو فقيه، ومحدث كبير، وخطيب فذ، وأديب، وشاعر فى كتاب المناقب «۲».

والأهم من ذلك أنّ المحدث المعروف «الترمذى» ينقل فى كتابه المشهور باسم «صحيح الترمذى» عن «أنس بن مالك» أنّه كان بين يدى الرسول صلى الله عليه و آله طيراً، فقال: «اللّهم أئتنى بأحبّ خلقك إليك يأكل معى هذا الطير فجاء على فأكل معه» «۳».

يقول العلّامة الكنجى الشافعى فى «كفاية الطالب» بعد نقله هذا الحديث: «وفيه دلالة واضحة على أنّ علياً عليه السلام أحبّ الخلق إلى اللّه وأدل الدلالة على ذلك اجابة دعاء النبى صلى الله عليه و آله فيما دعا به، وقد وعد اللّه تعالى من دعاه بالاجابة حيث قال: «ادعونى استجب لكم» فأمر بالدعاء ووعد بالاجابة، وهو عزّ وجلّ لا يخلف الميعاد، وما كان اللّه عزّ وجلّ ليخلف وعده رسله ولا يرد دعاء رسوله لأحبّ الخلق إليه ومن أقرب الوسائل إلى اللّه تعالى محبته ومحبة من يحبّه لحبّه» «۴».

وينقل «العلّامة النسائى»- وهو من علماء القرن الثالث الهجرى- هذا الحديث أيضاً مع

---

(۱) المستدرك على الصحيحين، ج ۳، ص ۱۳۱.

(۲) المناقب، ص ۶۷.

(۳) صحيح الترمذى، ج ۱۳، ص ۱۷۰.

(۴) كفاية الطالب، ص ۵۹، (طبقاً لنقل احقاق الحق، ج ۵، ص ۳۱۹).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۹۲

بعض الإضافات فى كتابه المعروف «الخصائص» «۱».

ومن العلماء الآخرين الذين نقلوا هذا الحديث فى كتبهم: «سبط ابن الجوزى» فى «التذكرة»، و «ابن الأثير» فى «اسد الغابة»، و «ابن مسعود الشافعى» فى «مصابيح السنة»، و «محب الدين الطبرى» فى «ذخائر العقبى ، و «الشيخ سليمان البلخى القندوزى» فى «ينابيع المودة»، وطائفة اخرى غيرهم لو أردنا ذكر أسمائهم وشرح كلماتهم لطال بنا المقام.

ومن الملاحظات التى قد تثير الدهشة لدى البعض أنّ ابن الأثير فى «اسد الغابة» عندما ينقل حديث الطير بعدة طرق، يقول فى احدى طرق الحديث المنقول عن أنس بن مالك: إنّ النبى صلى الله عليه و آله كان عنده طائر فقال اللّهم ائتنى بأحبّ خلقك إليك يأكل معى من هذا الطائر فجاء أبو بكر فرده، ثم جاء عثمان، فرده (وفى رواية اخرى نقلها النسائى فى الخصائص ورد اسم عمر بدل عثمان) فجاء على فأذن له.

يقول «ابن الأثير» فى نهاية هذا الحديث أن ذكر أسماء «أبو بكر وعثمان» فى هذا الحديث غريب جدّاً «۲».

والأعجب من ذلك أنّ بعض المحدثين من السنّة إذ أرادوا المرور بهذه الفضيلة الفريدة مرّوا مستطرقين وأغمضوا أعينهم عن الحقائق، ولجأوا إلى التشكيك فى سند هذا الحديث، مثل ابن كثير الدمشقى كاتب «البداية والنهاية» إذ يقول بعد ذكر هذا الحديث: «وفى القلب من صحة هذا الحديث نظر وإن كثرت طرقه» «۳».

بينما نجد أنّ هذا الحديث المتواتر الذى ورد فى الكثير من المصادر المعروفة بشكل واسع، لا غبار عليه من حيث السند والدلالة سوى أنّه لا ينسجم مع الأحكام المسبقة للبعض، وللمرحوم العلّامة الأمينى جملة لطيفة بعد ذكر هذه العبارة إذ يقول: «باجتماع

---

(۱) الخصائص، ص ۵.

(۲) اسد الغابة، ج ۴، ص ۳۰.

(۳) البداية والنهاية، ص ۳۵۳.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۹۳

جميع شروط الصحة فى هذا الحديث إن كان شك ما فى القلب تجاه هذا الحديث أيضاً، فالإشكال يكمن فى ذلك القلب وليس فى

الحديث».

۲۵- آية المسؤولين

نقرأ فى قوله تعالى بشأن الظالمين: إنّ الخطاب يأتى إلى ملائكة العذاب: «وَقِفُوهُم انَّهُمْ مَّسْؤولُونَ». (الصافات/ ۲۴)

وهناك أخذ ورد بين المفسرين فيما سيسألون عنه، قال بعضهم: عن البدع التى ابتدعوها، وقال بعضهم الآخر: عن أعمالهم السيئة وعن خطاياهم، وأضاف بعضهم: عن التوحيد: «ولا إله إلّااللّه» «۱».

ولا مانع من اجتماعهن جميعاً فى مفهوم الآية.

إلّا أنّه ورد فى العديد من الروايات أنّ المراد هو السؤال عن «ولاية على بن أبى طالب عليه السلام».

وقد وردت هذه الروايات فى المصادر الإسلامية المعروفة.

ومنها فى «شواهد التنزيل»، إذ ينقل بطريقين عن أبى سعيد الخدرى، عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال فى تفسير هذه الآية: «عن ولاية على بن أبى طالب» «۲».

وينقل فى حديث آخر عن «سعيد بن جبير»، عن «ابن عباس» أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله قال: «إذا كان يوم القيامة أوقف أنا وعلى على الصراط فما يمر بنا أحد إلّاسألناه عن ولاية على، فمن كانت معه، وإلّا ألقيناه فى النار! وذلك قوله وقفوهم إنّهم مسؤولون» «۳».

ونقل «الحاكم الحسكانى» هذا الحديث أيضاً فى الكتاب المذكور، عن طرق اخرى

---

(۱) تفسير مجمع البيان، ج ۷، ص ۴۴۱ (نهاية الآية التى نحن بصددها).

(۲) شواهد التنزيل، ج ۲، ص ۱۰۶- ۱۰۷، ح ۷۸۶ و ۷۸۷.

(۳) المصدر السابق، ح ۷۸۸.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۹۴

ونقل «ابن حجر» أيضاً فى كتاب «الصواعق» هذا الحديث عن «أبى سعيد الخدرى» عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله «۱».

وممن نقل هذا الحديث «أحمد بن حنبل» (أحد الأئمّة الأربعة للسنّة) فى كتاب المسند عن أبى سعيد الخدرى: «إنّه يسأل فى يوم القيامة عن ولاية على بن أبى طالب عليه السلام».

ونقل هذا الحديث أيضاً كل من: «عز الدين الحنبلى» فى «كشف الغمة» «۲»، والآلوسى فى تفسيره «۳»، و «سبط ابن الجوزى» فى «التذكرة» «۴»، و «أبو نعيم الاصفهانى» فى «كفاية الخصام» «۵»، و «الشيخ سليمان القندوزى» فى «ينابيع المودة» «۶»، وجمع آخر لو أردنا ذكر اسمائهم وكتبهم لطال بنا المقام.

والطريف أنّه- فى بعض هذه الروايات- وردت «ولاية أهل البيت» إضافة لولاية على عليه السلام «۷».

كما أنّ هذه الملاحظة جديرة بالاهتمام أيضاً وهى أنّ جميع الروايات الآنفة الذكر نقلت عن المصادر المعروفة والكتب المشهورة للسنة، والرواة المقبولين، ولكن مع ذلك فإنّ «الآلوسى» عندما ينقل هذه الرواية يقول: «روى بعض الإمامية عن ابن جبير عن ابن عباس يسألون عن ولاية على»، و «كذلك نقل الإمامية هذه الرواية عن أبى سعيد الخدرى» «۸».

ويضيف من عنده ولاية سائر الخلفاء بكل تعجب!

إنّ هذا المفسر المتعصب يتصور أنّ كل حديث بشأن فضائل على عليه السلام لابدّ وأن يكون

---

(۱) الصواعق، ص ۸۹.

(۲) کشف الغمة، ص ۹۲.

(۳) تفسیر روح المعانی، نهایة الآیة التی نحن بصددها.

(۴) التذکرة، ص ۲۱.

(۵) کفایة الخصام،، ص ۳۶۱.

(۶) ینابیع المودة، ص ۲۵۷.

(۷) علی فی الکتاب والسنة، ج ۱ ص ۲۲۹.

(۸) تفسیر روح المعانی، ج ۲۳، ص ۷۴.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۹۵

رواته من الإمامیة والشیعة حتماً، وکأنّ أحکامه الطائفیة المسبقة لا تسمح له التصدیق بأنّ هذه الأحادیث منقولة بهذا الشکل الواسع فی المصادر المعروفة للسنّة، وکأنّه لا یصدق أیضاً بأنّ الاجیال اللاحقة سیقرأون کلماته، ویشکلون علیه، أنّ رواة هذا الحدیث لیسوا من الإمامیة فحسب، بل إنّهم غالباً من علماء السنّة.

وعلی أیّة حال فإنّ مفهوم هذه الأحادیث وکذلک الآیة الآنفة لا یعنی أنّه فی یوم القیامة یسأل عن ولایة «علی بن أبی طالب» فقط، ذلک أنّ یوم القیامة هو یوم السؤال عن جمیع الأعمال، والنعم، وجمیع أنواع المسؤولیات، بل المراد أنّ احدی أهم الامور التی یسأل عنها هی ولایة هذا الإمام المعصوم، وبلا أدنی شک فإنّ الولایة هنا لیست بمعنی نوع من المحبة العادیة والدارجة التی لابدّ وأن یتحلی بها کل مؤمن تجاه الآخرین، ذلک أنّ هذا الأمر یعد أحد الفروع العادیة للدین، بل إنّ المراد شیء أبعد من هذه المسألة ویعد من أهم أرکان الإسلام واسس الدین.

فهل یمکن أن یکون هذا الموضوع شیئاً آخر غیر مقام القیادة والخلافة الإلهیّة بعد رسول الإسلام صلی الله علیه و آله؟!

نعم، علی بن أبی طالب علیه السلام هو ذلک الشخص الذی تعد ولایته من أهم أرکان الإسلام وشروط الإیمان، وعلی رأس تسلسل الامور التی یُسال عنها فی یوم القیامة.

وکیف لا یکون کذلک، وقد ملأت فضائله ومفاخره جمیع کتب الحدیث، وتتلألأت شخصیته الرفیعة فی آیات القرآن المجید، بالرغم من کل المواقف العدائیة التی اتخذها أعداؤه معه، وکتموا فضائله (ولایزالون یکتمونها لحد الآن أیضاً)، وبالرغم من أنّ أصحابه واتباعه اضطروا إلی اخفاء فضائله أیضاً خوفاً من بطش الأعداء!.

ونختم هذا الکلام بنقل حدیث معروف عن ابن عباس ورد فی الکثیر من المصادر الإسلامیة إذ یقول: ما نزل فی القرآن «یَا ایُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا» إلّاعلی سیدها وشریفها وأمیرها، وما أحد من أصحاب رسول اللَّه صلی الله علیه و آله إلّاقد عاتبه اللَّه فی القرآن، ما خلا علی بن أبی طالب فإنّه لم یعاتبه بشیء، وما نزل فی أحد من کتاب اللَّه مانزل فی علی ... نزلت فی علی ثلاثمائة آیة!» «۱».

---

(۱) مختصر تاریخ دمشق، ج ۱۸، ص ۱۱.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۹۶

ونقل هذا الحدیث- أو قسمه الأول- عن طائفة اخری کثیرة أیضاً، مثل الحافظ «أبو نعیم الاصفهانی» فی «حلیة الأولیاء»، و «محب الدین الطبری» فی «ذخائر العقبی ، و «العلّامة الکنجی الشافعی» فی «کفایة الطالب»، و «سبط ابن الجوزی» فی «التذکرة»، و «الشبلنجی» فی «نور الأبصار»، و «الهیثمی» فی «الصواعق»، و «السیوطی» فی «تاریخ الخلفاء»، و «القندوزی» فی «ینابیع المودة» «۱».

کانت هذه طائفة من الآیات التی نزلت بشأن علی علیه السلام فی القرآن، إذ عمدنا إلی اختیار هذا العدد منها.

(۱) للمزيد من الاطلاع على هذه المصادر يرجى مراجعة احقاق الحق، ج ۳، ص ۴۷۶.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۹۷

الأئمّة الاثنى عشر

اشارة

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۲۹۹

الأئمّة الاثنى عشر عليهم السلام

تمهيد:

اشارة

بالرغم من أنّ المذهب الشيعى لا ينحصر ب «الإمامية الاثنى عشرية»، بل يضم الشعب والفرق الاخرى مثل «الزيدية» الذين يعتقدون بأربعة من الأئمّة فقط، و «الاسماعيلية» الذين يعتقدون «بسبعة أئمّة» وغيرهم من الفرق، إلّاأنّه وبلا أدنى شك يعد الشيعة الاثنى عشرية أشهر تلك الفرق قاطبة، إذ يشكلون جزءً مهماً من المسلمين فىسائر انحاء العالم، ويشكلون فى بعض الدول كايران والعراق والبحرين الأكثرية القاطبة من السكان، وفى البعض الآخر يشكلون نسبة كبيرة من السكان كما هو الحال فى أغلب البلدان الإسلامية.

إنّ للشيعة الاثنى عشرية مراكز علمية هامة، تضم عشرات الآلاف من العلماء والطلاب المنهمكين فى التحقيق والتدريس وتعلم العلوم الإسلامية.

وقد تمّ تأليف وطبع ونشر عشرات الآلاف من الكتب العلمية حول العقائد الإسلامية، والفقه، والاصول، والتفسير، والحديث، والفلسفة، والرجال، والدراية، والتاريخ الإسلامى من قبل علماء الشيعة.

وقد ذكر المرحوم المحقق الجليل «الشيخ آقا بزرك الطهرانى» فى كتابه «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» والذى تمّ طبعه مؤخراً فى ۲۶ مجلداً، أسماء عشرات الآلاف من كتب علماء الشيعة مع ذكر مؤلفيها مع شرح وجيز عن كل منهم، مما يوضح بشكل جلى حجم الخدمات الجليلة التى قدمها العلماء الشيعة للعلوم الإسلامية، وكيف أنّهم خلفوا وراءَهم تصانيف ثمينة جدّاً فى جميع الفنون الإسلامية والعلوم الإنسانية مخلدة ذكراهم.

ويجدر بالذين لا يدركون هذه الحقائق أن يقوموا بزيارة المراكز العلمية للشيعة فى

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۰۰

مختلف مناطق العالم، ليروا الطلاب والفضلاء وعلماء الشيعة الذين يمتازون بالمهارة الفائقة فى العلوم الإسلامية المختلفة عن كثب، ويطلعوا على مكتباتهم المملوءة بالكتب العلمية لهؤلاء العلماء، وكذلك بالكتب العلمية للعلماء السنّة.

ويلاحظوا عن قرب، الفقهاء، والمتكلمين، ومفسرى القرآن، والكتاب اللامعين، والخطباء، والكم الهائل من حفظة القرآن الكريم.

ولكن مما يؤسف له أنّ الرقابة الشديدة المفروضة على الكثير من المحافل الخبرية الإسلامية والحاكمة كذلك على أغلب المكتبات المعروفة للدول الإسلامية، لم تسمح لحد الآن بأن يقوم المحققون المحايدون للسنّة من التعرف بشكل واضح على اتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام والعلماء وآثارهم العلمية.

ونجد هنا أنّ المكتبات مليئة بكتب علماء السنّة إلى جانب كتب علماء الشيعة دون ملاحظة أدنى فرق بينهم من حيث الحضور فى

المكتبات، ولا يشعر أى‌منهم أيضاً بأدنى خطر من هذه الناحية على مذهبه، إلّاأنّ مكتبات الاخوة السنة لها شكل آخر غالباً، ولا يلاحظ فيها أى أثر لعشرات الآلاف من المؤلفات العلمية المعروفة للشيعة، أو أنّها تقتصر على مقدار قليل منها فقط!.

وعلى أيّة حال نأمل أن يأتى اليوم الذى يتمكن فيه المحققون وبحياد تام، أن يدققوا ويبحثوا فيما قلناه آنفاً، ويعرفوا المجتمع الشيعى الإمامى كما هم عليه- وليس كما يقوله اعداؤهم، أو كما تحاول أن تصوره الأبواق الاستعمارية عنهم- ويقيناً سيشهد ذلك اليوم وقائع جديدة فى العالم الإسلامى مع اتباع هذا المذهب، وسينعم العالم الإسلامى بتفاهم وانسجام أفضل.

ولكى لا نبتعد عن أصل الموضوع، تلاحظ فى الآيات القرآنية، إشارات لأئمّة أهل البيت المعصومين عليهم السلام تزداد جلاءً ووضوحاً بمساعدة الروايات الواردة فى المصادر الإسلامية المعروفة بشأن تفسير هذه الآيات.

وهذه الآيات متعددة، ونشير فى النهاية إلى بعض منها فقط، وتمت الإشارة إلى مجموعة

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۰۱

منها فى بداية البحث فى موضوع ولاية وإمامة على عليه السلام، ومنها:

۱- آية «انَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أَهلَ البَيتِ». (الاحزاب/ ۳۳)

بشهادة محتواها، وكذلك الروايات الواردة فى شرحها وتفسيرها عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله فى المصادر الإسلامية المعروفة، أنّ مفهومها عام أى أنّها تشمل بالإضافة لعلى عليه السلام سائر الأئمّة المعصومين، وخاصة الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام اللذين صُرح باسميهما فى هذه الروايات.

۲- آية «قُل لَّاأَسأَلُكُم عَلَيهِ اجراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِى القُربى . (الشورى ۲۳)

تشير أيضاً وبنحو الإجمال لجميع الأئمّة المعصومين عليهم السلام، وقد صرح فى روايات متعددة منقولة عن سعيد بن جبير وابن عباس عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله أنّ المراد من «القربى فى هذه الآية، على عليه السلام وفاطمة عليها السلام وذريتهما، وصرح فى البعض الآخر باسم الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام أيضاً.

ولغرض المزيد من التوضيح يرجى مراجعة «شواهد التنزيل» وسائر المصادر التى ذكرناها أثناء شرح هذه الآية «۱».

۳- آية «أَطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَاولِى الامرِ مِنكُم». (النساء/ ۵۹)

وهذه الآية هى الاخرى كسابقتها، لاسيّما أنّ لهذه الآية مفهوماً عاماً يشمل كل زمان، وبناء على ذلك لابدّ من وجود مصداق من «اولى الأمر» فى كل عصر وزمان، يكون فرداً معصوماً، وطاهراً من الذنوب (لأنّ الطاعة المطلقة الخالية من كل قيد وشرط غير مشروعة سوى للمعصومين خاصة).

إضافة إلى ذلك ففى بعض الروايات المعروفة الواردة فى مصادر أهل السنّة صرح باسم الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام.

۴- آية «كُونُوا مَعَ الصَّادقِينَ». (التوبة/ ۱۱۹)

هى الاخرى بنفس المفهوم الذى شرحناه سابقاً، إذ لها مفهوم عام شامل لكل عصر

---

(۱) أوردت روايات بطرق مختلفة فى هذا المجال فى شواهد التنزيل، ج ۲، ص ۱۳۰- ۱۳۴.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۰۲

وزمان، وهى دليل على أنّه يوجد فى كل عصر وزمان صادق معصوم (ذلك أنّ المؤازرة والتبعية المطلقة دون قيد أو شرط ليس لها مفهوم سوى للمعصومين فقط)، وإضافة إلى ذلك فإنّ بعض الروايات الواردة فى شرح هذه الآية، تفسر الصادقين بأنّهم محمد وأهل بيته عليهم السلام «۱».

وبما أنّ هذه الآيات والروايات المتعلقة بها، ذكرناها فى هذه المباحث بشكل مفصل لذا نحجم عن تكرارها مرة اخرى وننتقل إلى

آيات الفضيلة.

ونؤكد مرّة اخرى على أنّ آيات الفضيلة لا تطرح باعتبار أنّها الآيات التى لها دلالة مباشرة على إمامة وولاية أئمّة أهل البيت عليهم السلام، بل الهدف من ذلك هو أن يتضح بشكل جلى أنّ كل واحد منهم كان أفضل أفراد عصره، وبما أنّه لابدّ من وجود اولى الأمر والإمام المعصوم فى كل عصر وزمان طبقاً لمفهوم الآيات السابقة، فإنّهم مصداق هذا المعنى

۱- آية الصلوات والتحية

نفحات القرآن ج۹ ۳۴۶

نقرأ فى قوله تعالى «انَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا ايُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً». (الأحزاب/ ۵۶)

لقد تم تجسيد مقام نبى الإسلام صلى الله عليه و آله فى هذه الآية بأفضل وجه، ذلك أنّ اللَّه تعالى وملائكته المقربين يصلون على النبى صلى الله عليه و آله، وكذلك صدور الأمر لجميع المؤمنين أن يصلوا ويسلموا عليه بدون استثناء.

أى مقام اسمى من هذا المقام؟ وأ ىعظمة فوق هذه العظمة؟

صحيح أنّه لم يرد فى هذه الآية، كلام عن آل الرسول صلى الله عليه و آله إلّاأننا نقرأ فى الكثير من الروايات أنّ أصحابه وانصاره عندما سألوه: كيف نصلى ونسلم عليك، فقد جعل الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله «الآل» إلى جانب الصلاة عليه، وجميع الرحمة والسلام اللذين يطلبان من اللَّه

---

(۱) شواهد التنزيل، ج ۱، ص ۲۶۲.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۰۳

تعالى فهما له، وآله أيضاً، وهذه قرينة على أنّ الصلوات والتحية من اللَّه والملائكة تتسم بالتعميم أيضاً، فهى تشمل الرسول صلى الله عليه و آله وآله وهذه ليست مسأله بسيطة، بل إنّها توضح أنّ لهم مقامات تالية لمقام الرسول صلى الله عليه و آله، وتكليف شبيه بتكليفه من بعض الجهات، وإلّا فإنّ هذا المقام الشامخ لا يمكن أن يكون لهم بسبب القرابة فقط.

وننتقل الآن إلى طائفة من هذه الروايات الواردة فى أشهر مصادر السنة:

۱- نقل فى «صحيح البخارى» عن أبى سعيد الخدرى قلنا: يارسول اللَّه صلى الله عليه و آله السلام عليك معلوم، كيف نصلّى عليك؟ قال: «قولوا اللّهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم» «۱».

وينقل هذا الحديث فى نفس الكتاب والصفحة بنحو اكمل عن «كعب بن عجره» أحد الصحابة المعروفين أنّه قال لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله: عرفنا كيفية السلام عليك، ولكن كيف يجب أن تكون الصلوات عليك؟ قال: «قولوا اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم انك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد» «۲».

تجدر الإشارة إلى أنّ البخارى يذكر هذه الأحاديث فى نهاية الآية الشريفة: «إنّ اللَّه وملائكته ...».

۲- نقل فى «صحيح مسلم» وهو ثانى مصدر معروف للحديث عند الاخوة السنّة عن «أبى مسعود الأنصارى» أنّ الرسول صلى الله عليه و آله دخل علينا ونحن فى مجلس سعد بن عبادة، فقال بشير بن سعد: يارسول اللَّه! لقد امرنا اللَّه بأنّ نصلى عليك فكيف نصلى عليك؟ فسكت الرسول أولًا، ثم قال: «قولوا اللّهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على آل إبراهيم، بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم فى العالمين إنّك حميد مجيد» «۳».

(۱) صحیح البخاری ج ۶، ص ۱۵۱.

(۲) المصدر السابق.

(۳) صحیح مسلم، ج ۱ ص ۳۰۵، ح ۶۵.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۰۴

۳- وفی تفسیر «الدر المنثور» وهو اشهر تفسیر روائی ینقل نفس روایة «أبو سعید الخدری» عن «البخاری» و «النسائی» و «ابن ماجة» و «ابن مردویه» عن الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله «۱».

ونقل فی نفس الکتاب عبارة «أبو مسعود الأنصاری» عن «الترمذی» و «النسائی» و «ابن مردویه» «۲».

وینقل عین هذا المضمون أیضاً بفارق قلیل عن «مالک» و «أحمد» و «البخاری» و «مسلم «و «أبو داود» و «النسائی» و» ابن ماجة» و «ابن مردویه» عن «أبی أحمد الساعدی» «۳».

و ینقل الحاکم النیسابوری فی المستدرک علی الصحیحین عن ابن أبی لیلی أنّ «کعب بن عجرة» صادفنی وقال: أترید أن اعطیک هدیة سمعتها من الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله؟! قلت: بلی اهدنی! قال: سألنا رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: کیف نصلی علیکم أهل البیت؟ قال قولوا: «اللّهم صل علی محمد وآل محمد کما صلیت علی إبراهیم وآل إبراهیم إنّک حمید مجید، اللّهم بارک علی محمد وعلی آل محمد کما بارکت علی إبراهیم وعلی آل إبراهیم إنّک حمید مجید».

ثم یقول الحاکم النیسابوری وقد عزم علی ذکر أحادیث غیر مذکورة فی صحیحی البخاری ومسلم: نقل البخاری هذا الحدیث فی کتابه عن «موسی بن إسماعیل» بنفس هذا السند والألفاظ، والسبب فی ذکری إیّاه ثانیة هنا یعود للإشارة إلی أنّ «أهل البیت» و «الآل» أمر واحد، وتجدر الإشارة إلی أنّ الحاکم نقل هذا الحدیث بعد حدیث «الکساء» الذی اشیر فیه وبشکل صریح أنّ أهل بیتی علی وفاطمة والحسن والحسین «۴»، وهذا تعبیر عمیق المعنی

(۱) تفسیر در المنثور، ج ۵ ص ۲۱۷.

(۲) المصدر السابق.

(۳) المصدر السابق.

(۴) المستدرک علی الصحیحین، ج ۳، ص ۱۴۸.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۰۵

وبعد ذلک ینقل «الحاکم» حدیث الثقلین، وبعده حدیث «أبو هریرة» أنّ الرسول صلی الله علیه و آله نظر إلی علی والحسن والحسین وقال: «أنا حرب لمن حاربکم وسلم لمن سالمکم» «۱».

ونقل محمد بن جریر الطبری فی تفسیره نهایة هذه الآیة الروایة أعلاه مع اختلاف بسیط عن «موسی بن طلحة» عن أبیه، ویروی بروایة اخری نفس الحدیث عن ابن عباس، وفی روایة ثالثة عن «زیاد» عن «إبراهیم»، وفی روایة رابعة عن «عبد الرحمن بن بشر بن مسعود الأنصاری» «۲».

ونقل البیهقی أیضاً فی کتابه المعروف «السنن» روایات متعددة بهذا الصدد حیث إنّ بعضها یوضح تکلیف المسلمین فی الصلاة وأثناء التشهد، ومنها فی حدیث عن «أبی مسعود وعقبة بن عمرو»، ینقل أنّ رجلًا جاء وجلس بین یدی الرسول صلی الله علیه و آله وکنا جلوساً عنده، فقال: یارسول اللَّه إنا نعرف کیفیة السلام علیک، ولکن کیف نصلی علیک أثناء الصلاة؟

فسکت الرسول صلی الله علیه و آله حتی قلنا: لیت الرجل لم یسأل مثل هذا السؤال، ثم قال: «إذا أنتم صلیتم علی فقولوا اللّهم صل

على محمد النبى الامى وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد النبى الامى وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد».

ثم ينقل عن «أبى عبد اللَّه الشافعى» أنّه حديث صحيح بشأن الصلوات على النبى صلى الله عليه و آله فى الصلوة «۳».

وأورد البيهقى أحاديث متعددة اخرى بصدد كيفية الصلاة على الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله بشكل مطلق أو فى الصلاة خاصة فى حديث عن «كعب بن عجرة» عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله ينقل أنّه كان يقول فى الصلاة: «اللّهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد» «۴».

---

(۱) المستدرك على الصحيحين ج ۳، ص ۱۴۹.

(۲) تفسير جامع البيان، ج ۲۲ ص ۳۲.

(۳) سنن البيهقى ج ۲ ص ۱۴۶ و ۱۴۷.

(۴) سنن البيهقى ج ۲ ص ۱۴۷.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۰۶

يتضح من هذا الحديث أنّه حتى الرسول صلى الله عليه و آله كان يذكر هذه الصلوات فى صلواته.

يقول البيهقى فى نهاية احدى الروايات التى لم يرد الحديث فيها عن الصلاة:- هذه الروايات ناظرة إلى حال الصلاة لأنّ جملة «قد علمنا كيف نسلم» هى إشارة إلى السلام فى التشهد (السلام عليك أيّها النبى ورحمة اللَّه وبركاته) لذا فإنّ المراد من الصلوات هى الصلوات فى حال التشهد «۱».

وعلى هذا الأساس فإنّ المسلمين مأمورون بالصلاة على الرسول صلى الله عليه و آله فى التشهد أيضاً كما هم مأمورون حسب اعتقاد جميع الفرق الإسلامية بالسلام على الرسول صلى الله عليه و آله فى التشهد بلفظ: «السلام عليك أيّها النبى ورحمة اللَّه».

وبالرغم من أنّه يلاحظ هنا اختلاف بسيط بين المذاهب الأربعة للسنّة، إذ إنّ الشافعيين والحنبليين يقولون: الصلاة على الرسول صلى الله عليه و آله فى التشهد الثانى واجبة، فى الوقت الذى يقول المالكيون والحنفيون: إنّها سنّة «۲»، إلّاأنّه وطبقاً للروايات الآنفة فإنّها واجبة على الجميع.

وعلى أيّة حال فإنّ الكتب التى نقلت فيها الروايات المرتبطة بالصلوات على محمد وآل محمد صلى الله عليه و آله (سواء بشكل مطلق أو فى خصوص التشهد فى الصلاة) أكثر ممّا أوضحناه فى هذا الموجز، وما ذكر هنا كان بمثابة نموذج من هذه الروايات والكتب، وقد نقل هذه الروايات مجموعة من الصحابة أمثال ابن عباس، وطلحة، وأبو سعيد الخدرى، وأبو هريرة، وأبو مسعود الأنصارى، وبريدة، وابن مسعود، وكعب بن عجره، وشخص على صلى الله عليه و آله.

الملاحظة المحيرة جدّاً أنّ علماء السنّة بالرغم من كل هذه التأكيدات الواردة فى روايات الرسول صلى الله عليه و آله بشأن إضافة آل محمد تراهم دائماً (باستثناء بعض الموارد النادرة) يحذفون «آل محمد» ويقولون صلى اللَّه عليه وسلم!.

---

(۱) سنن البيهقى ج ۲ ص ۱۴۷.

(۲) الفقه على المذاهب الأربعة، ج ۱، ص ۲۶۶.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۰۷

والأعجب من ذلك أنّه فى كتب الحديث، وحتى فى الأبواب التى تنقل فيها الروايات الآنفة بشأن إضافة «آل محمد صلى الله عليه و

آله» فإنّهم عندما يذكرون اسم الرسول صلى الله عليه و آله فى طيات هذه الأحاديث يقولون: «صلى اللَّه عليه وسلم»! (بدون إضافة الآل) ولا ندرى ما عذرهم بين يدى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى هذه المخالفة الصريحة لأوامره وتوجيهاته؟

فمثلًا يكتب البيهقى فى عنوان هذا الباب «باب الصلوة على النبى صلى اللَّه عليه وسلم فى التشهد»! وكذا الحال فى البعض الآخر من مصادر الحديث المعروفة.

إنّ اختيار هذا العنوان سواء كان من قبل مؤلفى هذه الكتب أو من قبل المحققين التالين لهم، ومع الأخذ بنظر الاعتبار ماورد فى نهايته عجيب ومتناقض جدّاً.

وننهى هذا الموضوع بذكر حديثين آخرين:

۱- ينقل ابن حجر فىالصواعق هكذا: إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: «لا تصلوا على الصلاة البتراء، قالوا: ومّاالصلاة البتراء؟ قال: تقولون اللّهم صل على محمد وتمسكون، بل قولوا:

اللهم صل على محمد وآل محمد» «۱».

يوضح هذا الحديث أنّه حتى كلمة «على يجب أن لا تفصل بين محمد، وآل محمد ويجب القول: «اللهم صل على محمد وآل محمد».

۲- ينقل السمهودى فى الاشراف على فضل الاشراف عن ابن مسعود الأنصارى أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: «من صلى صلاة لم يصل فيها على وعلى أهل بيتى لم تقبل» «۲».

وعلى ما يبدو أنّ الإمام الشافعى فى شعره المعروف، أخذ بنظر الاعتبار هذه الروايةيقول:

ياأهل بيت رسول اللَّه حبكمفرض من اللَّه فى القرآن انزلهُ

كفاكم من عظيم القدر أنّكممن لم يصل عليكم لا صلاة لهُ «۳»

يا ترى أنّ الذين يمتلكون مثل هذا المقام الذى يجب ذكر أسمائهم إلى جانب اسم

---

(۱) الصواعق، ۱۴۴.

(۲) السمهودى فى الاشراف، ص ۲۸ طبقاً لنقل احقاق الحق، ج ۱۸، ص ۳۱۰.

(۳) فى كتاب الغدير النفيس ورد أن انتساب هذه الابيات هى للإمام الشافعى عن شرح المواهب للزرقانى ج ۷، ص ۷ وجمع آخر.

النبى صلى الله عليه و آله فى الصلوة كواجب وفريضة إلهيّة، هل يمكن مساواتهم مع الآخرين.

وهل يبقى مكان لغيرهم للتصدى لمسألة الولاية والإمامة وخلافة النبى صلى الله عليه و آله بوجودهم؟ وأى منصفٍ بوسعه أن يرجّح الآخرين عليهم- مع حيازتهم على كل هذه الفضائل والمقام الشامخ-؟ ألّا توضح كل هذه الادلة مسألة الولاية والخلافة بشكل مباشر؟ لكم أن تحكموا بأنفسكم.

۲- آية النور والبيوت

نقرأ فى الآيات التى تأتى بعد آية: «اللَّهُ نُورُ السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ»، ما يلى: «فِي بُيُوتٍ اذنَ اللَّهُ انْ تُرفَعَ ويُذْكَرَ فيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ* رِجَالٌ لَّاتُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ واقَامِ الصَّلَاةِ وإيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخافُونَ يَوماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالابصَارُ* لِيَجزِيَهُمُ اللَّهُ احسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِن فَضلِهِ وَاللَّهُ يَرزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيرِ حِسَابٍ». (النور/ ۳۵- ۳۸)

بعد أن بيّن اللَّه تعالى فى الآية ۳۵ من هذه السورة، النور الإلهىّ بمثال دقيق وظريف ولطيف، ينتقل إلى مكان هذا النور فى الآيات

التالیة.

تأملوا جیداً فی التعابیر الآنفة الذکر، ولاحظوا ما لهذه البیوت الإلهیّة وحرّاسها من مکانة وعظمة، حسب الوصف والتجسید الوارد فی هذه الآیات، ثم تأملوا الروایات الواردة ادناه:

ینقل السیوطی فی تفسیر الدر المنثور عن «أنس بن مالک»، و «بریدة» (وهما من صحابة الرسول صلی الله علیه و آله) أنّه عندما تلا رسول اللَّه صلی الله علیه و آله هذه الآیة، قام رجلٌ، وقال: «ایُّ بیوت هذه یارسول اللَّه!».

قال الرسول صلی الله علیه و آله: «بُیُوتُ الأنبیاء!».

فقام «أبو بکر» وقال: «هذا البیت منها لبَیْتُ علیٍّ وفاطمة؟!». نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۰۹

قال: «نَعَمْ من أفاضلها» «۱».

ونقل «الحاکم الحسکانی» شبیه هذا المعنی فی «شواهد التنزیل» عن «أبو برزة» (رجلٌ آخر من الصحابة) عن الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله، دون أن یذکر شخصاً معیّناً، بل هکذا: «قیل:

یارسول اللَّه أَبیتَ علیٍّ وفاطمة منها؟ قالَ: مِنْ أفضلها» «۲».

وبعد ذکر هذه الروایة، ینقل الروایة السابقة أیضاً بطریقین عن «أنس بن مالک» و «بریدة» «۳».

ومن الملفت للنظر أنّ «الآلوسی» فی «روح المعانی» وبالرغم من ذکره لجمیع فضائل أهل البیت علیه السلام دون رغبةٍ منه إلّاأنّه یضیف هنا بعد أن ینقل الروایة الاولی عن «أنس بن مالک» و «بریدة»: «هذا إن صَحّ لا ینبغی العُدول عَنْهُ» «۴». (وبعبارة اخری إنّه أفضل کلام فی تفسیر الآیة إذ إنّ المراد بذلک بیوت الأنبیاء وأفضلها بیت علیّ وفاطمة).

وأورد جمعٌ آخر من کبار علماء السنّة هذه الروایة فی کتبهم أیضاً.

ویقیناً فإنّ هذه الروایات، تشمل علیاً علیه السلام وفاطمة علیها السلام وولدیهماالحسن والحسین علیهما السلام وکذا أولاد فاطمة علیها السلام من نسل الحسین علیه السلام أی الأئمّة المعصومین فإنّهم مشمولون بهذه الآیة أیضاً، ذلک أنّهم یواصلوان نفس الطریق ونفس النهج.

نعم، إنّ بیوتهم کبیوت الأنبیاء، بل من أفضلها، إنّه بیت یتلألأ منه نور اللَّه دائماً، ولا تصل إلیه یدُ الشیطان، ویقیناً فإنّ الساکنین فی هذا البیت هم من أفضل البشر، وهم کالأنبیاء فی الفضل والفضیلة.

۳- الصراط المستقیم

فی الآیة السادسة من سورة الحمد التی نقرأها لیل نهار فی الصلوة نسأل اللَّه تعالی

---

(۱) تفسیر در المنثور، ج ۵، ص ۵۰.

(۲) شواهد التنزیل، ج ۱ ص ۵۳۲، ح ۵۶۶.

(۳) المصدر السابق، ح ۵۶۷ و ۵۶۸.

(۴) تفسیر روح المعانی، ج ۱۸، ص ۱۵۷ نهایة الآیة التی نحن بصددها.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۱۰

ونقول: «اهدنَا الصِّرَاطَ المُستَقِیمَ».

الصراط الذی یوصلنا إلیک وإلی ما یرضیک، صراطاً غیر صراط الذین غضبت علیهم ولا الضالّین.

اللّهم اهدنا أیضاً إلی هذا الصراط، وثبتنا علیه.

بلا شک أنّ مفهوم «الصراط المستقیم» مفهوم واسع جدّاً ولذا فسره البعض علی أنّه بمعنی «الإسلام»، والبعض الآخر فسّره علی أنّه «القرآن»، وبعض علی أنّه «الرسول صلی الله علیه و آله وائمة الحق» وبعض آخر بمعنی «دین اللّه»، وبعض آخر بمعنی طریق واسلوب أنبیاء اللّه، إذ إنّ کلًا من هذه التفاسیر بوسعه أن یشکّل جزء من مفهوم الآیة الواسع.

ولکن فی العدید من الروایات التی نقلت عن الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله بطرق مختلفة، وُضِع الاصبع علی واحدةٍ من ابرز مصادیق هذه الآیة، ذلک أنّ الصراط المستقیم فُسِّرَ بمعنی صراط وطریق علی بن أبی طالب علیه السلام أو محمد وآل محمد صلی الله علیه و آله.

ینقل «الحاکم الحسکانی» فی «شواهد التنزیل» عن «جابر بن عبد اللّه الأنصاری» عن الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله أنّه قال: «انّ اللّه جَعلَ علیاً وزوجتَهُ وابناءَهُ حُجَجَ اللهِ علی خلقِهِ وهُمْ أبوابُ العِلْمِ فی امَّتی، مَن اهْتدَی بِهِمْ هُدِیَ إلی صراطٍ مستقیم» «۱».

وینقل فی حدیث آخر عن «ابن عباس» عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله أنّه قال لعلی بن أبی طالب علیه السلام: «أنت الطریق الواضحُ وأنت الصِّراطُ المستقیمُ وأنت یعسوبُ المؤمنین!» «۲».

وینقل أیضاً فی حدیث ثالث عن «ابن عباس» أنّه کان یقول فی تفسیر «اهدنا الصّراط المستقیم»: «قولوا- معاشرَ العبادِ- اهدنا إلی حُبِّ النبیِّ واهلِ بیتِهِ»! «۳».

وینقل فی الحدیث الرابع عن «أبو بریدة» فی نهایة هذه الآیة أنّه قال: المراد بالصراط محمدٌ وآله» «۴».

---

(۱) شواهد التنزیل، ج ۱، ص ۷۶، ح ۸۹.

(۲) المصدر السابق، ح ۸۸.

(۳) المصدر السابق، ح ۸۷.

(۴) شواهد التنزیل، ج ۱، ص ۷۴، ح ۸۶.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۱۱

وقد أورد «العلّامة الثعلبی» هذا الحدیث فی تفسیره أیضاً «۱».

ونقله أیضاً «الشیخ عبید اللّه الحنفی» فی کتاب «ارجح المطالب» عن «أبو هریرة» «۲».

وینقل فی الحدیث الخامس الوارد فی «شواهد التنزیل» عن «عبد الرحمن بن زید» عن أبیه أنّه قال فی تفسیر آیة: « «صِرَاطَ الَّذِینَ انعَمتَ عَلَیهِمْ»: هو النبیُّ ومن مَعَهُ وعَلیُّ بنُ ابی طالبٍ وشیعَتُه» «۳».

وقد وردت روایات متعددة بهذا الشأن أیضاً فی مصادرالشیعة واتباع مذهب أهل البیت علیهم السلام، ومنها أنّه ورد فی روایة عن الإمام الصادق صلی الله علیه و آله فی تفسیر الآیة: «صراط الَّذِینَ انعَمتَ عَلَیهِمْ» أنّه قال: «یعنی محمداً وذرِّیَتَهُ علیهمُ السلامُ» «۴».

وبناءً علی ذلک فإنّ أبرز وأوضح مصادیق الصراط المستقیم هو صراط النبی وعلیٍّ علیه السلام وأولاده المعصومین من نسل فاطمة الزهراء علیها السلام، من اهتدی بهم وسار علی نهجهم، هُدی إلی صراطٍ مستقیمٍ یقرّبه إلی اللّه تعالی ویبعده عن الضلالة والانحراف.

۴- وسیلة قبول توبة آدم علیه السلام

جاء فی قوله تعالی أنّ آدم علیه السلام بعد «ترک الأولی تلقی «کلماتٍ من ربّه، وتاب بهن، وقبل اللّه توبته ذلک أنّ اللّه توابٌ رحیم» وهو قوله تعالی «فَتَلَقَّی آدَمُ مِنْ رَبِّهِ کَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَیهِ انَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِیمُ». (البقرة/ ۳۷)

فما هی هذه الکلمات التی أوحاها اللّه تعالی لآدم کی یتوب بهن؟ هناک جدال بین المفسّرین، إذ یری البعض منهم أنّ ذلک یعد إشارةً لما جاء فی الآیة: «قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا انْفُسَنَا

(۱) تفسير الثعلبى بناءً على نقل كفاية الخصام، ص ۳۴۵.

(۲) أرجح المطالب، ص ۸۵.

(۳) شواهد التنزيل، ج ۱، ص ۸۵، ح ۱۰۵.

(۴) تفسير نور الثقلين، ج ۱، ص ۲۳، ح ۱۱۰۱ (للمزيد من الاطلاع على هذه الأحاديث يرجى مراجعة تفسير نور الثقلين والبرهان).

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۱۲

وَانْ لَم تَغفِر لَنا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ». (الأعراف/ ۲۳)

ويرى البعض الآخر أنّ ذلك إشارة للأدعية الاخرى ومنها دعاء يونس أثناء مكثه فى بطن الحوت، أى جملة: «سُبحَانَكَ انِّى كُنْتُ من الظَّالِمينَ».

ولكن جاء فى الروايات المتعددة التى نقلت عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله أو عن الصحابة، أنّ تلك الكلمات كانت القسم على اللَّه بحق محمدٍ وعلىٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

ينقل السيوطى فى «الدر المنثور» فى نهاية هذه الآية عن «ابن عباس» إنّى سألت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: عن الكلمات التى تلقاها آدم من ربّه فتاب عليه، قال: «سأل بحق محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين إلّاتُبت علىَّ، فتاب عليه» «۱».

وينقل أيضاً فى ذلك الكتاب عن علىٍّ عليه السلام إنّى سألت الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله عن تفسير هذه الآية، قال: ... أمر اللَّه آدم أن قل: «اللهم إنّى أسألك بحق محمدٍ وآلِ محمدٍ، سبحانك لا إله إلّا أنت عملتُ سوءً وظلمتُ نفسى فَاغْفِرْ لِي إنّكَ أنتَ الغفورُ الرحيم، اللهم إنّى أسأَلُكَ بحق محمدٍ وآلِ محمدٍ سبحانك لا إله إلّاأنت عملتُ سوءً وظَلمتُ نفسى فَتُبْ علىَّ إِنَّكَ أنت التّوابُ الرحيم فهؤلاءِ الكلمات التى تلقّى آدَمُ» «۲».

يُعلَمُ جيداً من هذه الروايات أنّه لا منافاة بين هذه التفاسير الثلاثة، وكل هذه الكلمات كانت مجموعة فى دعاء آدم عليه السلام.

ونقل «ابن المغازلى» فى مناقبه نفس هذا المعنى عن «سعيد بن جبير» عن «ابن عباس» أنّه سأل الرسول صلى الله عليه و آله بشأن الكلمات التى تلقاها آدم من ربّه فتاب عليه، فقال الرسول صلى الله عليه و آله:

«سَألهُ بحَقِّ محمدٍ وعلى وفاطِمةَ والحسن والحسينِ إلّا ما تُبْتَ علىَّ فتابَ عليهِ» «۳».

ونقل «العلّامة القندوزى» هذا الحديث أيضاً فى «ينابيع المودّة»، والبيهقى فى «دلائل النبوّة»، و «البدخشى» فى «مفتاح النّجاح»، و «عبد اللَّه الشافعى» فى «المناقب» «۴».

(۱) تفسير در المنثور، ج ۱، ص ۶۰.

(۲) المصدر السابق.

(۳) مناقب ابن المغازلى، طبقاً لنقل احقاق الحق، ج ۹ ص ۱۰۲.

(۴) المصدر السابق.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۱۳

وبالرغم من أنّ الكثير من الكتب، انهت سند هذا الحديث ب «ابن عباس»، إلّاأنّ الراوية لا ينحصر ب «ابن عباس»، ذلك أنّه ينقل نفس هذا المعنى فى «الدر المنثور» عن الديلمى فى «مسند الفردوس» بسندٍ ينتهى ب علىٍّ عليه السلام، أنّ علياً عليه السلام يقول: سألت من الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله بشأن هذه الآية إلى أن يقول: «فعليك بهؤلاء الكلمات فإنّ اللَّه قابل توبتك وغافر ذنبك. قل: اللّهم إنّى اسألك بحق محمد وآل محمد سبحانك لا إله إلّاأنت عملت سوءً وظلمتُ نفسى فتب علىَّ إنّك أنت التوابُ

الرحيم» «۱».

ونقل هذا المعنى فى مصادر أهل البيت عليهم السلام ومصادر السنّة عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً، ورواياته متعددة وطرقهُ متنوعة «۲».

لا ينبغى النظر إلى هذا الحديث على أنّه فضيلة عابرة، والمرور به مروراً عابراً، إذ إنّ آدم عليه السلام عندما يريد أن يتوب من تركه الأولى (وهذا أول ترك للأولى يؤمرُ من قبل اللَّه أن يسأَلَهُ بحق محمد وآل محمد صلى الله عليه و آله، أو بحق محمدٍ وعلىٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، كى يقبل توبته.

لاسيّما وأنّ هذا المعنى لم يرد بشأن أحد سواهم، وهو مقام رفيع مختصٌ بهم، وهذا دليل العظمة الفائقة للخمسة الطيبة وللرسول وأهل بيته والأئمّة المعصومين عليهم السلام.

وعلى هذا كيف يمكن القول بوجود مَن هو أفضل وأليق منهم لخلافة وولاية الرسول صلى الله عليه و آله، وكيف يمكن ترجيح سواهم عليهم؟

وبالرغم من وجود مثل هذه الأسانيد، أَمِنَ العجب- ياترى أن تبقى الإمامة فى نسل الرسول صلى الله عليه و آله إلى يوم القيامة؟!

۵- أفضل الحسنات

اشارة

«مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئذٍ آمِنُونَ». (النمل/ ۸۹)

---

(۱) تفسير در المنثور، ج ۱، ص ۶۰ (مع الاختصار).

(۲) تفسير البرهان، ج ۱، ص ۸۶؛ تفسير نور الثقلين، ج ۱، ص ۶۷ فما فوق؛ بحار الأنوار، ج ۲۶، ص ۳۱۹ فما فوق.

للحسنة هنا، مفهوم واسع بأنّها تشمل جميع الحسنات، وتبشّر مَن يأتى بحسنة، فله خيرٌ منها، وأحد آثارها المهمّة الأمان من خوفِ وفزعِ يوم المحشر وهو أعظم الفزع.

ولكن ورد فى بعض الروايات «إنّ محبّة أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله تعتبر واحدة من أهم وأبرز مصاديق الحسنة فى هذه الآية، وتبيّن أنّ هذه المحبّة تعد من أفضل وسائل الأمان فى يوم المعاد».

ونقلت عدّة روايات فى «شواهد التنزيل» فى نهاية هذه الآية بهذا المعنى أنّ المراد من «الحسنة» فى الآية أعلاه محبّة أهل البيت عليهم السلام.

ومنها أنّه يُنقل عن «أبى عبد اللَّه الجدلى» عن علىٍّ عليه السلام أنّه قال له: «ألا أُخبرك بقول اللَّه تعالى «مَن جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا- إلى قوله- تعملون»؟ قال: بلى جُعلت فداك.

قال: «الحسنة حبّنا أهل البيت والسيئة بغضنا»، ثم قرأ الآية» «۱».

ونقل نفس هذا المعنى فى الحديثين ۵۸۲، و ۵۸۷ مع هذا الفارق أنّه جاء فى نهاية الحديث الثالث: «ألا اخبركَ بالسيئةِ التى مَن جاء بها أَكبَّهُ اللَّهُ على وجهِهِ فى نارِ جهنَّمَ، بُغْضَنا أهلَ البيتِ»! ثم تلا أمير المؤمنين عليه السلام الآية الثانية وقال: «وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِى النَّارِ» «۲». (النمل/ ۹۰)

ويُنقل فى حديث آخر عن «أبو امامة الباهلى» «۳» أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: «إنَ اللَّه خلق الأنبياء من شجرٍ شتّى وخلقنى

وعلياً من شجرةٍ واحدة فانا أصلها وعليٌّ فرعها، والحسنُ والحسينُ ثمارها، واشياعنا اوراقُها، فمَن تعلقَ بغُصْنٍ من أغصانها نجا، ومَنْ زاغَ هوى وَلَوا أنّ عابداً عَبَد اللهَ الفَ عامٍ، ثم الف عامٍ، ثم ألف عام ثم لم يدرك محبَّتَنااكَبَّهُ اللهُ على مِنْخرَيْهِ فى النار!» «۴».

---

(۱) شواهد التنزيل، ج ۱، ص ۵۴۸، ح ۵۸۱.

(۲) المصدر السابق، ص ۵۵۲، ح ۵۸۷.

(۳) أبو امامة الباهلى كان من أصحاب الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، وذكروا أنّ وفاته كانت سنة ۸۱، وهو آخر مَن توفى فىالشام (اسد الغابة، فى مادة صَدَيَهْ)، ولكن فى كتاب الكنى والالقاب ذكروا أنّ وفاته كانت سنة ۸۶ واسمه صُدَى على وزن رُجَيل، وكان من جملة الذين جعل عليهم معاوية العيون لئلا يذهب إلى عليٍّ عليه السلام.

(۴) شواهد التنزيل، ج ۱ ص ۵۵۳، ح ۵۸۸.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۱۵

وينقل العلّامة القندوزى أيضاً مضمون الحديث الأول عن عليٍّ عليه السلام ويختم الحديث، أنّه قال: «الحسنَةُ حبّنا والسَّيئَةُ بغضنا» «۱».

وينقل عن «ابن كثير» عن الإمام الصادق عليه السلام فى ذلك الكتاب نفسه أنّه قال (آية): «مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشرُ امثَالَهَا»، قال: هى للمسلمين عامة واما الحسنة التى من جاء بها فله خير منها وهم من فزع يومئذٍ آمنون فهى ولايتنا وحبنا».

وبالرغم من أنّ طائفة من المفسرين وأرباب الحديث لم يوردوا مودة أهل البيت عليهم السلام على أنّها حسنة كبيرة فى نهاية الآية التى نحن بصددها، إلّاأنّهم نقلوا هذا المضمون لهذه الاحاديث فى نهاية الآية: «وَمَنْ يَقتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسناً». (الشورى ۲۳)

ومن جملة هؤلاء «السيوطى» إذ نقل فى «الدر المنثور» عن «ابن أبى حاتم» عن «ابن عباس» أنّه قال فى تفسير هذه الآية: «المودَّةُ لآلِ محمَّدٍ صلى الله عليه و آله» «۲».

ويقول «الآلوسى» فى «روح المعانى» فى نهاية هذه الآية ۲۳ من سورة الشورى بعد أن يقول: إنّ بعض المفسرين قالوا: المراد من «الحسنة» المودّة لذوى قربى رسول اللّه صلى الله عليه و آله، يقول: هذا المعنى نُقل عن «ابن عباس» و «السدّى»، ثم يضيف قائلًا: محبّة آل الرسول من أعظم الحسنات، وجاء عنوان «الحسنة» فى صدر هذه الآية «۳».

وهناك أحاديث اخرى شبيهة بالأحاديث السابقة وردت فى كتب اخرى لو أردنا ذكرها لطال بنا المقام.

ونختم هذا البحث بحديثٍ ورد بشأن محبّة أهل البيت عليهم السلام (وإن لم يرد فى نهاية الآية):

نقل «الشبلنجى» حديثاً عن الرسول صلى الله عليه و آله، فى كتاب «نور الأبصار» وصرّح بأنّه حديث صحيح، وقد ورد ضمن الحديث أنّ الرسول صلى الله عليه و آله قال: «واللَّهِ لا يدخُلُ قَلب رجلٍ، الإيمان

---

(۱) ينابيع المودّة، ص ۹۸.

(۲) تفسير در المنثور، ج ۶، ص ۷.

(۳) تفسير روح المعانى، ج ۲۵، ص ۳۱.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۱۶

حتى يحبَّهُم (اهلَ بَيتى) لِقرابتِهِم مِنّى» «۱».

وهذه الملاحظة أيضاً لها أهميتها، إذ إنّ المحبّة العادية والمألوفة لا يسعها اطلاقاً أنّ تصبح وسيلةً للنجاة من فزع يوم القيامة، أو أن تكون شرطاً من شروط الإيمان، إنّ هذه التعابير توضح بشكل جلىّ أنّ محبّة أهل البيت إنّما هى إشارة لمسألة الولاية والإمامة الهامة لبناء الدين، إذ تعد سبب بقاء الدين واستمرارية خط النبوّة وحفظ الإيمان.

ومن مجموع ما ورد بنحو الإشارة فى الآيات السابقة، وما ورد بشكل صريح فى الروايات الواردة فى تفسير تلك الآيات، تتّضح لنا هذه المسألة، وهى: إنّ آل محمدٍ صلى الله عليه و آله وأهل بيت الرسول صلى الله عليه و آله خاصةً على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام يحظون بمقام رفيع جداً وذلك لأنّهم:

أولئك الذين تعد محبتهم اجراً على الرسالة.

من لم يصلّ ويسلّم عليهم لا صلاة له.

تعد منزلتهم بمثابة الصراط المستقيم.

إنّ آدم عليه السلام ومن أجل الفكاك من غضب اللَّه تعالى عليه بسبب «تركه الأولى أقسم بأسمائهم على اللَّه تعالى وتاب لكى تقبل توبته!

وأخيراً فإنّ مودتهم حسنة تنقذ كل مؤمن من خوف وفزع يوم القيامة.

نعم، إنَّ الذين يتصفون بهذه الصفات الحميدة، ويحظون بهذا المقام الشامخ كما ورد فى الروايات المعروفة للسنّة والمصادر المشهورة لأهل البيت، لا يمكن أن يجاريهم الآخرون اطلاقاً، وبالنتيجة لا يمكن الذهاب لغيرهم مع وجودهم، ويقيناً فإنّ هذه المحبّة والمودةَ تعد مقدمةً لمسألة الولاية والقيادة والتى بدورها تعد استمراراً لخط قيادة الرسول صلى الله عليه و آله.

---

(۱) نور الأبصار، ص ۱۲۶.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۱۷

وكذلك الذين ذكروا فى الروايات المتواترة لحديث الثقلين وأصبحوا إلى جوار القرآن الكريم يمثلون أحد الثقلين، واصبح الاثنان يمثلان وسيلتى النجاة من الضلال، تلك الوسيلتان اللتان ستبقيان قائمتين فى الامّة الإسلامية حتى قيام الساعة، ولابدّ للمسلمين أن يلجأوا إليهما.

والذين عُرفوا بأنّهم سفينة النجاة، ونجوم الهداية الساطعة هم خير البريّة وأفضل الناس، هذه الأوصاف التى وردت فى أغلب المصادر المعروفة والمشهورة لكلا الفريقين.

نعم، إنّنا نعتقد بأنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وتأكيداً على الإشارات الواردة فى آيات القرآن الكريم بهذا الشأن أتمّ الحجة بحديثه على جميع المسلمين، وبقى على المسلمين أن يختاروا سبيل نجاتهم بعيداً عن مشاعر التعصب والأحكام المسبقة، أى أن يلجأوا إلى آل محمد صلى الله عليه و آله ليصلوا من خلال هدايتهم وقيادتهم إلى السعادة وبر الأمان، والذين لا يعتنون بكل هذه الإشارات والتصريحات المستندة إلى هذا الكم من الوثائق المعتبرة أو يبررون ويؤوّلون ويفسّرون بالرأى، عليهم أن يجيبوا عن أعمالهم هذه.

التصريح باسماء أئمّة أهل البيت عليهم السلام:

هذه الملاحظة جديرة أيضاً بأنّ تذكر وهى: إنّ فى البعض من الروايات الواردة فى مصادر السنّة ذكرت أسماء الأئمّة الاثنى عشر بشكل كامل أيضاً، أى أنّه بعد ذكر علىٍّ عليه السلام ورد اسم الإمام الحسن عليه السلام ثم الإمام الحسين عليه السلام ثم الإمام على بن الحسين عليه السلام ثم الإمام محمد بن على الباقر عليه السلام وبعده جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، ثم موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، ثم على بن موسى الرضا عليه السلام، ثم محمد بن على الجواد التقى عليه السلام، وبعده على بن محمد الهادى النقى عليه السلام، ثم الحسن بن على العسكرى عليه السلام، ثم محمد بن الحسن المهدى عليه السلام!

ومن هؤلاء الذين ذكروهم «سليمان بن إبراهيم القندوزى الحنفى» إذ نقل فى كتاب «ينابيع المودّة» حديثين بهذا الشأن:

الحديث الأول: ينقله عن «فرائد السمطين» بسندٍ ينتهى بابن عباس أن يهودياً جاء إلى

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۱۸

الرسول صلى الله عليه و آله وسأل أسئلة متعددة حول الإسلام والتعاليم الإسلامية، ومن جملة أسئلته أنّه قال: أخبرنى عن وصيك مَن هو؟ فما من نبى إلّاوله وصى، وأنّ نبيّنا موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون، فقال صلى الله عليه و آله: إنّ وصيى على بن أبى طالب، وبعده سبطاى الحسن والحسين، تتلوه تسعة أئمّة من صلب الحسين «۱».

الحديث الثانى: وينقل فى حديث آخر عن «المناقب» عن جابر بن عبد اللّه الأنصارى قصّة مشابهة لهذه القصة أيضاً، وردت فيها أسماء الأئمّة الاثنا عشر واحداً بعد الآخر بشكل صريح، وقد أشرنا إلى كلا الحديثين بنحو الاختصار لطولهما «۲».

ويجب أن لا ننسى بأننا نقلنا روايات كثيرة فى السابق لها دلالة على الأئمّة الاثنا عشر بنحو الإجمال، ومتى ما عاودتم الرجوع إلى ذلك البحث، وأخذتم بنظر الاعتبار تلك الروايات المعتبرة والمشهورة المنقولة عن طرق السنّة والشيعة ستلاحظون بأنّه لم يطرح أى تفسير صحيح وجدير بالملاحظة بشأن الأئمّة الاثنى عشر (أو الخلفاء والأمراء الاثنى عشر) سوى ما نقله الشيعة، وبقى الجميع متحيرين فى تفسير عدد الاثنى عشر بشأن خلفاء الرسول صلى الله عليه و آله.

إنّ هذه الروايات المنقولة فى أكثر مصادر الحديث اعتباراً، على درجةٍ من القوة بحيث أنّها غير قابلة للانكار، والتفسير الصحيح والوحيد لهذه المسألة هو التفسير الذى ذكره «الإمامية».

نأمل أن يأتى اليوم الذى ندع فيه أحكامنا المسبقة جانباً، ونشرع بانجاز بحثٍ جديد ومستقل فى هذه الروايات والآيات القرآنية بشأن الإمامة وخلافة رسول اللّه صلى الله عليه و آله، لعل ذلك يؤدى إلى فتح آفاقٍ جديدة امام الجميع.

---

(۱) ينابيع المودة، ص ۴۴۰، الباب ۷۶.

(۲) المصدر السابق، ص ۴۴۲، الباب ۷۶.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۱۹

الإمام المهدى عليه السلام

اشارة

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۲۱

الإمام المهدى عليه السلام

تمهيد:

اشارة

على العكس مما يتصوره بعض الجهلة فإنّ الاعتقاد بقيام المهدى عليه السلام وحكومته العالمية، لا يختص فقط بالشيعة واتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام، بل إنّ جميع الفرق الإسلامية دون استثناء يعتقدون بظهور رجل من ذرية الرسول فى آخر الزمان يسمى المهدى، يملأ الأرض قسطاً وعدلًا، ونقلوا رواية هذا الموضوع فى كتبهم عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله.

وقد كُتبت مصنفات كثيرة وذكرت روايات عديدة فى هذا الصدد على أيدى علماء السنّة والشيعة سنشير إلى بعضٍ منها فى الأبحاث القادمة.

هـذه الروايات من الروايات المتواترة والقطعيـة وأيّدها جميع المحققين من الإسـلاميين- بصـرف النظر عن مذاهبهم الخاصة، باسـتثناء عدد محدود مثل «ابن خلدون»، و «أحمد أمين المصرى» اللذان شككا فى صدور هذه الروايات عن الرسول صلى الله عليه و آله، وبين ايدينا مجموعة من القرآئن الدالة على أنّ الباعث الذى حملهم على هذا السلوك لم يكن ضعف الروايات، بل لعلهم كانوا يتصورون بأنّ الروايات المتعلقة بظهور المهدى تنطوى على الخارق من العادات بحيث لا يسعهم تصديقها بسهولة.

هذا فى الوقت الذى وافقت على ذلك أكثر الفرق الإسلامية تعصباً لاسيما الوهابيون، واعترفوا بتواتر أحاديثه.

والشاهد على هذا الادّعاء بيان صدر قبل عدّة سنوات من قبل رابطة العالم الإسلامى

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۲۲

الواقعة بشدة تحت نفوذ الوهابيين وحكومة آل سعود، جواباً على سؤالٍ موجهٍ لهم بشأن ظهور الإمام المهدى عليه السلام.

وكـان هـذا البيـان بمثابـة جواب لأحـد أهـالى (كينيا) باسم «أبو محمـد» وبتوقيع الامين العام «لرابطـة العالم الإسـلامى» «محمـد صالح القزاز»، وقد ورد فى هذا البيان مايلى:

انَّ «ابن تيميـة» مؤسـس مـذهب الوهابيين يؤيـد الأحاديث المتعلقة بالمهدى عليه السـلام. وقد تطرق البيان بعد ذلك إلى الرسالة التى اعدها خمسة من علماء الحجاز المعروفين فى هذا الشأن: ونقرأ فى مقطع من هذه الرسالة:

(عنـدما يظهر الفساد فى العالم وينتشـر الكفر والظلم، سوف يملأ اللَّه تعالى العالم عدلًا ب (المهدى) كما ملىء ظلماً وجوراً، وأنه آخر الخلفاء الراشدين الاثنى عشر الذين أخبر عنهم النبى صلى الله عليه و آله فى كتب الصحاح المعتبرة ...).

وقد نقل الكثير من صحابة النبى صلى الله عليه و آله الأحاديث المتعلقة بالمهدى، ومن جملتهم:

عثمان بن عفان، على بن أبى طالب، طلحة بن عبيد اللَّه، عبد الرحمن بن عوف، عبد اللَّه بن عباس، عمار بن ياسر، عبد اللَّه بن مسعود، أبو سـعيد الخـدرى، ثوبان، قرة بن اياس المزنى، عبـد اللَّه بن الحارث، أبو هريرة، حذيفـة بن اليمان، جابر بن عبـد اللَّه الأنصارى، أبو امامة، جابر بن ماجد، عبد اللَّه بن عمر، أنس بن مالك، عمران بن الحصين، وام سلمة.

وهؤلاء عشرون شخصاً ممن نقلوا روايات المهدى، ويوجد كثير غيرهم.

كما نقلت أحاديث كثيرة حول ظهور المهـدى عبر أولئك الصـحابة أنفسـهم بما يمكن اعتبارها من ضـمن الروايات النبويـة، لأنّ هذه المسألة ليست بالتى يمكن الاجتهاد حولها (ولذلك فإنّ الصحابة سمعوا بها من النبى صلى الله عليه و آله).

ثم يضـيف: إنّ هاتين المسألتين- أى روايات النبى صلى الله عليه و آله وروايات الصحابة التى لها هنا حكم الحديث- وردتا فى الكثير من المتون الإسلامية المعروفة وكتب الحديث الرئيسية فضلًا عن (السنن) و (المعاجم) و (المسانيد).

ومن جملتها (سنن أبى داود، سنن الترمذى، ابن ماجة، ابن عمرو، مسند أحمد، وابن

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۲۳

ليلى والبزاز، وصحيح الحاكم، ومعاجم الطبرانى، والدارقطنى، وأبو نعيم، والخطيب البغدادى، وابن عساكر وغيرهم).

ثم يضـيف: ولأهميّـة هذه القضـية كتب وألّف البعض من علماء المسـلمين كتباً خاصة بموضوع أخبار المهدى، من ضـمنهم (أبو نعيم الاصـفهانى) فى [أخبار المهدى و (ابن حجر الهيثمى) فى [القول المختصـر فى علامات المهدى المنتظر] والشوكانى فى [التوضيح فى تواتر (ما) جاء فى المنتظر والـدجال والمسيح و (ادريس العراقى المغربى) فى كتاب [المهدى وأبو العباس ابن (عبد المؤمن المغربى) فى كتاب [الوهم المكنون فى الرد على ابن خلدون .

يضـيف بعد ذلك: وقد صـرح قسم من علماء المسـلمين الكبار- قديماً وحديثاً- فى تأليفاتهم بأنّ الأحاديث المتعلقة بالمهدى وصلت إلى حد التواتر (ولهذا فهى غير قابلة للانكار).

ومن جملة هؤلاء (السخاوى) فى كتاب [الفتح المغيث ومحمد بن أحمد السفاوينى فى [شرح العقيدة]، وأبو الحسن الابرى فى [مناقب

الشافعی ، وابن تیمیه فی کتاب فتاواه، والسیوطی فی [الحاوی ، وادریس العراقی فی کتابه، والشوکانی فی [التوضیح ، ومحمد جعفر الکنانی فی [نظم التنافر].

ویقول فی نهایة هذا المبحث: إنّ (ابن خلدون) فقط حاول النیل من أحادیث المهدی ولکن سادة الدین وعلماء المسلمین ردّوا أقواله، وبعض آخر مثل (ابن عبد المؤمن) ألّفوا کتباً خاصة فی الرد علیه.

وخلاصة القول: إنّ حفظة الحدیث وعظماء الشریعة قد صرحوا بأنّ أحادیث المهدی تشتمل علی روایات صحیحة وحسنة تؤدی بمجموعها إلی التواتر.

ویستنتج فی الختام: (وبناءً علی ذلک فإنّ الاعتقاد بظهور المهدی یعتبر واجباً علی کل مسلم، وهو جزء من عقائد أهل السّنّة والجماعة، ولا ینکر ذلک إلّاکل جاهل أو مبتدع) «۱».

---

(۱) من الرسالة المؤرخة فی ۲۱ مایو ۱۹۷۶ التی جاءت بتوقیع مدیر المجمع الفقهی الإسلامی محمد منتظر الکنانی، وهی الرسالة التی جاءت نتیجة مباحثة المذکور مع أربعة أشخاص آخرین من فقهاء الحجاز المعروفین وهم، الشیخ صالح بن عثیمین، والشیخ أحمد محمد جمال، والشیخ أحمد علی، والشیخ عبد اللّه الخیاط.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۲۴

ومن الضروری أیضاً الإشارة إلی هذا المطلب، أنّه حسب اعتقاد طائفة من المحققین، فإنّ الاعتقاد بوجود المهدی لا یقتصر علی المسلمین فقط، بل إنّ سائر اتباع المذاهب الاخری أیضاً فی انتظار مصلح کبیر لهذا العالم، وقد اشیر إلی هذا المعنی فی مصادرهم المختلفة، وللتعرف علی الشرح الوافی لهذا الموضوع لابدّ من مطالعة الکتب المصنّفة بشأن ظهور المهدی «۱».

والآن ومع الأخذ بنظر الاعتبار اسلوب مباحث الکتاب التی تدور حول محور التفسیر الموضوعی، ننتقل إلی الآیات التی تشیر إلی هذا الظهور الکبیر:

۱- حکومة الصالحین فی الأرض

نقرأ فی قوله تعالی «وَلَقَدْ کَتَبْنَا فِی الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّکرِ انَّ الارْضَ یَرِثُهَا عِبَادِیَ الصّالِحُونَ* انَّ فِی هَذَا لَبَلَاغاً لِّقَومٍ عَابِدِینَ». (الأنبیاء/ ۱۰۵- ۱۰۶)

تأتی هذه الآیات بعد الآیات التی تبیّن الأجر الاخروی للصالحین، وفی الواقع فانها تکشف عن الاجر الدنیوی لهم، وهو أجرٌ مهمٌ جداً، ذلک أنّه یهیء أرضیة السعادة وتطبیق أحکام اللّه تعالی وصلاح ونجاة المجتمع الإنسانی.

ومع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ «الأرض» بمعناها المطلق تشمل کل الکرة الأرضیة، وجمیع أنحاء العالم (إلّا إذا کانت هناک قرینة خاصة)، فإنّ هذه الآیة تعدّ بشارةً بخصوص الحکومة العالمیة للصالحین، وإذ لم یتحقق هذا المعنی فی الماضی، فلابدّ من انتظار تحققه فی المستقبل، وهذا هو نفس الشیء الذی نتوخاه تحت عنوان «الحکومة العالمیة للمهدی».

---

(۱) بإمکانکم مراجعة کتاب ثورة المهدی العالمیة بهذا الشأن.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۲۵

وهذه الملاحظة جدیرة بالاهتمام أیضاً إذ تقول الآیة: ولقد کتبنا هذا الوعد فی کتب الأنبیاء السابقین أیضاً، وهذه إشارة إلی أنّ هذا الوعد لیس وعداً جدیداً، بل إنّه امرٌ متجذر ورد فی المذاهب الاخری أیضاً.

والمراد ب «الزبور» علی الأقوی نفس «زبور داود»، وهو عبارة عن مجموعة من المناجاة، والأدعیة، ونصائح داود النبی المذکورة فی

کتب العهد القدیم (الکتب الملحقة بالتوراة) باسم «مزامیر داود».

واللطیف أنّه- بالرغم من کل التحریفات التی طالت کتب العهد القدیم بمرور الزمان- فإنّ هذه البشارة الکبیرة یمکن ملاحظتها بشکل واضح فی نفس هذا الکتاب أی «مزامیر داود».

ونقرأ فی المزمور/ ۳۷ الجملة/ ۹: (... لأن الأشرار سینقطعون، وأمّا المتوکلون علی الرب فسیکونون ورثة الأرض، وحالًا یختفی الأشرار، وکلما بحثت عنهم فسوف لن تجد لهم أثراً).

وجاء فی الجملة/ ۱۱: (أما المتواضعون فقد ورثوا الأرض، وهم یتلذذون من وفور النعمة).

وورد المعنی نفسه أیضاً فی الجملة/ ۲۷ من نفس المزمور بالعبارة التالیة: (لأنّ مبارکی الرب سیرثون الأرض، اما ملعونوه فسوف یتقطعون).

وجاء فی الجملة/ ۲۹: (فالصدیقون ورثوا الأرض، وسیسکنونها أبداً).

ومن الواضح أن التعابیر السابقة من قبل «الصدیقون»، «المتوکلون» «المتبرکون» و «المتواضعون» إشارة لعبارة «عبادی الصالحون» التی وردت فی القرآن الکریم.

والمراد من «الذکر» فی الآیة الآنفة، الذکر حسب اعتقاد الکثیر من مفسّری التوراة، وتشهد علی ذلک الآیة: «وَلَقَدْ آتَیْنَا مُوسَی وَهَارُونَ الْفُرقَانَ وَضِیاءً وَ ذِکری لِلْمُتَّقِینَ».

(الأنبیاء/ ۴۸)

واحتمل البعض الآخر أنّ المراد من «الذکر»، «القرآن»، وجمیع کتب الأنبیاء السابقین

من «الزبور»، (وبناء علی ذلک فإنّ معنی الآیة یصبح بهذا الشکل: لقد کتبنا هذه البشارة فی جمیع کتب الأنبیاء السابقین بالاضافة «للقرآن»).

وعلی أیّة حال فإنّ هذه البشارة قد جاءت أیضاً فی قسم من ملحقات التوراة مثل کتاب «النبی اشعیاء» کما نقرأ ذلک فی الفصل الحادی عشر من هذا الکتاب:

«الاذلاء بعدالة الحکم، وستکون الأرض حقاً نکالًا «ورمزاً للیقظة» للمساکین ... حزام ظهرها العدل ... ونطاق وسطها سیکون الوفاء ... سیسکن «سیأنس» الذئب مع الشاة ...

وسیکون الطفل الصغیر راعیها ... لأن الأرض ستمتلیء من علم اللّه، کما تمتلیء البحار من المیاه).

کما تلاحظ مثل هذه الإشارات فی کتاب التوراة نفسه أیضاً من جملتها: الفصل/ ۱۳ رقم ۱۵: (سنعطی الأرض إلی واحد من أولاد إبراهیم. ولو عد أحد ذرات غبار الأرض لعدَّ ذریته).

وجاء فی الفصل/ ۱۷ الجملة/ ۲۰: (اعطیته «إسماعیل» برکتی واربیته (ابناؤه) إلی أقصی غایة وسیظهر منه اثنا عشر سیداً وامّة عظیمة).

لاحظوا الجملة الثانیة عشر فانه سیبعث السرور ممّا یدل علی أنّ الأئمّة الاثنی عشر کلهم من ذریته وأولاده.

وفی الفصل/ ۱۸ الجملة/ ۱۸: (سیتبارک منه جمیع أقوام الدنیا ...).

وهناک تعابیر واشارات اخری من هذا القبیل لو اردنا ذکرها لطال بنا المقام.

لقد وردت هذه المسألة بشکل صریح فی الروایات الإسلامیة أیضاً- بالإضافة إلی الإشارات الواضحة لمسألة قیام المهدی علیه السلام فی الآیة السابقة، ومنها أنّ المرحوم «الطبرسی» فی «مجمع البیان» نقل فی نهایة هذه الآیة عن الإمام الباقر علیه السلام قوله: «هم أصحابُ المهدیِّ فی آخر الزَّمانِ». نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۲۷

وجاء فی تفسیر القمی أیضاً فی نهایة هذه الآیة مایلی: «قال القائمُ وَاصحابُه».

ليس من شك فى أنّه من الممكن أن يقيم عباد اللّه الصالحون حكومة على جزء من الأرض، كما حصل فى عصر رسول اللّه صلى الله عليه و آله وبعض الأعصار الاخرى إلّاأنّ استقرار الحكومة بأيدى الصالحين على وجه الأرض كلها ستحصل فى عصر المهدى عليه السلام فقط، وهناك روايات كثيرة بلغت حد التواتر، وقد وردت عن طرق السنّة والشيعة بهذا الصدد.

كما أنَّ «الشيخ منصور على ناصف» مؤلف كتاب «التاج الجامع للاصول»- وهو كتاب يضم الاصول الخمسة المعروفة لدى السنّة، وقد كتب علماء الازهر تقاريض مهمة عليه- أورد فى الكتاب المذكور ما يلى: «اشتهر بين العلماءِ سَلَفاً وخَلَفاً انَّهُ فى آخِرِ الزمانِ لابدَّ من ظهورِ لرجلٍ من أهلِ البيت مُسَمّى المهدى يستولى على الممالكَ الإسلاميةِ ويتَّبعُهُ المسلمونَ ويَعدِلُ بينهم ويؤيِّدُ الدين».

ثم يضيف قائلًا: «وقد روى أحاديث المهدى جماعة من خيارِ الصَّحابةَ، واخرَجَها أكابرُ المَحدّثين: كابى داود، والترمذى، وابن ماجة، والطبرانى، وأبى يعلى والبزاز والإمام أحمد والحاكم «۱».

لم يستطع حتى ابن خلدون المعروف بمخالفته لأحاديث المهدى، انكار شهرة هذه الأحاديث بين جميع علماء الإسلام أيضاً «۲».

ومن الذين أوردوا تواتر هذه الأخبار فى كتبهم «محمد الشبلنجى» العالم المصرى المعروف فى كتاب «نور الأبصار» إذ يقول: «تواتُرِ الأخبار عن النبى صلى الله عليه و آله على أنَّ المهدى من أهل بيتهِ وأنّه يملأ الأرضَ عدلًا».

لقد ورد هذا التعبير فى الكثير من الكتب الاخرى أيضاً، حتى أنّ «الشوكانى» من علماء السنّة المعروفين يقول فى كتاب ألَّفَهُ حول تواتر الأحاديث المرتبطة بالمهدى عليه السلام، وخروج الدجال، وعودة المسيح عليه السلام، بعد بحثٍ مفصّل بشأن تواتر الأحاديث المتعلقة بالمهدى عليه السلام:

---

(۱) التاج الجامع للُاصول، ج ۵ ص ۳۴۱ (ورد هذا المطلب كهامش فى تلك الصفحة).

(۲) ابن خلدون، ص ۳۱۱.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۲۸

«هذا يكفى لمن كان عندَهُ ذرَّةٌ من الإيمان وقليل من انصافٍ» «۱».

ومن المستحسن هنا أن نذكر على الأقل بعضاً من روايات النخبة الواردة فى أشهر المصادر الإسلامية كنموذج من هذا البيدر:

۱- ينقل «أحمد بن حنبل» من أئمّة السنّة الاربعة فى كتابه «مسند أحمد» عن «أبو سعيد الخدرى» أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله قال: «لا تقوم الساعَةَ حتى تمتلأ الأرض ظلماً وعدواناً، قال ثم يخرجُ رجلٌ من عترتى او مِنْ أهل بيتى يملأها قسطاً وعدلًا كما مُلِئَتْ ظلماً وعدواناً» «۲».

۲- ونقل الحافظ أبو داود السجستانى نفس هذا المعنى فى كتابه «السنن» مع فارق ضئيل «۳».

۳- نقل الترمذى المحدّث المعروف بسند صحيح (طبقاً لتصريح منصور على ناصف فى التاج) عن عبد اللّه، عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال: «لو لم يبقَ من الدنيا إلّايومٌ لطوَّلَ اللّهُ ذلك اليومَ حتى يبعثَ رجلًا منّى أو من أهل بيتى يواطئُ اسمَهُ اسمى، واسم ابيهِ اسم ابى «۴»، يملأُ الأرضَ قسطاً وعدلًا، كما مُلئَتْ ظلماً وجوراً» «۵».

وأورد الحاكم النيسابورى فى «المستدرك» ما يشبه هذا الحديث مع فارق قليل، ويقول فى نهايته: هذا حديث صحيح «۶».

۴- ونقل أيضاً فى صحيح «أبى داود» عن امّ سلمة أنّها قالت: سمعتُ رسول اللّه صلى الله عليه و آله: إنّه كان يقول: «المهدىُّ من عترتى من ولدِ فاطمَةَ» «۷».

---

(۱) نقلًا عن كتاب التاج، ج ۵، ص ۳۶۰.

(۲) مستدرك أحمد، جملة ۳، ص ۳۶.

(۳) سنن أبی داود، ج ۴ ص ۱۵۲.

(۴) صرّح بعض العلماء الكبار أنّ الصحيح هنا، اسم ابيه اسم ابنی، وبهذا الشكل يكون موافقاً تماماً للاسم المبارك للامام المهدی حسب اعتقاد الشيعة أی (محمد بن الحسن العسكری).

(۵) التّاج، ج ۵، ص ۳۴۳.

(۶) المستدرك، ج ۴، ص ۵۵۸.

(۷) صحيح أبی داود، ج ۲، ص ۲۰۷.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۲۹

۵- نقل الحاكم النيسابوری فی المستدرك، حديثاً أكثر تفصيلًا بهذا الشأن عن أبی سعيد الخدری عن الرسول الأكرم صلی الله عليه و آله أنّه قال: «ينزِلُ بأُمتی فی آخِرِ الزمانِ بلاءٌ شديد من سلطانهِمْ، لم يُسمع بلاءٌ اشدّ منه، حَتّی تضيقَ عَنْهُمُ الأرضُ الرَّحْبَةُ، وحتی يملأُ الأرضَ جوراً وظَلماً، لا يجدُ المؤمنُ مَلْجأً يَلتَجِأُ اليهِ مِنَ الظلْمِ فيبعثُ اللهُ عزَّ وجَلَّ رجُلًا من عترتی، فيَملأُ الأرضَ قسطاً وعدلًا كما مُلِئتْ ظُلماً وَجَوراً، يرضی عنه ساكن السماء وساكنُ الارضِ، لا تَدَّخِرُ الأرضُ مِنْ بَذرها شَيْئاً الّا اخْرَجَتْهُ، ولا السماءُ من قطرها شيئاً الّا صَبَّهُ اللهُ عليهم مدراراً» «۱».

وبعد ذكر هذا الحديث يقول الحاكم: هذا حديث صحيح وبالرغم من أنّ «البخاری» و «مسلم» لم يورداه فی كتبهما.

ومثل هذه الأحاديث- الواردة عن مختلف الرواة من المصادر المشهورة- كثيرة جدّاً، وتشير إلی الحكومة العالمية التی ستقام فی نهاية المطاف علی اليد المقتدرة الكفوءة للإمام المهدی عليه السلام، ويملأ العدل والقسط كل مكان، ويتحقق بالتالی مضمون الآية السابقة: «أنَّ الأرضِ يَرِثُها عبادیَ الصالحون».

۲- آية سورة النور

نقرأ فی قوله تعالی «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُم وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الارْضِ كَمَا استَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِی ارتَضَی لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّنْ بَعْدِ خَوفِهِمْ امْناً يَعْبُدُونَنِی لَايُشْرِكُونَ بِی شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ».

(النور/ ۵۵)

لقد بُشر المؤمنون الصالحون فی هذه الآية المباركة وبشكل صريح، أنّهم سيمسكون زمام السلطة والحكومة علی الأرض فی نهاية المطاف، وسيُنشر الدين الإسلامی، وستتبدل حالات اللا أمن والخوف إلی الاستقرار والأمن، وتُقلع جذور الشرك فی جميع أنحاء العالم،

---

(۱) المستدرك علی الصحيحين، ج ۴، ص ۴۶۵.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۳۰

ويتمكن عباد اللّه من مواصلة عبادة اللّه الواحد الأحد بكل حرية، وتتم الحجّة علی الجميع، بحيث لو أنّ أحداً أراد أن يواصل مسير الكفر سيكون فاسقاً ومقصراً، (أرجو أن تتأملوا فی القسم الأخير من الآية بدقّة).

وبالرغم من أنّ هذه الامور الهامة كانت تعد وعداً إلهياً تحقق فی عصر الرسول الأكرم صلی الله عليه و آله والأزمنة اللاحقة من بعده بنحو أوسع للمسلمين فی العالم، وعاد الإسلام الذی كان يوماً ما تحت قبضة الأعداء يعانی من وطأة الظلم بحيث لم يسمحوا له بأدنی فرصةٍ للظهور والبروز علی الساحة، ويعيش المسلمون فی حالة دائمة من الخوف والفزع، عاد فی نهاية المطاف وانتشر ليس فی شبه جزيرة العرب فحسب، بل عمَّ أجزاءً عظيمة واسعة من العالم، وانكفأ الأعداء منهزمين فی جميع الجبهات، ولكن بالرغم من هذا كله،

فإنّ حكومة الإسلام العالمية التى يجبُ أن تعمّ كافة أرجاء المعمورة وآفاق الأرض، وتقلع جذور الشرك وعبادة الأوثان بشكل نهائى، وتنشر الأمن والآمان والهدوء والحرية والتوحيد الخالص، لم تتحقق بعد، إذن يجب انتظار تحقق هذا الأمر.

سيتحقق هذا الأمر طبقاً لما ورد فى الرواية المتواترة التى أشرنا إليها آنفاً فى عصر قيام المهدى عليه السلام، وبناءً على ما تقدم فإنّ احدى مصاديق هذه الآية تحقق فى عصر النبى صلى الله عليه و آله والأعصار المقارنة له، وسيتحقق شكله الأوسع فى عصر قيام المهدى عليه السلام، ولا منافاة بين هذين الأمرين، ولابدّ من تحقق هذا الوعد الإلهىّ فى كلا المرحلتين.

المراد من الاستخلاف هنا خلافة الأقوام الكافرة الماضية، إذ تزول فيها حكومتهم وتحل محلها حكومة الحق، نظير ما جاء فى قوله تعالى «ثُمَّ جَعَلْناكُمْ خَلائِفَ فِي الارْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ». (يونس/ ۱۴)

وقد ورد شبيه هذا المعنى فى الآيتين ۶۹ و ۷۴ من سورة الأعراف.

وبناءً على ذلك، فالذين تصوروا أنّ الآية تعد دليلًا واضحاً على خلافة الخلفاء الأربعة- أمثال الفخر الرازى- باعتبار أنّ أولئك هم الذين استخلفوا الرسول، وأنّ الوعد الإلهىّ قد تحقق فى عصرهم، إنّما وقعوا فى الخطأ، لأنّ هذه الآية لا يراد بها خلافة الرسول، بل خلافة

الأقوام السابقة كما ورد ذلك فى الآيات الثلاثة الآنفة الذكر، وكما ورد فى قوله تعالى

«وَاوْرَثْنَا القَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُستَضعَفُونَ مَشَارِقَ الارْضِ وَمَغارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا». (الأعراف/ ۱۳۷)

من البديهى أنّ بنى اسرائيل ورثوا الفراعنة وسيطروا على جميع أنحاء ذلك البلد الواسع الملى بالبركات (مصر وأطرافها).

على أيّة حال فإنّ الآية تُبشر بقيام حكومة المؤمنين الصالحين فى جميع أنحاء العالم، تلك الحكومة التى تحقق مقدار واسع منها فى عصر رسول الإسلام صلى الله عليه و آله وبعده، وهى وإن لم تعمُ جميع العالم، إلّاأنّها كانت نموذجاً على تحقق هذا الوعد الإلهى، ولكن لم تتحقق بعد على هيئة حكومة عالمية تعمّ أرجاء المعمورة، والمصداق النهائى لها سوف يتحقق بقيام حكومة الإمام المهدى عليه السلام مع توفر الأرضية والظروف بمشيئة اللّه تعالى إذ ستُملأ الدنيا عدلًا وقسطاً طبقاً لما ورد فى الروايات الصادرة عن الرسول صلى الله عليه و آله وسائر الأئمّة المعصومين عليهم السلام، بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، ونحن بانتظار تحقق هذا الوعد القرآنى.

والروايات الواردة فى المصادر المختلفة فى تفسير هذه الآية تؤكد وتؤيد هذه المسألة أيضاً.

ومنها إنّ المفسّر المعروف «القرطبى» ينقل فى تفسير «الجامع لاحكام القرآن» فى نهاية هذه الآية عن «سليم بن عامر»، عن «المقداد بن اسود»، يقول: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنّه قال: «ما على ظهر الأرض بيتُ حجرٍ ولا مدرٍ إلّاأدخَلَهُ اللّه كَلِمَةَ الإسلام» «۱».

وفى تفسير «روح المعانى» نُقل عن «الإمام على بن الحسين عليه السلام» أنّه قال فى تفسير هذه الآية: «هم واللّه شيَعتُنا أهل البيتِ يُفعَلُ ذلِكَ بهِمْ على يَدِ رَجُلٍ منّا وهو مهديُّ هذه الامّة وهو الَّذى قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: لو لم يبقَ من الدنيا إلّايوم واحد لطوَّلَ اللّه تعالى ذلك اليومَ حتى يلِيَ رجلٌ من عترتي اسمُهُ اسمى يملأُ الأرضَ عدلًا وقسطاً كما مُلِئَتْ ظلماً وجَوراً».

---

(۱) تفسير القرطبى، ج ۷ ص ۴۶۹۲.

ويمكن مشاهدة هذا المعنى باختلاف قليل فى الكثير من مصادر أهل البيت عليهم السلام.

وبالرغم من أنّ «الآلوسى» لم يقيّم هذا الحديث برأى ايجابى فى تفسير «روح المعانى»، إلّاأنّه يقول فى نهايته:

وردت عدّة روايات عن طرقنا تؤيد هذا المعنى وإن لم نعوّل عليها- كرواية «عطية» عن النبى صلى الله عليه و آله بعد أن تلا هذه الآية،

قال صلى الله عليه و آله: «أهل البيت هاهنا وأشار إلى القبلة» «۱».

وينقل القرطبى حديثاً آخر بهذا الشأن أيضاً أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله قال: «زُوِيَتْ لى الأرضُ فَرأَيتُ مشارِقَها ومغارِبَهَا وسيبلُغ مِلْكُ امَّتى ما زوىَ لى منها» «۲».

يتّضح من كل ما أسلفناه، الجواب عن الكثير من مؤآخذات المخالفين لمنطق اتباع أهل البيت عليهم السلام فى تفسير هذه الآية.

وتوضيح ذلك: إنّه كما قلنا سابقاً: إنّ تحقق هذا الوعد الإلهى له عدّة مراحل، واحدى هذه المراحل حصلت مع المؤمنين الصالحين فى عصر الرسول صلى الله عليه و آله، إذ بعد فتح مكة وسيطرة الإسلام على الجزيرة العربية، شعر المسلمون فى ظل الإسلام والرسول صلى الله عليه و آله بأمنٍ نسبى واستولوا على جزء عظيم من المنطقة، وتحقق بذلك ما ورد بشأن نزول هذه الآية.

(وقد ورد سبب نزول هذه الآية فى العديد من التفاسير، ومنها أسباب النزول، ومجمع البيان، وفى الظلال، والقرطبى (باختلاف بسيط)، أنّه عندما هاجر رسول الإسلام صلى الله عليه و آله والمسلمون إلى المدينة واستقبلهم الأنصار بأحضانهم، نهض العرب بأجمعهم ضدهم، بحيث إنّهم اضطروا إلى عدم مفارقة اسلحتهم، فينامون الليل بالسلاح، ويستيقظون الصبح مع السلاح، وكان الاستمرار على هذه الحالة يثقل على المسلمين، وأخذ بعضهم يتساءل إلى متى ستستمر هذه الحالة؟ هل سيأتى زمان ننام فيه الليل براحة بال واطمئنان، ولا نخشى احداً سوى اللّه؟ فنزلت هذه الآية، وبشرت بقرب حلول هذا الوقت).

---

(۱) تفسير روح البيان، ذيل آية مورد البحث.

(۲) تفسير القرطبى، ذيل آية مورد البحث.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۳۳

والمرحلة الاخرى لهذا الوعد، حصلت فى زمن الخلفاء إذ سيطر الإسلام على أجزاء واسعة من العالم وأخضعها لسلطته، فعادت على المسلمين بمزيد من الأمن والاستقرار.

إلّا أنّ المرحلة الثالثة والنهائية أى عالمية الإسلام وحاكميته المطلقة على العالم المتزامنة مع الأمن والاستقرار وانتصار جيش التوحيد على معسكر الشرك ولم يتحقق بعد، وسيقتصر تحققهُ على عصر قيام المهدى عليه السلام فقط، وهذه المعانى الثلاثة التى تمثل سلسلة مراحل لحديثٍ واقعى لا توجد بينها أيّة منافاة.

كما يستفاد من هذه الآية أيضاً، أنّ هذا الوعد الإلهىّ يختص بالأفراد الذين يمتلكون الإيمان والعمل الصالح، ويقيناً كلما تحقق هذان الشرطان وفى أى عصر ومصر سوف تتهيّأ للمسلمين احدى مراحل هذه الحاكمية الإلهيّة، وبالمقابل كلما حدثت هزيمة ما، وعاد المسلمون أذلاء ضعفاء فى قبضة الأعداء، يجب أن نعلم بأنّ ذينك الأساسين اللذين يمثلان شرطى تحقق الوعد الإلهىّ قد طوتهما صحف النسيان، فالإيمان عاد ضعيفاً، والاعمال آلت ملوثة!

۳- آية ظهور الحق

نقرأ فى قوله تعالى «هُوَ الَّذِى ارسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشرِكُونَ». (التوبة/ ۳۳)

تجدر الإشارة إلى أنّ هذه الآية تأتى بعد آية: «يُرِيدُونَ انْ يُطفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِافواهِهِم وَيَأَبَى اللَّهُ الَّا انْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ».

وأعطى اللّه فى هذه الآيات- كما فى الآيات السابقة- الوعد فى غلبة وانتصار الإسلام على كافة الأديان فى العالم.

وحول السؤال القائل: ما هو المقصود بانتصار الإسلام على كافة الأديان؟ اعطى المفسرون عدّة احتمالات.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۳۴

فالفخر الرازى يعطى خمسة تفاسير هنا تعد جواباً على الاسئلة المرتبطة بكيفية هذه الغلبة:

۱- المقصود بالغلبة هو الغلبة النسبية والموضعية، ذلك إنّ الإسلام انتصر بمنطقه على جميع الأديان والمذاهب.

۲- المراد هو الانتصار على الأديان فى الجزيرة العربية.

۳- المراد إخبار النبى صلى الله عليه و آله بجميع الأديان الإلهيّة (فسّرت جملة «ليظهره» هنا بمعنى الإخبار).

۴- المراد النصر والغلبة المنطقية، أى أنّ اللّه ينصر منطق الإسلام على سائر الأديان.

۵- المراد النصر النهائى على جميع الأديان والمذاهب عند نزول عيسى عليه السلام وقيام المهدى عليه السلام إذ سيصبح الإسلام عالمياً.

ولا شك بأنَّ تفسير الآية بالنصر المنطقى وبصورة وعدٍ مستقبلى لا ينطوى على مفهوم صحيح، لأنّ النصر المنطقى للإسلام كان واضحاً منذ البداية، إضافة إلى ذلك فإنّ مادة «الظهور» و «الاظهار» (ليظهره على الدين كُلِّهِ) وكما يستفاد من موارد استعماله فى القرآن المجيد، بمعنى الغلبة الخارجية والعينية كما نقرأ ذلك فى قصة أصحاب الكهف: «انَّهُم انْ يَظْهَرُوا عَلَيكُم يَرجُمُوكُم». (الكهف/ ۲۰)

ونقرأ فى قوله تعالى «كَيفَ وَانْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَايَرقُبُوا فِيكُم الًّا وَلَا ذِمَّةً». (التوبة/ ۸)

ومن البديهى أنّ عَبَدة الأصنام من قوم أصحاب الكهف، ومشركى مكة لم ينتصروا منطقياً على المؤمنين باللّه اطلاقاً، واقتصرت غلبتهم على الغلبة الخارجية فقط، وبناءً على هذا فإنّ المراد بغلبة الإسلام على جميع الأديان هى الغلبة الخارجية والعينية، وليس الغلبة المنطقية والفكرية.

إنَّ هذه الغلبة- وكما ورد نظير ذلك فى البحث الماضى- لها مراحل مختلفة:

حصلت احدى مراحلها فى عصر الرسول صلى الله عليه و آله، ومرحلتها الأوسع حصلت فى القرون

التالية، ومرحلتها النهائية ستحصل عند قيام المهدى عليه السلام، لأنّ الآية الشريفة تتحدث عن غلبة الإسلام على جميع الأديان دون أى قيد وشرط، والغلبة المطلقة دون أى قيد أو شرط إنّما تتحقق بشكل كامل عندما تلقى ظلالها على جميع أرجاء المعمورة، كما ورد فى رواية رسول الإسلام صلى الله عليه و آله إذ قال: «لا يبقى على ظهر الأرض بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ الّا أدخَلَهُ اللهُ كلمة الإسلام» «۱».

ونقل شبيه هذا المعنى فى تفسير «الدرّ المنثور» عن «سعيد بن منصور، و «ابن المنذر» و «البيهقى» فى سننه عن «جابر بن عبد اللّه» أنّه قال فى تفسير هذه الآية:

«لا يكون ذلك حتى لا يبقى يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ صاحبُ ملةٍ الّا الإسلام» «۲».

أجل سيتحقق هذا الوعد الكبير فى ذلك اليوم الكبير.

ونقل هذا المعنى عن الإمام الصادق عليه السلام فى تفسير الآية السابقة، إذ قال: «واللّه ما نزل تأويلها بَعْدُ ولا ينزلُ تأويلها، حتى يخرُجَ القائمُ، فاذا خرجَ القائمُ لم يبق كافرٌ باللّه العظيم» «۳».

وهذه الملاحظة على جانب من الأهميّة إذ إنّ الآية: «هُوَ الَّذِى ارسَلَ رسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الّدِينِ كُلِّهِ» قد ورد فى ثلاث سورٍ من القرآن: الاولى فى التوبة الآية ۳۳ (كما مرَّ سابقاً)، والثانية فى سورة الفتح الآية ۲۸، والثالثة فى سورة الصف الآية ۹.

هذا التكرار يبيّن أنّ القرآن المجيد قد تابع هذه المسألة بتأكيد متزايد.

ونقرأ فى حديث آخر نُقل فى مصادر السنّة عن أبى هريرة: المقصود من الآية: «لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ»، خروج عيسى بن مريم عليه السلام (ونحن نعلم أنّ خروج عيسى ابن مريم عليه السلام وطبقاً لما ورد فىالروايات الإسلامية سيكون أثناء قيام المهدى عليه السلام) «۴».

(۱) تفسير مجمع البيان، الآية التى نحن بصددها.

(۲) تفسير در المنثور، ج ۳، ص ۲۳۱.

(۳) تفسير نور الثقلين، ج ۲، ص ۲۱۲.

(۴) تفسير در المنثور، ج ۳، ص ۲۳۱.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۳۶

ونختم هذا البحث بحديث منقول عن «قتادة» المفسّر المعروف، إذ يقول فى تفسير هذه الآية: «الأديانُ ستَّةٌ: الَّذين آمنوا، والذين هادوا، والصابئون، والنصارى والمجوس، والذين اشركوا، فالأديان كُلُّها تدخل فى دين الإسلام» «۱».

ومن الواضح أنّ هذا المعنى لم يتحقق بَعْدُ بشكل نهائى، ولن يتحقق إلّافى عصر قيام المهدى عليه السلام.

وهذه الملاحظة جديرة بالاهتمام أيضاً، وهى: أنّ المقصود بزوال الديانة اليهودية والمسيحيّة ليس بشكل كامل، بل المقصود حاكمية الإسلام على العالم اجمع (تأملوا جيداً).

آثار انتظار المهدى عليه السلام:

تصوّر بعض الجهلة أنّ انتظار ظهور المهدى عليه السلام بناءً على الآيات والروايات الآنفة، يمكن أن يتسبب فى الركود والتخلف، أو الهروب من تحمّل أعباء المسؤوليات، والاستسلام أمام الظلم والاضطهاد، ذلك أنّ الاعتقاد بهذا الظهور الكبير يعنى فى مفهومه اليأس وقطع الأمل فى إصلاح العالم قبله، بل وحتى الاعانة على انتشار الظلم والفساد لكى تتهيأ الأرضية المناسبة لظهوره!

لقد مرّت سنوات عديدة وألسن المخالفين والمنكرين لقيام المهدى عليه السلام تتناول هذا الحديث، وأشار إلى ذلك ابن خلدون، فى الوقت الذى تعد هذه المسألة على العكس من ذلك تماماً، وأنّ انتظار هذا الظهور الكبير له آثار بناءة جداً، سنشير إليها لاحقاً بشكل سريع ومختصر، كى يتّضح أنّ مثل هذا الحكم يعدُ حكماً متسرعاً وغير دقيق أمام مسألة اشير إليها فى القرآن المجيد، وكذلك فى الأحاديث المتواترة الواردة فى الكتب المعروفة للسنّة،

(۱) تفسير در المنثور، ج ۳، ص ۲۳۱.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۳۷

والمصادر المشهورة للشيعة، ومبيّنة بشكل صريح.

حقيقة الانتظار وآثاره البناءة:

لقد كان الحديث يدور حول حقيقة الإيمان بظهور المهدى عليه السلام ببرنامجه العالمى الذى يملأ بموجبه العالم عدلًا وقسطاً ويقطع جذور الظلم والاضطهاد، فهل لتلك الحقيقة آثار تربوية بناءة أم آثار سلبية؟

وهل أنّ الإيمان بمثل هذا الظهور يحمل الإنسان على الاستعراض فى افكار تخيلية بحيث يغفل عن واقعه المعاش ويجعله مستسلماً أمام كل الظروف؟

أم أنّ ذلك فى حالة صحة هذه العقيدة يعد نوعاً من الدعوة للثورة وبناء الفرد والمجتمع؟

هل يبعث على التحرك أم الركود؟

هل يخلق روح تحمّل المسؤولية أم يكون داعياً إلى الهروب من اعباء المسؤوليات؟!

وأخيراً: هل هو عامل مخدّر أم منبّه؟

ولكن قبل توضيح ومتابعة هذه الاسئلة، يعدُ الالتفات إلى هذه النقطة أمراً ضرورياً جدّاً، وهى: أنّ أفضل القوانين وارقى المفاهيم إذا وقعت فى ايدى الأفراد غير الكفوئين أو غير اللائقين أو الانتهازيين يمكن أن تتعرض إلى المسخ الشديد، بحيث تعطى نتائج مغايرة للهدف الأصلى تماماً، وتتحرك بالاتّجاه المضاد منها، ولهذه القضية نماذج كثيرة، ومسألة «الانتظار» وبالنحو الذى سنراه فى عداد هذه المسائل.

وعلى أيّة حال فإنّ التخلّص من كافة أنواع الخطأ فى الحساب فى مثل هذه الأبحاث، لابدّ- كما يقال- من أخذ الماء من مصدره، لكى لا يُؤثر فيه التلويث المحتمل للأنهار والقنوات التى يمرُ فيها الماء خلال مسيره.

أى إنّنا سنتوجه فى بحث مسألة «الانتظار» مباشرةً نحو المصادر الإسلامية الأصلية، ونُخضع مضامين الأحاديث المختلفة التى تؤكد على مسألة «الانتظار» للبحث والتحقيق، كى نصل إلى الهدف الأساسى.

والآن تأمّلوا فى هذه الطائفة من الروايات بدقّة:

١- سأل سائل من الإمام الصادق عليه السلام: ماذا تقول فيمن مات وهو على ولاية الأئمّة

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۳۸

بانتظار ظهور حكومة الحق؟

فقال الإمام عليه السلام فى جوابه: «هو بمنزلة مَنْ كان مع القائم عليه السلام فى فسطاطِه- ثم سكت هنيئَةً- ثم قال: هو كَمَنْ كانَ مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله» «۱».

ونُقل هذا المضمون نفسه فى روايات كثيرة وبتعابير مختلفة.

٢- وجاء فى بعضٍ منها: «بمنزلة الضاربِ بسيفِهِ فى سبيل اللَّه».

٣- وفى البعض الآخر: «كمَنْ قارَعَ مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بسيفِهِ».

۴- وفى البعض الآخر: «بمنزلةِ مَنْ كانَ قاعداً تحت لِواءِ القائم».

۵- وفى البعض الآخر: «بمنزلةِ المجاهِدِ بين يدىْ رسولِ اللَّه صلى الله عليه و آله».

۶- وفى البعض الآخر: «بمنزلةِ مَنْ استشهِدَ مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله».

انَّ هذه التشبيهات السبعة الواردة فى هذه الروايات الستّة بشأن انتظار ظهور المهدى عليه السلام، تكشف عن هذه الحقيقة، بوجود نوع من الرابطة والتشابه بين مسألة «الانتظار» من جهة، و «الجهاد»، ومقاتلة الأعداء بأعلى صورة من جهة اخرى (تأملوا).

٧- ورد انتظار مثل هذه الحكومة أيضاً فى روايات متعددة، واشير إليه على أنّه أفضل العبادات.

ونقل هذا المضمون فى بعض الأحاديث عن الرسول صلى الله عليه و آله، وفى البعض الآخر عن أمير المؤمنين عليه السلام، ونقرأ فى حديث أنّ الرسول صلى الله عليه و آله قال: «أَفضَلُ اعمالِ امَّتى انتِظارُ الفرجِ من اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» «۲».

ونقرأ فى حديث آخر عن الرسول صلى الله عليه و آله: «أَفضَلُ العبادَةِ انتظارُ الفرج» «۳».

وهذا الحديث سواء نظرنا فيه إلى مسألة انتظار الفرج بالمعنى الواسع للكلمة أو بالمفهوم الخاص لها أى بمعنى انتظار ظهور المصلح العالمى الكبير، يُوضّح أهميّة الانتظار فى بحثنا هذا.

---

(۱) محاسن البرقى طبقاً لنقل بحار الأنوار، ج ۱۳، ص ۱۳۶.

(۲) اصول الكافى بناءً على نقل بحار الأنوار، ج ۱۳، ص ۱۳۷.

(۳) اصول الكافى بناءً على نقل بحار الأنوار، ج ۱۳، ص ۱۳۶.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۳۹

كل هـذه التعابير تقول بأجمعها إنّ الانتظار يعـد ثورة مقرونة بشـكل مسـتمر بالجهاد الواسع الشامل، اجعلوا هذه المسألة نصب أعينكم كى ننتقل إلى مفهوم الانتظار، ثم نستخلص النتيجة من مجموع هذه المفاهيم.

مفهوم الانتظار:

«الانتظار»: يُطلق عادةً على حالة من يشعر بعدم الارتياح من الوضع الموجود، ويسعى من أجل ايجاد وضع أفضل.

ومثله كمثل المريض الـذى ينتظر تحسن حالته، أو الأب الذى يعيش حالة انتظار عودة ولده من السـفر، أو مَن يشـعر بعدم الارتياح من مرض أو فراق الولد ويسعى من أجل وضعٍ أفضل.

وكـذا الحال بالنسـبة للتاجر الـذى يشـعر بعـدم الارتياح من وضع السوق المضـطرب ويعيش الانتظار كى تنتهى الأزمة الاقتصادية، فانه يعيش كلا الحالتين «عدم الانسجام مع الوضع الموجود»، و «السعى من أجل وضعٍ أفضل».

وبناءً على ذلك فإنّ مسألة انتظار حكومة الحق والعدالة للامام «المهدى» وقيام المصـلح العالمى مركّبة فى الواقع من عنصـرين، عنصـر «النفى» وعنصـر «الإثبات». ويمثل عنصـر النفى عدم الانسجام مع الوضع الموجود، ويمثل عنصر الإثبات السعى من أجل الحصول على الوضع الأفضل.

وإن حلّت هاتان الخصلتان بصورة متجذرة فى روح الإنسان فستكونان مصدراً لنوعين من الأعمال الواسعة الشاملة.

وهـذان النوعـان من الاعمـال يتمثلان بترك أى نوع من أنواع التعاون والانسـجام مع عوامل الظلم والفساد، وحتى النضال والاشـتباك معها من جهة، وبناء الذات واعدادها والمحافظة عليها من الزلل، واكتساب الاستعدادات الجسمية والروحية والمادية والمعنوية من أجل تبلور تلك الحكومة العالمية والشعبية الموحّدة من جهة اخرى

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۴۰

ولو تأملنا جيداً نرى أنّ كلًا منها يعدُ بنّاءً وعامل تحرّكٍ ووعيٍ ويقظة.

ومع أخـذ المفهوم الأسـاس «للانتظـار» بنظر الاعتبـار يمكن أن نُـدرك جيـدا معنى الروايـات المتعـددة التى نقلناها آنفاً بشأن البشارة، ونتيجة عمل المنتظرين. والآن نفهم لماذا عُدَّ المنتظرون الحقيقيون أحياناً كالذين مع المهدى عليه السـلام فى فسطاطه، أو تحت لوائِهِ، أو كالضارب بسيفه فى سبيل اللّه، أو المتشحط بدمه، أو المستشهد؟

أليست هـذه الحالات إشـارة إلى المراحـل المختلفـة، ودرجـات الجهاد فى سبيل الحق والعدالـة، والتى تتناسب مع مقـدار الاسـتعداد ودرجة انتظار الأفراد؟

أى، كمـا أنّ ميزان تضـحية المجاهـدين فى سبيـل اللّه ودورهم متفـاوت فيمـا بينهم، فـإنّ الانتظار وبناء الـذات والاسـتعداد له درجات متفاوتـة أيضـاً، بحيث إنّ كلًا منهـا يتشابه مع ما يقابلها من حيث «المقـدمات» و «النتيجـة»، فكلاهما يمثلان الجهاد، وكلاهما يريـدان الاسـتعداد وبناء الـذات، فمن كان فى فسـطاط قائـد مثل تلك الحكومـة أى فى مركز القيادة العامة لحكومة عالمية لا يسـعه أن يكون فرداً غافلًا وغير مبال، لأنَّ ذلك المكان ليس لكائن مَنْ كان، إنّه مكان أولئك الذين يليقون حقاً بتلك المنزلة والأهميّة.

وكـذلك فإنّ الذى يحمل السـلاح بيده ويقاتل بين يدى قائد هذه الثورة ضد المخالفين لحكومته، حكومة الصـلح والسـلام والعدالة، لابدّ وأن يمتلك استعداداً روحياً وفكرياً وقتالياً عالياً.

ولغرض المزيد من الاطلاع على الآثار الواقعية لانتظار ظهور المهدى عليه السلام نرجو الالتفات إلى التوضيح التالى:

الانتظار يعنى الاستعداد التام:

اشارة

لو كنت ظالماً ومضطهداً كيف يمكن أن أنتظر فرداً تكون دماء الظلمة طعمة لسيفه؟

لو كنت ملوثاً نجساً كيف بوسعى أن أكون فى انتظار ثورةٍ ستأتى شرارتها على حضائر النجسين والملوثين؟

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۴۱

فالجيش الذى ينتظر أن يخوض حرباً شعواء يجب أن يعمل على رفع الاستعداد القتالى لأفراده، ويؤجج فيهم روح الثورة، ويعمل على إصلاح أى نقطة ضعف فيه.

لأنّ كيفية «الانتظار» تتناسب دائماً مع الهدف الذى نحن بانتظاره.

انتظار مسافر عائد من سفره.

انتظار عودة أحد الأحبّة الأعزاء.

انتظار حلول موسم جنى الثمار من الأشجار وحصاد المحصول.

وكل نوع من حالات الانتظار هذه ممزوج بنوعٍ من الاستعداد، ففى احداها لابدّ من اعداد البيت وتوفير وسائل الاستقبال، وفى الاخرى تهيئة الأدوات اللازمة، كالمنجل.

من هنا لكم أن تنظروا إلى أنّ الذين ينتظرون قيام مصلحٍ عالمىٍ كبير فإنّهم ينتظرون فى الواقع ثورةً وانقلاباً وتحولًا يعدُ من أوسع واشمل الثورات الإنسانية على مرّ تاريخ البشرية.

إنّهم ينتظرون انقلاباً مغايراً للثورات السابقة التى كانت تفتقر إلى الصيغة المنطقية فى محتواها، بل ثورة عامة شاملة لجميع الشؤون والجوانب الحياتية للبشرية، ثورة سياسية وثقافية واقتصادية وأخلاقية.

الفلسفة الاولى بناء الذات فردياً

إنَّ مثل هذا التحول يحتاج قبل كل شىء إلى العناصر الإنسانية المستعدة والأمينة لكى يكون بوسع القائمين به تحمّل أعباء تلك الإصلاحات الواسعة فى العالم، ويحتاج ذلك بالدرجة الاولى إلى رفع مستوى التفكير والوعى والاستعداد الروحى والفكرى للمساهمة فى تطبيق ذلك البرنامج العظيم، إنّ النظرات الضيقة والمحدودة، والأفكار المنحرفة، والحسد، والنزاعات الصبيانية وغير العقلائية، وبشكل عام كل نوع من النفاق والتشتت لا ينسجم مع مكانة «المنتظرين الواقعيين».

والملاحظة المهمّة هى أنّ المنتظر الحقيقى ليس بوسعه أن يتخذ دور المتفرّج أمام هذا

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۴۲

البرنامج المهم اطلاقاً، ولابدّ أن ينخرط من الآن فى صفوف الثوريين.

إنّ الإيمان بنتائج وعاقبة هذا التحول لا يسمحان له بأنّ يكون فى خندق المعارضين اطلاقاً، كما أنّ الانضمام لخندق المؤيدين أيضاً لا يحتاج فقط إلى امتلاك «اعمال نظيفة»، وروحٍ أنظف، والتحلّى «بالشهامة» و «الوعى»، إذ إنّ ذلك وحده لا يكفى.

فلو كنت شخصاً فاسداً وغير مستقيم كيف بوسعى أن أعدّ الأيّام فى انتظار نظامٍ ليس فيه للفاسدين وغير الصالحين أى دور أو أثر، بل سيكونون مطرودين وغير مرغوب فيهم.

ألا يكفى هذا الانتظار لتصفية الروح والفكر، وغسل الجسم والروح من الدرن والنجاسات؟

إنّ الجيش الذى يعيش الانتظار لخوض جهاد التحرير لابدّ وأن يكون فى حالة الانذار القصوى والاستعداد الكامل، ويعمل جاهداً

للحصول على السلاح اللائق بساحة القتال هذه، ويبنى المواضع اللازمة، ويرفع المستوى القتالى لمنتسبيه،

ويقوى معنوية أفراده، ويعمل على ابقاء شعلة الحب والشوق لمثل هذه المنازلة حيّة فى قلوب جنوده، والجيش الذى لا يتحلى بمثل هذا الاستعداد لا يمكن أن يعيش حالة الانتظار مطلقاً، وإن ادّعى ذلك فإنّما يكذب.

إنّ انتظار مصلحٍ عالمى بمعنى الاستعداد الفكرى والأخلاقى، المادى والمعنوى الكامل، إنّما هو من أجل إصلاح العالم اجمع، تأملوا كم أنّ هذا التهيؤ والاستعداد يُعدّ بنّاءً.

إنّ إصلاح جميع أرجاء الأرض وإنهاء كل أنواع المظالم والاضطرابات ليس مزاحاً، ولا يمكن أن يكون عملًا بسيطاً، فالاستعداد والتهيؤ لمثل هذا الهدف العظيم يجب أن يكون متناسباً مع حجمه، أى: يجب أن يكون بسعته وعمقه!

ومن أجل تحقيق هذه الثورة، لابدّ من رجال عظماء جداً يمتازون بالتصميم العالى والاقتدار الرفيع ولا يقبلون الهزيمة، طاهرين وبعيدى النظر وبشكل استثنائى، وعلى استعداد كامل، ويمتلكون نظرة ثاقبة للُامور.

ويستلزم البناء الذاتى لمثل هذا الهدف استخدام اعمق البرامج الأخلاقية والفكرية

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۴۳

والاجتماعية، هذا هو معنى الانتظار الواقعى، فهل يتسنى لاحدٍ الادّعاء بأنّ مثل هذا الانتظار ليس بنّاءً؟

الفلسفة الثانية: أعمال الرعاية الاجتماعية

المنتظرون الصادقون مكلفون فى نفس الوقت بأن لا يركّزوا اهتمامهم بأنفسهم فحسب، بل بمراقبة أحوال بعضهم البعض، وأن يبادروا فى إصلاح الآخرين وإصلاح أنفسهم، لأنّ البرنامج العظيم والثقيل الذى ينتظرونه ليس برنامجاً فردياً، بل إنّه برنامج ينبغى أن تساهم فيه جميع عناصر الثورة، ولابدّ أن يكون طابع العمل طابعاً جماعياً وجماهيرياً، ولابدّ أن تتناغم الجهود والمساعى، وينبغى أن يكون عمق الانسجام وسعته بعظمة ذلك البرنامج الثورى العالمى الذى يعيشون انتظاره.

وفى هكذا ميدان واسع للمنازلة الجماعية، ليس بوسع أى فردٍ أن يبقى غافلًا عن أحوال الآخرين، بل إنّه مكلّف بإصلاح أى نقطة ضعف فى أى مكانٍ يراها، وأن يرمم أى موضعٍ متضرر، وأن يقوى كل جزء ضعيف، لأنّه بدون الاشتراك الفعّال والمنسجم لكل المناضلين فإنّ تطبيق مثل هذا البرنامج يعدُ امراً مستحيلًا.

وبناءً على هذا فإنّ المنتظرين الواقعيين واضافة لسعيهم فى إصلاح أنفسهم، مكلفون أيضاً بإصلاح الآخرين.

هذا هو الأثر البنّاء الآخر لانتظار قيام مصلحٍ عالمى، وهذه هى فلسفة كل تلك الفضائل المعدّة للمنتظرين الحقيقيين.

الفلسفة الثالثة: المنتظرون الحقيقيون لا يذوبون فى فساد المحيط

الأثر المهم الآخر الذى يمتاز به انتظار المهدى هو عدم الذوبان فى مفاسد المحيط، وعدم الاستسلام أمام الانحرافات والفساد.

وتوضيح ذلك: إنّه عندما يشيع الفساد ويجر الأكثرية نحو التلوث، فإنّ الأفراد الطاهرين

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۴۴

يواجهون أحياناً مأزقاً نفسياً حاداً لا مخرج منه، مأزقاً مغلقاً نابعاً من اليأس من الإصلاحات.

إنّهم يعتقدون أحياناً بأنّ الأمر قد خرج من أيديهم ولا أمل بالإصلاح قط، والسعى من أجل المحافظة والابقاء على الطهارة يعد عبثاً، ومن الممكن أن يجرهم هذا اليأس والاحباط نحو الفساد والتأقلم مع المحيط تدريجياً، بحيث لا يتمكنون معه من المحافظة على أنفسهم بصورة أقلية صالحة أمام الأكثرية الطالحة، وينظرون إلى مسألة عدم التأقلم مع الجماعة كباعثٍ على الفضيحة!

والشىء الوحيد الذى يمكن أن يبعث فيهم «الأمل» ويدعوهم إلى المقاومة والمحافظة على النفس، ولا يدعهم يذوبون فى المحيط

الفاسد هو الأمل بالإصلاح النهائى، فى هذه الصورة فقط سوف لن يرفعوا أيديهم عن بذل المساعى والجهود للمحافظة على طهارتهم وإصلاح الآخرين.

وإن كنّا نلاحظ فى القوانين الإسلامية أنّ اليأس من غفران الذنوب يعدّ من الذنوب الكبيرة، ومن الممكن أن يتعجب الجاهلون أنّه لماذا يعد اليأس من رحمة اللّه على هذا القدر من الأهميّة، بل حتى أنّه أهم من كثير من الذنوب، إنّ فلسفة هذه المسألة تكمن فى حقيقة مفادها هو أنّ المذنب الآيس من الرحمة لا- يرى أى مبررٍ للتفكير بالتكفير عن ذنبه، أو على الأقل الاعراض عن الاستمرار بارتكاب الذنب، ومنطقه يرتكز على أنّ الماء قد تجاوز هامتى سواء بمتر أو مائة متر! أنا المفضوح فى الدنيا فلن ابالى بهموم الدنيا! ولا لون بعد السواد أشد منه، سأدخل جهنم لا محالة، أنا الذى اشتريت ذلك لنفسى، فمّ الخوف إذن؟! وأمثال هذا المنطق ...

أمّا عندما تفتح أمامه نافذة أمل، الأمل بعفو اللّه، الأمل بتغيير الوضع الموجود، ستتولد نقطة عطفٍ فى حياته تدعوه إلى التوقف عن مسيرة الذنوب والعودة نحو الطهارة والإصلاح.

ولهذا السبب يمكن اعتبار الأمل على أنّه عامل تربوى مؤثر فى أوضاع الفاسدين دائماً، وكذلك الصالحون المبتلون بالأوساط الفاسدة، لا يسعهم المحافظة على أنفسهم بدون الأمل.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۴۵

والنتيجة إنّ انتظار ظهور مصلحٍ يزداد الأمل بظهوره كلما إزدادت الدنيا فساداً، له أثر نفسى متزايد لدى المعتقدين، ويصونهم أمام أمواج الفساد المتلاطمة؛ إنّهم لا- يعرفون اليأس بمجرّد انتشار رقعة فساد المحيط، بل بمقتضى «اقتراب موعد الوصل* يزداد لهيب الشوق والوله» فإنّهم يرون موعد الوصل والوصول إلى الهدف الذى هو نصب أعينهم، وتزداد حدّة المنازلة مع الفساد أو المحافظة على النفس بكل شوق واستماتة.

من مجموع الأبحاث الماضية نستخلص النتيجة التالية: إنّ الأثر التخديرى للانتظار يقع فى حالة واحدة بأن يصبح مفهومه المسخ أو التحريف- كما حرّفه إلى هذا المفهوم جمعٌ من المعارضين، ومسخه جمعٌ من المؤيدين- أمّا لو تُرجم إلى مفهومه الواقعى فى المجتمع والفرد فيتحوّل إلى عاملٍ مهم للتربية وبناء الذات والتحرك والأمل.

ومن جملة الأسانيد الواضحة التى تؤيد هذا الموضوع ما جاء فى آخر هذه الآية «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُم وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الارْضِ ....». (النور/ ۵۵)

ونقل عن أئمّة الإسلام الكرام المقصود بهذه الآية «هو القائِمُ وأصحابُهُ» «۱».

ونقرأ فى حديث آخر: (نَزَلت فى المهدى).

وفى هذه الآية اشير إلى المهدى عليه السلام وأصحابه بأنّهم «الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُم وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»، وبناءً على ذلك فإنّ تحقق هذه الثورة العالمية بدون الإيمان الراسخ الذى لا يداخله أى نوع من الضعف والتخاذل، وبدون الأعمال الصالحة التى تفتح الطريق أمام إصلاح العالم يعدّ أمراً غير ممكن البتة، وعلى الذين ينتظرون مثل هذا البرنامج أن يرفعوا مستوى وعيهم وإيمانهم، وأن يجتهدوا فى إصلاح اعمالهم.

ويمكن لهؤلاء الأفراد أن يمنحوا أنفسهم أمل الاشتراك فى حكومته فقط، وليس الذين يتعاونون مع الظلم والاضطهاد، وليس البعيدون عن الإيمان والعمل الصالح، ولا الأفراد

---

(۱) بحار الأنوار، ج ۱۳، ص ۱۴.

نفحات القرآن، ج۹، ص: ۳۴۶

الجبناء والأذلاء الذين يخشون كل شىء وحتى يخافون من ظلهم بسبب ضعف إيمانهم.

ولا الأفراد المتقاعسون والكسالى والعاطلون الذين يقفون مكتوفى الأيدى أمام مفاسد محيطهم ومجتمعهم مفضلين السكوت دون أن يكون لهم أدنى سعيٍ أو جهدٍ على طريق مواجهة معالم الفساد.

هذا هو الأثر البنّاء لقيام المهدى عليه السلام فى المجتمع الإسلامى.

اللّهم! نوّر أبصارنا بجمال طلعته البهيّة، واجعلنا من أنصاره المخلصين وجنوده المضحّين!

نهاية الجزء التاسع من نفحات القرآن

ربيع الثانى سنة ۱۴۱۵ ه ق

المطابق لشهر مهر

سنة ۱۳۷۳ ه ش

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحامل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ أُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹